

بحوث

ندوة

أثر القرآن الكريم

في

تحقيق الوسطية ودفع الغلو

ندوة

أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو

المحور الأول

الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة

الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل	مفهوم الوسطية والاعتدال
الدكتور/ محمد بن عمر بازمول	أدلة الوسطية في القرآن والسنة
الدكتور/ سليمان بن إبراهيم العايد	مظاهر الوسطية في الإسلام

المحور الثاني

دلالة القرآن على سماحة الإسلام ويسره

الدكتور/ ناصر بن عبد الله الميمان	مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها
الدكتور/ حمزة بن حسين الفعير	سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف
الدكتور/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي	سماحة الشريعة في التعامل مع الواقع للدول والأفراد

المحور الثالث

الغلو: مظاهره وأسبابه

الدكتور/ صالح بن غانم السدلان	مفهوم الغلو في الكتاب والسنة
الدكتور/ عبد السلام بن برجس العبد الكريم	مظاهر الغلو في الاعتقاد والعمل والحكم على الناس
الدكتور/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق	أسباب الغلو العلمية والمنهجية وعلاجها

المحور الرابع

استثمار تعليم القرآن الكريم في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو

الدكتور/ إبراهيم بن سعيد الدوسري	معالجة القرآن لظواهر الانحراف والغلو
الدكتور/ عبد الله بن علي بصفر	أثر معلم القرآن في تربية طلابه على الاعتدال
الدكتور/ أحمد بن موسى السهلي	مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية

المحور الأول

الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة

مفهوم الوسطية والاعتدال

للدكتور

ناصر بن عبد الكريم العقل

المحور الأول الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة

مفهوم الوسطية والاعتدال

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله تعالى ميز هذه الأمة (أمة الإسلام) بالوسطية بين الأمم فقال سبحانه { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا }^(١) [البقرة: ١٤٣]، والوسطية هنا تعني: العدل والخيار وسائر أنواع الفضل، فهي أفضل الأمم.

ثم ميز الله أهل السنة والجماعة بالوسطية بين فرق المسلمين، فقال ﷺ { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ... }^(٢) الحديث.

فأهل السنة هم في جملتهم (العدول الخيار) أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين: عقيدة وعلماء وعملا وأخلاقا ومواقف. وسط بين الغلو والتقصير وبين التفريط والإفراط في سائر الأمور.

وسأتحدث في هذه المقالة عن مفهوم الوسطية والاعتدال في اللغة والاصطلاح، وهو موضوع الفرع الأول من المحور الأول في ندوة (أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو).

مفهوم الوسطية والاعتدال:

أ - مفهوم الاعتدال: الاعتدال لغة: قال في القاموس المحيط: (العدل: ضد الجور، وما قام في النفس أنه مستقيم)، و(عدل الحكم تعديلا: أقامه، و(عدل) فلانا: زكّاه، و(عدل)

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) مسلم الإيمان (١٥٦)، أحمد (٣/٣٨٤).

الميزان (سواه)، و(الاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدلته وعدلته)، والعدول: هم الخيار.

وذكر في القاموس المحيط ^(١) من معاني العدل والاعتدال: الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط. أما اصطلاحاً فالاعتدال: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط.

والاعتدال هو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية.

فالاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبِيهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ } ^(٢).

وقد فسر الرسول ﷺ هذا بقوله: (والوسط: العدل) ^(٣) ومن معاني العدل والوسط: الخيار.

ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين.

ب - مفهوم الوسطية: الوسطية في اللغة: قال في المعجم الوسيط الصحيح:

(وسط) الشيء - (يسطه) وسطاً، وسطة: صار في وسطه ويقال: وسط القوم،

(١) انظر: (عدل) (٢ / ٥٩٤).

(٢) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، الحديث رقم (٤٤٨٧).

ووسط المكان. فهو واسط. و - القوم، وفيهم وساطة: توسط بينهم بالحق والعدل.
 (وَسُط) الرجل - (يوسُط) وساطة، وسِطَة: صار شريفاً وحسيباً. فهو وسيط.
 (أوسط) القوم: صار في وسطهم.
 (توسط) فلان: أخذ الوسط بين الجيد والرديء. و - بينهم: وسط فيهم بالحق
 والعدل. و - الشيء: صار في وسطه. يقال: توسط القوم.
 (الأوسط): المعتدل من كل شيء، وأوسط الشيء: ما بين طرفيه. وهو من أوسط
 قومه: من خيارهم.
 (الوسَط) وسط الشيء: ما بين طرفيه، وهو منه. والمعتدل من كل شيء. يقال: شيء
 وسط: بين الجيد والرديء. وما يكتنفه أطرافه ولو من غير تساو. والعدل. والخير:
 (يوصف به المفرد وغيره). وفي التثنية العزيز: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }^(١):
 عدولاً أو خياراً. وهو من وسط قومه: من خيارهم.
 والصلاة الوسطى: العصر، لتوسطها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، وقيل الصلاة
 الوسطى: الفضلى، وفسرها بعضهم بالجمعة. (ج) وَسَط.
 (الْوَسُوط): المتوسط. ويبت من بيوت الشَّعْر أكبر من المظلة وأصغر من الخباء أو هو
 أصغرهما. (ج) وسط.
 الوُسُوط: وُسُوط الشمس، توسطها السماء.
 (الوسيط): المتوسط بين المتخاصمين، و - المتوسط بين المتبايعين أو المتعاملين. و -
 المعتدل بين شيئين. وهي وسيطة. (ج) وسطاء، ويقال هو وسيط فيهم: أوسطهم نسباً
 وأرفعهم مجداً.
فالوسطية تأتي بمعنى: التوسط بين شيئين، وبمعنى العدل، والخيار، والأجود، والأفضل،
وما بين الجيد والرديء، والمعتدل، وبمعنى الحسب والشرف.

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

ونجد أهل السنة والسلف الصالح - بحمد الله - تحققت فيهم هذه المعاني الفاضلة، كما سيأتي بيانه.

الوسطية في الشرع والاصطلاح: وردت الوسطية في القرآن الكريم في أكثر من آية وفي السنة في أكثر من حديث على المعاني التالية:

(١) بمعنى العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، ومن ذلك قوله **وَعَلَيْكَ** { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** } ^(١) أي، عدلا [سورة البقرة - آية ١٤٣]. وبهذا

المعنى فسرها النبي **ﷺ** في حديث أبي سعيد الخدري فقال: (الوسط: العدل) (صحيح البخاري ك التفسير ح ٤٤٨٧).

(٢) وفسرها ابن جرير الطبري (٣ / ٢٤٢). بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط.

(٣) وكذلك ابن كثير (١ / ٢٧٥) فسرها: بالخيار الأجود.

(٤) وتأتي الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى كما وصف النبي **ﷺ**

الفردوس بأنه { **أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ** } ^(٢). [البخاري ك الجهاد ح ٢٧٩٠].

(٥) ويأتي معنى الوسطية على اعتبار الشيء بين الجيد والردىء، كما قال ابن عباس

- في رواية عنه - { **كَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا دُونًَا، وَبَعْضُهُمْ قُوتًا فِيهِ سَعَةٌ، فَقَالَ**

اللَّهُ: { مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ } ^(٣) [المائدة: ٨٩]. **الْخُبْزِ وَالزَّيْتِ** }.

(٦) وفسر بعضهم: (أوسط) في الآية بأنه: الأعدل والأمثل، فتكون الآية على هذا

التفسير مندرجة تحت المعنى الأول الذي هو (العدالة والخيار والأجود).

(٧) كما تأتي الوسطية بمعنى: ما بين طرفي الشيء وحافتيه.

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٦٣٧)، أحمد (٣٣٩/٢).

(٣) سورة المائدة آية: ٨٩.

ومن ذلك قوله تعالى: { حَنِفْظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى } ^(١) [البقرة:

٢٣٨]، والصلاة الوسطى صلاة العصر، وسميت الوسطى؛ لأن قبلها صلاتين، على اختلاف في تحديد أي الصلوات هي ^(٢).

ومن ذلك ما جاء في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم { أَنَّهُ حَطَّ حَطًّا مُرَبَّعًا، وَحَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَحُطُوطًا إِلَى جَانِبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَحَطًّا خَارِجًا مِنَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَانِبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ } ^(٣) ^(٤).

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم { وَسَطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ } ^(٥) ^(٦).

(٨) وتأتي الوسطية بمعنى التوسط الظرفي. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم { لَعَنَ اللَّهُ مَنْ جَلَسَ

وَسَطَ الْحَلَقَةِ } ^(٧) ^(٨) ضعفه الألباني: ضعيف سنن أبي داود (٣٩٣).

وتأتي الوسطية مقابل:

- الغلو: وهو مجاوزة الحد. قال تعالى: { لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } ^(٩) [النساء:

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٨.

(٢) (ابن كثير ١ / ٢٩١).

(٣) البخاري الرقاق (٦٠٥٤)، الترمذي صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤٥٤)، ابن ماجه الزهد (٤٢٣١)، أحمد (٣٨٥/١)، الدارمي الرقاق (٢٧٢٩).

(٤) (ابن ماجه ح ٤٢٣١).

(٥) أبو داود الصلاة (٦٨١).

(٦) (أبو داود ح ٦٨١).

(٧) الترمذي الأدب (٢٧٥٣)، أبو داود الأدب (٤٨٢٦).

(٨) (أبو داود ح ٤٨٨٦).

(٩) سورة النساء آية: ١٧١.

١٧١، المائة: ٧٧]. وقال ﷺ { **إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ** } (١).

- والإفراط: وهو بمعنى الغلو، وهو تجاوز القدر في الأمور.

- والتفريط: وهو بمعنى التقصير.

فمنهج أهل السنة وسط في ذلك بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة.

- والجفاء: خلاف البر والصلة. قال ﷺ في حق القرآن: { **وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ** } (٢).

أي: لا تنقطعوا عن تلاوته.

فأهل السنة وسط بين جفاء الأعراب، وتقعير العجم.

- والظلم: وهو مجاوزة الحق. ولذلك سمي الله الشرك ظلماً { **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ**

عَظِيمٌ } (٣) [لقمان: ١٣].

فأهل السنة هم الوسط في العدل والإنصاف. وعليه؛ فالوسطية، والاعتدال معنيان مترادفان في المفهوم اللغوي، والشرعي الاصطلاحي، فهما: العدل والاستقامة والخيرية والاعتدال والقصد والفضل والجودة.

فالاعتدال والوسطية منهج الحق ومنهج الأنبياء وأتباعهم، ويتمثل ذلك بالإسلام بعد مبعث النبي ﷺ وبالسنة، ومنهج السلف بعد ظهور الأهواء والافتراق، فأهل السنة والجماعة هم العدول الأخيار في العقيدة والعبادة والأخلاق والمواقف.

هذا، ونسأل الله أن يجعلنا من أهل الحق والعدل والاستقامة، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، ويقيهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩)، أحمد (٢١٥/١).

(٢) أحمد (٤٢٨/٣).

(٣) سورة لقمان آية: ١٣.

المحور الأول

الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة

أدلة الوسطية في القرآن والسنة

للدكتور

محمد بن عمر بازمول

أدلة الوسطية في القرآن والسنة

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (١) [آل عمران: ١٠٢].

{ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (٢) [النساء: ١].

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (٣) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فهذه ورقات أفردتها في تقرير بعض من أدلة الوسطية من القرآن العظيم والسنة النبوية، أتقدم بها في ندوة " أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو "، التي ستعقد في مكة المكرمة، ضمن فعاليات مسابقة الملك عبد العزيز الدولية لحفظ القرآن

(١) سورة آل عمران آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان: ٧٠، ٧١.

الكريم وتلاوته، وتفسيره في ٣ - ١١ / ٨ / ١٤٢٤ هـ.

سائلا الله المزيد من التوفيق والهدى والرشاد للقائمين على هذه الندوة، وأن يجعل سبحانه وتعالى جهودهم في موازين حسناتهم، إنه سميع مجيب.

مدخل الإسلام وسط بين الأديان

من خصائص الإسلام الوسطية والتوازن (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) رحمه الله: " قد خص الله تبارك وتعالى محمدا ﷺ بخصائص ميزه الله بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعة ومنهاجا أفضل شرعة، وأكمل منهاج مبین.

كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس؛ فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها، وأكرمها على الله من جميع الأجناس.

هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم. وجعلهم وسطا عدلا خيارا؛ فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسوله، وكتبه، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام.

فأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، لم يجرم عليهم شيئا من الطيبات كما حرم على اليهود، ولم يجعل لهم شيئا من الخبائث كما استحلتها النصارى.

ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيق على اليهود، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى، فلا يوجبون الطهارة من الجنابة، ولا الوضوء للصلاة، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة، بل يعد كثير من عبادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب والطاعات، حتى يقال في فضائل الراهب: " له أربعون سنة ما مس الماء " ! ولهذا تركوا الختان، مع أنه شرع إبراهيم الخليل عليه السلام وأتباعه.

واليهود إذا حاضت المرأة عندهم، لا يؤاكلونها ولا يشاربونها، ولا يقعدون معها في بيت واحد، والنصارى لا يجرمون وطء الحائض، وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة، بل إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه بالمقراض، والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله، أو

(١) انظر: الإسلام مقاصده وخصائصه د. محمد العقلة ص ٥٠.

تحرم الصلاة معه.

وكذلك المسلمون وسط في الشريعة فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ، كما فعلت اليهود. ولا غيروا شيئاً من شرعه المحكم ولا ابتدعوا شرعاً لم يأذن به الله، كما فعلت النصارى.

ولا غلوا في الأنبياء والصالحين كغلو النصارى، ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود. ولا جعلوا الخالق سبحانه متصفاً بخصائص المخلوق، ونقائصه، ومعاييه من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود، ولا المخلوق متصفاً بخصائص الخالق سبحانه التي ليس كمثلها فيها شيء كفعل النصارى.

ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود.

ولا أشركوا بعبادته أحداً كفعل النصارى.

وأهل السنة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل، فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتاً لصفات الكمال، وتزويهاً له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال، إثبات بلا تمثيل، وتزويهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }^(١) [الشورى: ١١] رد على المثلة، { وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ }^(٢) [الشورى: ١١] رد على المعطلة.

وقال تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ }^(٣) ولم

يكن له كفواً أحدًا }^(٣) [الإخلاص: ١ - ٤].

فالصمد: السيد المستوجب لصفات الكمال.

(١) سورة الشورى آية: ١١.

(٢) سورة الشورى آية: ١١.

(٣) سورة الإخلاص كاملة.

والأحد: الذي ليس له كفو ولا مثال.
وهم وسط في باب أفعال الله ﷻ بين المعتزلة المكذبين للقدر، والجزرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه.
وفي باب الوعد والوعيد، بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار، وبين المرجئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار.
وهم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الغالي في بعضهم الذي يقول فيه بإلهية أو نبوة أو عصمة، والجافي فيهم الذي يكفر بعضهم أو يفسقه وهم خيار هذه الأمة " اهـ (١).

وقال - رحمه الله - : " وكذلك في سائر أبواب السنة، هم وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان " اهـ (٢).

(١) الجواب الصحيح (١ / ٦ - ٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٧٥).

أدلة الوسطية من القرآن العظيم والسنة النبوية

الأدلة على وسطية أمة الإسلام فلا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا جفاء، كثيرة من القرآن العظيم، والسنة النبوية، أذكر منها الأدلة التالية:

أولاً: الأدلة من القرآن العظيم:

(١) قول الله تبارك وتعالى: { **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ**

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ } ^(١) [الفاتحة: ٦ - ٧].

ووجه دلالة الآية: أنه سبحانه وصف الصراط المستقيم بأنه غير صراط المغضوب عليهم، وهم اليهود أهل الغلو في الدين، وغير صراط النصارى، وهم أهل الغلو في الرهبانية والتعبد، حتى خرجوا عن حدود الشرع، ليس فقط في العبادة بل حتى في الاعتقاد، يقول تبارك وتعالى: { **يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿٦﴾ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿٧﴾ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ**

وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ } ^(٢) (النساء: ١٧١).

فإذا كان الصراط المستقيم غير صراط اليهود والنصارى، وكان صراط اليهود والنصارى صراط غلو في الدين، دل ذلك على أن الصراط المستقيم صراط لا غلو فيه، فهو بين طرفين: إفراط وتفریط، وهذا هو معنى الوسطية التي هي منهاج الدين الإسلامي.

(٢) قال الله تبارك وتعالى: { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ**

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ

(١) سورة الفاتحة الآيتان: ٦، ٧.

(٢) سورة النساء آية: ١٧١.

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ (١) (البقرة: ٢١٣).

يمتن الله سبحانه على عباده المؤمنين أن هداهم إلى الصراط المستقيم، الذي هو سبيل الرسول ﷺ ومن يتبعه، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ﴾ (٢) (الأنعام: ١٥٣).

وللغواية والضلال سبل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرْتُمْ ۗ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ (٣) (الأعراف: ٨٦).

وكل سبيل غير سبيل الحق فهو معوج، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (٤) (آل عمران: ٩٩)، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۝ ﴾ (٥) (الأعراف: ٤٥).

وسبيل الحق هو سبيل الرشد، وهو الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَن ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن

(١) سورة البقرة آية: ٢١٣.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

(٣) سورة الأعراف آية: ٨٦.

(٤) سورة آل عمران آية: ٩٩.

(٥) سورة الأعراف آية: ٤٥.

يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٦٦﴾ { (الأعراف: ١٤٦)، وقال تعالى: } وَقَالَ الَّذِي
ءَامَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ﴿٣٨﴾ { (غافر: ٣٨).

فالصراط المستقيم وسط بين السبل، التي أشارت إليها الآيات السابقة. وعليه فإن
هذه الأمة وسط بين الأمم.

فوصف الأمة بكونها هديت إلى صراط مستقيم، وأنها على صراط مستقيم، وصف
يقتضي الوسطية لها في دينها، بين السبل المعوجة، ذات اليمين وذات الشمال.

(٣) قال الله تبارك وتعالى: } وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ { (البقرة: ١٤٣).

وقد تتابعت كلمة المفسرين في أن وصف الأمة بالوسط، يراد به كونهم عدولا خيارا،
ويدل عليه الأمور التالية:

١ - أن الله سبحانه وتعالى وصف هذه الأمة في موضع آخر بالخيرية، فقال
تعالى: } كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ { (آل عمران: ١١٠) (٥).

٢ - أن هذا التفسير جاء فيه حديث صحيح مرفوع عن رسول الله ﷺ عن أبي سعيد
الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { يُجَاءُ بِنُوحِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟

(١) سورة الأعراف آية: ١٤٦.

(٢) سورة غافر آية: ٣٨.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٤) سورة آل عمران آية: ١١٠.

(٥) أضواء البيان المدني (١ / ٧٥).

فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَتَسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ } وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا { (١) قَالَ: عدلا } لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا { (٢) } (٣).

٣ - أن هذا التفسير هو الذي يطابق السياق، فإن الله تعالى يقول: } لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ { (٤)، فالمناسب لكونهم شهداء على الناس أن يثبت لهم وصف الخيرية والعدالة.

فأمة الإسلام جعلت أمة وسطا: عدلا خيارا؛ والعدل الخيار يتضمن الدلالة على كونهم بين الإفراط والتفريط.

قال الطبري (ت ٣١٠ هـ) رحمه الله: " وأرى أن الله تبارك وتعالى إنما وصفهم بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه - غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه - تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به - ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها " اهـ (٥).

والمعنيان متداخلان، ولا تمنع بينهما، فلا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه معنى الآية (٦)؛ وذلك أن الوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمرکز الدائرة،

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، الحديث رقم (٧٣٤٩).

(٤) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٥) تفسير الطبري هجر (٣ / ٦٢٦ - ٦٢٧).

(٦) وهذا ما قرره ابن حجر في فتح الباري السلفية (٨ / ١٧٣).

ثم استعير للخصال المحمودة البشرية، لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعواز والأوساط محمية محوطة؛ فإن تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام، إذ لا ملابسة بينها وبين أهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور، بل لكون تلك الخصال أوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط؛ كالعفة التي طرفاها الفجور والحمود. وكالشجاعة التي طرفاها الظهور والجن. وكالحكمة التي طرفاها الجريزة (١) والبلادة. وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الأوساط المحفوفة بأطرافها ثم أطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها، وسوى فيه بين المفرد والجمع، والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الأصل كدأب سائر الأسماء التي يوصف بها.

وقد روعيت هاهنا نكتة راتقة: هي أن الجعل المشار إليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى إلى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم، الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإننا إذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية. ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الأمة المهديّة إليه أمة وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة أي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل (٢). والله أعلم (٣).

ومن فوائد هذه الآية الإرشاد إلى أن كل خير ينفع الناس، فقد أمر الله به، ودعا إليه، وكل شر وفساد فقد نهى الله عنه وأمر بتركه، وهذا ضرورة كون هذه الأمة موصوفة بالخيرية، وأنها هديت إلى الصراط المستقيم.

وهذا الوصف بالوسطية ثبت في نصوص عديدة، تؤكد معنى التوسط وعدم الغلو في

(١) الخبث والمكر.

(٢) من كلام أبي السعود، في تفسيره إرشاد العقل السليم دار إحياء التراث (١ / ١٧٢).

(٣) وبالتقرير السابق تعلم أن الاستشهاد بآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) على معنى وسطية الإسلام، استدلال صحيح، خلافا لمن منع الاستدلال بها على معنى وسطية الإسلام. انظر أحكام القرآن لابن العربي (١ / ٥٠)، وتابعه صاحب رسالة وسطية الإسلام لعبد الرحمن حبنكة الميداني مؤسسة الريان ص ٩ - ١٠.

مظاهر الدين، من ذلك:

(٤) نهي عن الغلو في الحكم بين الناس، حيث أمر بالعدل، والظلم خلاف العدل، وهو ميل إلى أحد الطرفين على حساب الآخر، قال الله تبارك وتعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا } (النساء: ٥٨)، وقوله تبارك وتعالى: { يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المائدة: ٨).

والآيتان دليل على أمر الله تبارك وتعالى بما هو مقتض خيرية هذه الأمة، وكون أهلها عدولا؛ فأمر بالحكم بالعدل؛ ليس فقط في حكمهم بعضهم على بعض، بل حتى في حكمهم على أعدائهم.

والعدل في الحكم مع الأعداء من مظاهر هذه الخيرية التي خص الله ﷻ بها هذه الأمة. (٥) نهي عن الغلو في دعاء الله ﷻ و { " الدعاء هو العبادة " } (٣)، حيث أمر بالتوسط فيه دون الجهر وفوق المخافتة، فقال الله تبارك وتعالى: { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ ۗ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا ۗ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } (الإسراء: ١١٠).

والأمر بابتغاء السبيل بين ذلك يعني أن يكون الدعاء تضرعا دون الجهر وفوق السر،

(١) سورة النساء آية: ٥٨.

(٢) سورة المائدة آية: ٨.

(٣) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٦٩)، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٨).

(٤) سورة الإسراء آية: ١١٠.

فهذا مظهر من مظاهر الأمر بالتوسط في العبادة، التي هي الدعاء.

(٦) نهي عن الغلو في طلب الدنيا، فلم يأمر بترك الدنيا، والخروج إلى الفياقي، كما لم يأمر بالاستغراق فيها، وكأن الإنسان لا محل له إلا هذه الحياة الدنيا، إنما أمر بالتوسط، فالدنيا بلغة يتبلغ بها الإنسان للآخرة، يأخذ منها بما أحله الله سبحانه وتعالى، ويعيش فيها فيما أباحه الله سبحانه وتعالى، ويستعد بذلك للآخرة، قال الله تبارك وتعالى: { وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ } (١)

(القصص: ٧٧).

وهذه الآية فيها دليل على أن ترك التوسط والاعتدال فساد في الأرض، ألا تراه يقول: { وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ } (٢)، فإذا كان العمل في الدنيا وترك السعي للآخرة فسادا في الأرض، فمن باب أولى ترك أمور الصراط المستقيم - وعنوانها تمام صالح الأخلاق - فساد في الأرض.

(٧) نهي عن الغلو في النفقة بالمال، حيث يقول تبارك وتعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ } (الفرقان: ٦٧)، وقوله تبارك وتعالى: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ } (الإسراء: ٢٩).

(١) سورة القصص آية: ٧٧.

(٢) سورة القصص آية: ٧٧.

(٣) سورة الفرقان آية: ٦٧.

(٤) سورة الإسراء آية: ٢٩.

قال ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) رحمه الله: " والفرق بين الاقتصاد والتقصير أن الاقتصاد هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

وله طرفان هما ضدان له: تقصير ومجاوزة.

فالمقتصد قد أخذ بالوسط وعدل عن الطرفين، قال تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } (١) [الفرقان: ٦٧]، وقال تعالى:

{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } (٢) [الإسراء: ٢٩]، وقال

تعالى: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } (٣) [الأعراف: ٣١]، والدين كله بين هذين الطرفين.

بل الإسلام قصد بين الملل.

والسنة قصد بين البدع.

ودين الله بين الغالي فيه والجاهلي عنه.

وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر، والغلو مجاوزته وتعديه.

وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان:

فإما إلى غلو ومجاوزة.

وإما إلى تفريط وتقصير.

وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلف رسول

الله ﷺ وترك أقوال الناس وآراءهم لما جاء به، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم.

وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم، ولهذا حذر السلف منهما أشد

(١) سورة الفرقان آية: ٦٧.

(٢) سورة الإسراء آية: ٢٩.

(٣) سورة الأعراف آية: ٣١.

التحذير، وخوفوا من بلي بأحدهما بالهلاك.

وقد يجتمعان في الشخص الواحد، كما هو حال أكثر الخلق يكون مقصرا مفرطا في بعض دينه غالبا متجاوزا في بعضه. والمهدي من هداه الله " اهـ (١).

(٨) نهي عن تحريم الطيبات، وهو من الغلو في التزهّد، ونهي عن الإسراف، وهو من الغلو في الاستغراق في الدنيا وملذاتها، والصراط المستقيم بينهما، يقول تبارك وتعالى:

{ * يَبْنِيْ ءَادَمَ حُدُوْدًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ﴿٣٢﴾ قُلْ اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْاِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاَنْ تُشْرِكُوْا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهٖ سُلْطٰنًا وَاَنْ تَقُوْلُوْا عَلٰى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٣﴾ } (٢) (الأعراف: ٣١ - ٣٣).

(٩) ومن الأدلة على وسطية الدين وسماحته، قوله تبارك وتعالى: { مَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُوْنَ ﴿٦﴾ } (٣) (المائدة: ٦)، ويقول تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

بِكُمْ الْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾ } (٤) (البقرة من الآية ١٨٥)، ويقول تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخَفَّفَ

عَنْكُمْ ۗ } (٥) (النساء من الآية ٢٨). ويقول تبارك وتعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ

جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَأَ اٰبِيكُمْ اِبْرٰهِيْمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمْ

الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هٰذَا لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُوْنُوْا شَهِدًا عَلٰى النَّاسِ ۗ

(١) الروح ص ٣٤٧.

(٢) سورة الأعراف الآيات: ٣١ - ٣٣.

(٣) سورة المائدة آية: ٦.

(٤) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٥) سورة النساء آية: ٢٨.

فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ ۗ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ { (الحج: ٧٨).^(١)

ووجه الدلالة: أن وصف الله سبحانه وتعالى الدين بأنه يسر، وبأن الله ما جعل علينا فيه من حرج، وأن الله يريد أن يخفف عنا، كل هذا يدل على أن الغلو في الدين غير مطلوب، بل ليس هو من الدين، وأن التوسط هو سمة الدين ومنهاجه، والوسطية بين طرفين: تشدد وتساهل. وهل يؤخذ عند الاختلاف بأخف القولين أو بأثقلهما؟^(٢).

ذهب بعض الناس إلى الأخذ بأخف القولين وأيسرهما استدلالاً بهذه الأدلة. وذهب آخرون إلى الأخذ بالأشد.

والذي يظهر أن المراد بهذه النصوص هو أن الدين يسر، أي: ما جاء وثبت في الشرع، فهو يسر، وليس المراد أن اليسر هو الدين.

وأن سماحة الشريعة ويسرها إنما جاءت مقيدة بما هو جار على أصولها، والقول باتباع الأيسر مطلقاً إنما هو اتباع هوى النفس وما تشتهي، دون الرجوع إلى الدليل، وذلك يناهض أصول الشريعة^(٣). وهو مؤد إلى إسقاط التكليف جملة؛ لأن التكليف كلها فيها ما يشق على النفس، فإذا كانت المشقة حيث لحقت في التكليف تقتضي الرفع بهذه الأدلة؛ لزم ذلك في جميع التكليف، فلم يبق للعبد تكليف، وهذا محال، فما أدى إليه مثله، فإن رفع الشريعة مع فرض وضعها محال^(٤).

والذين قالوا: نأخذ بالأشد؛ ذهبوا إليه لأنه الأحوط، وهؤلاء خالفوا أدلة أصحاب القول الأول، ثم الاحتياط هو: "الاستقصاء والمبالغة في اتباع السنة، وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، من غير غلو ومجاوزة، ولا تقصير ولا تفريط، فهذا هو الاحتياط الذي

(١) سورة الحج آية: ٧٨.

(٢) الموافقات للشاطبي (٤ / ١٤٨).

(٣) الموافقات (٤ / ١٣٣، ١٣١ - ١٣٤).

(٤) الموافقات (٤ / ١٩٣)، وانظر منه (٤ / ١٤١، ١٣٤).

يرضاه الله ورسوله " (١).

وعليه فإن الاحتياط هو الترجيح عند الاختلاف، فالجتهد والمتبع والعامي يسلكون مسلك الترجيح عند الاختلاف لكل واحد منهم بحسبه، فلا يرجح الأيسر، ولا يرجح الأثقل، وإنما يرجح ما جاء به الدليل، فإن لم يتبين الدليل رجعوا جميعاً إلى استفتاء النفس والقلب (٢).

ثانياً: الأدلة من السنة:

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: { خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ. ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ^ط وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ^ع } (٣) [الأنعام: ١٥٣] { (٤).

وتقدم تقرير دلالة وصف ما كان عليه صلوات الله عليه بأنه الصراط المستقيم، وأنه يقتضي معنى الوسطية والخيرية، التي بين طرفي التفريط والإفراط.

قال ابن تيمية رحمه الله: " أصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم، الذي بعث الله به رسوله، قال الله تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ^ط

(١) الروح لابن القيم ص ٣٤٦ ، وانظر إغاثة اللهفان (١ / ١٦٢ - ١٦٣).

(٢) الاختلاف وما إليه لمحمد بازمول ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٤٦٥ ، ٤٣٥) ، وأخرجه الدارمي في سننه في المقدمة ، باب في كراهة أخذ الرأي ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١ / ١٣) ، وابن حبان (الإحسان) ١ / ١٨٠ - ١٨١ تحت رقم (٦ - ٧) ، والحاكم في المستدرک (٢ / ٣١٨) . وأخرجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله حديث رقم (١١) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١ / ١٣) . والحديث صححه ابن حبان ، والحاكم ، وحسن إسناده محقق الإحسان ، وصححه لغيره الألباني في ظلال الجنة (١ / ١٣) .

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ { (١)
 (الأنعام: ١٥٣)، وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا وخط
 خطوطا عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه سبيل الله، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان
 يدعو إليه، ثم قرأ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
 عَن سَبِيلِهِ ۚ } (٢).

وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين، حيث
 حرموا ما لم يحرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة، واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم
 وشرعوا ديناً لم يأذن به الله، فقال تعالى: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا
 لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۗ } (الشورى: من الآية ٢١)، ومنه أشياء هي محرمة جعلوها عبادات
 كالشرك والفواحش مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك " اهـ (٤).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم { " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ
 الْأَخْلَاقِ " } (٥) (٦).

ووجه الدلالة في هذا الحديث: أن الوسطية هي الخيرية، ومحاسن الأخلاق ومكارمها
 هي الوسط بين طرفين؛ وكل ما يدعو إليه الدين هو من مكارم الأخلاق التي هي أوساط

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

(٣) سورة الشورى آية: ٢١.

(٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٨٨ - ٣٨٩).

(٥) أحمد (٣٨١/٢).

(٦) أخرجه أحمد (الرسالة ١٤ / ٥١٢ - ٥١٣ ، تحت رقم ٨٩٥٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (صحيح
 الأدب المفرد ١١٨ ، تحت رقم ٢٠٧ / ٢٧٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١٩١ - ١٩٢) ،
 والحاكم (٢ / ٦١٣). والحديث صححه الحاكم ، ومحققو مسند أحمد ، والألباني في صحيح الأدب المفرد ،
 وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٤٥).

للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط (١).

ولا يناع في أن الغلو خلق ليس من مكارم الأخلاق، فصح أن الدين لم يأت به، لأنه إنما جاء لصالح الأخلاق ومكارمها.

(٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ { جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا. فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدُّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْفُدُ وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي } (٢).

ووجه الدلالة: أن الرسول ﷺ بين أن التشدد في العبادة ليس من سنته؛ فإذا كان التشدد في العبادة ليس من سنته، فمن باب أولى التشدد والمبالغة والغلو في الأمور الأخرى.

قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) رحمه الله: "قَوْلُهُ: { فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي } (٣) المراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره.

(١) وقد توسع ابن قيم الجوزية في كتاب الروح دار الفكر - الأردن ص ٣١٤ إلى آخر الكتاب، في بيان جملة من الفروق بين الأمور، يتبين الناظر فيها حقيقة كون الحق والخير بين طرفين إفراط وتفريط.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، حديث رقم (١٤٠١).
(٣) البخاري النكاح (٤٧٧٦)، مسلم النكاح (١٤٠١)، النسائي النكاح (٣٢١٧)، أحمد (٢٨٥/٣).

والمراد: من ترك طريقي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

وقوله: " فَلَيْسَ مِنِّي " إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي " أي: على طريقي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى: " فَلَيْسَ مِنِّي " ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر.

وقال الطبري: فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس، وآثر غليظ الثياب وحسن المأكل.

قال عياض: هذا مما اختلف فيه السلف: فمنهم من نحا إلى ما قال الطبري، ومنهم من عكس واحتج بقوله تعالى: { **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** } ^(١) [الأحقاف: ٢٠]. قال: والحق أن هذه الآية في الكفار، وقد أخذ النبي ﷺ بالأمرين.

قلت: لا يدل ذلك لأحد الفريقين إن كان المراد المداومة على إحدى الصفتين، والحق أن ملازمة استعمال الطيبات تفضي إلى الترفه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات؛ لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحياناً، فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع في المحذور كما أن منع تناول ذلك أحياناً يفضي إلى التنطع المنهي عنه، ويرد عليه صريح قوله تعالى { **قُلْ**

مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } ^(٢) [الأعراف: ٣٢].

كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً، وترك التنفل يفضي إلى إثارة البطالة وعدم النشاط إلى العبادة وخير

(١) سورة الأحقاف آية: ٢٠.

(٢) سورة الأعراف آية: ٣٢.

الأمر الوسط "أهـ" (١).

(٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه { هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. }

هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ } (٢) (٣).

والمتنطعون هم - كما قال شراح الحديث - المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

والحديث ظاهره خبر عن حال المتنطعين، إلا أنه في معنى النهي عن التنطع وهو دليل على أن التوسط والاعتدال في الأمور هو سبيل النجاة من الهلاك؛ فإنه إذ ذم التنطع وهو المغالاة والمخافة وتجاوز الحد في الأقوال والأفعال، فقد دل على أن المطلوب هو التوسط، وذلك متصور في الطرفين؛ فمثلاً شأن الدنيا من تشدد في طلبه والسعي وراءه دون الآخرة، فقد تنطع في طلبها، وهلك، ومن تشدد في مجافاتها والغلو في تركها والبعد عنها، فقد تنطع، وهلك، والتوسط بينهما هو المطلوب.

(٥) وذكر أن الغلو في التعبد من سمات طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: { بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا

أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ !

فَقَالَ: وَيَلِّكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ حَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ.

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ !

فَقَالَ: دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْفَرُ أَحْدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ،

يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ

(١) فتح الباري (٩ / ١٠٥ - ١٠٦).

(٢) مسلم العلم (٢٦٧٠)، أبو داود السنة (٤٦٠٨)، أحمد (٣٨٦/١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم (٢٦٧٠).

إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ وَهُوَ قَدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالْدَّمُ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ إِحْدَى عِضْدَيْهِ مِثْلُ تَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ تَدْرَدِرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ } .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَمَسَ، فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعْتُهُ (١).

فهؤلاء غلوا في العبادات - والعبادات الدينية أصولها الصلاة والصيام والقراءة - بلا فقه؛ قال الأمر بهم إلى البدعة، فقال: { يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ } (٢)، وأمر بقتلهم، فإنهم قد استحلوا دماء المسلمين وكفروا من خالفهم، وجاءت فيهم الأحاديث الصحيحة (٣).

(٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: { إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَكَانَ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرُّوحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ } (٤) (٥).

[والمشادة بالتشديد: المغالبة، يقال: شادته يشادته مشادة إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٠٦٤).

(٢) البخاري المناقب (٣٤١٥)، مسلم الزكاة (١٠٦٦)، النسائي تحريم الدم (٤١٠٢)، أبو داود السنة (٤٧٦٧)، أحمد (٨٨/١).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٩٢ - ٣٩٣).

(٤) البخاري الإيمان (٣٩)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم (٣٩)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم (٢٨١٦).

أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

قوله: " فَسَدِّدُوا " أي: الزموا السداد، وهو الصواب من غير إفراط، ولا تفريط، قال

أهل اللغة: السداد التوسط في العمل.

قوله: " وَقَارِبُوا " أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

قوله: " وَأَبْشِرُوا " أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل، والمراد: تبشير من عجز

عن العمل بالأكمل، لأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم
المُبَشِّرَ به تعظيماً له وتفخيماً.

قوله: " وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ " أي: استعينوا على مداومة العبادة لإيقاعها في الأوقات

المنشطة.

وَالْعَدْوَةُ بالفتح: سير أول النهار، وقال الجوهري: ما بين صلاة الغداة، وطلوع

الشمس.

وَالرَّوْحَةُ بالفتح: السير بعد الزوال.

وَالدُّلْجَةُ: بضم أوله وفتحته وإسكان اللام: سير آخر الليل، وقيل: سير الليل كله،

ولهذا عبر فيه بالتبويض؛ ولأن عمل الليل أشق من عمل النهار. وهذه الأوقات أطيب

أوقات المسافر، وكأنه ﷺ خاطب مسافراً إلى مقصد فنبهه على أوقات نشاطه، لأن

المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات

المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة. وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة

إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة^(١).

والحديث نص في أن الدين يسر، وأن الدين قصد وأخذ بالأمر الوسط، فلا يفرط المرء

(١) من فتح الباري (١ / ٩٤ - ٩٥) ، وفيه: قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، فقد رأينا

ورأى الناس قبلنا أن كل منتطح في الدين ينقطع. وليس المراد منها طلب الأكمل في العبادة ، فإنه من الأمور

المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل ، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل ، أو إخراج الفرض

عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في

الجماعة ، أو إلى أن خرج الوقت المختار ، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة " اهـ.

على نفسه، ولا يفرط.

(٧) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : { قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ } (١).

والحديث نص في أن الإسلام حنيفية سمحة، والسماحة تتنافى مع الغلو والتشدد فيه.

(٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: { يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ } (٢) (٣).

والحديث يأمر باليسر وترك التنفير والتعسير، مما يستلزم ترك الغلو وطلب الوسط، إذ اليسر هو السماحة وترك التشدد، وخير الأمور الوسط. وقد بوب البخاري على الحديث في كتاب الأدب " باب قول النبي صلى الله عليه وسلم { يسروا ولا تعسروا } (٤)، وكان يجب التخفيف واليسر على الناس "

وقد أخذ العلماء بهذا الأمر، فقعدوا قاعدة فقهية هي من قواعد الفقه الكبرى (٥) والتي عليها مدار الفقه الإسلامي، وهي قاعدة: " المشقة تجلب التيسير، ومن فروعها: " الضرورة تبيح المحظورة "، " الرضى بأهون الضررين لدفع أعلاهما إذا لم يكن من

(١) أخرجه أحمد في المسند (الرسالة ٤ / ١٧ ، تحت رقم ٢١٠٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (صحيح الأدب المفرد ص ١٢٢ ، تحت رقم ٢٢٠ / ٢٨٧) ، وعبد بن حميد في مسنده (المنتخب ١ / ٤٩٧ ، تحت رقم ٥٦٧) ، وعلقه البخاري في كتاب الإيمان ، باب الدين يسر وقول النبي " أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة .. " والحديث حسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (١ / ٩٤) ، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الأدب المفرد ، وكذا في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٨٨١) ، وكذا محقق المنتخب ، وصححه لغيره محققو المسند.

(٢) البخاري العلم (٦٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤) ، أحمد (٢٠٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب ما كان النبي يتخولهم ، حديث رقم (٦٩) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر باليسر وترك التنفير ، حديث رقم (١٧٣٤).

(٤) البخاري العلم (٦٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤) ، أحمد (٢٠٩/٣).

(٥) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٧٦ ، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ص ١٥٧ ، القواعد الفقهية الخمس الكبرى ، والقواعد المندرجة تحتها ، من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣٣ - ٢٣٩.

أحدهما بد " (١).

(٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: { هَاتِ الْقُطْ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ } (٢) (٣).

الْغُلُوُّ هُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي الشَّيْءِ وَالتَّشْدِيدُ فِيهِ بِتَجَاوُزِ الْحَدِّ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّعَمُّقِ (٤) يُقَالُ: غَلَا فِي الشَّيْءِ يَغْلُو غُلُوًّا، وَغَلَا السَّعْرُ يَغْلُو غَلَاءً إِذَا جَاوَزَ الْعَادَةَ، وَالسَّهْمُ يَغْلُو غَلْوًا، بِفَتْحٍ ثُمَّ سَكُونٍ، إِذَا بَلَغَ غَايَةَ مَا يُرْمَى.

والحديث نص صريح في النهي عن الغلو في الدين، فمنهاج الدين وسيله هو السماح والتيسير وترك التشدد في حدود ما جاء في الشرع.

ومن فوائد الحديث تنبيهه على قضية خطيرة جدا، وهي أن الغلو في الدين من أسباب

(١) فتح الباري (١٠ / ٥٢٥). وهذه القاعدة الفرعية معدودة في كتب القواعد الفقهية ضمن فروع قاعدة: لا ضرر ولا ضرار ، أو الضرر يزال ، ولا تمانع فهي تدخل تحت القاعدتين ، فإن من التيسير الرضى بأهون الضررين إذا لم يكن من إحداهما بد ، ومن الضرر الذي يزال: دفع الضرر الأعلى بالأدنى ، ويدل على ما ذكرت أنه جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب صب الماء على البول ، حديث رقم (٢٢٠) ، عن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء ، أو ذنوبا من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، وقد أشار إلى ذلك ابن حجر. والله الموفق.

(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (الرسالة ٣ / ٣٥١ ، تحت رقم ١٨٥١) ، والنسائي في كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى ، حديث رقم (٣٠٥٧) ، وابن ماجه في كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، حديث رقم (٣٠٢٩) ، وابن خزيمة (٤ / ٢٧٤ ، تحت رقم ٢٨٦٧) ، وابن حبان (الإحسان ٩ / ١٨٣ ، تحت رقم ٣٨٧١) ، والحاكم (١ / ٤٦٦). والحديث صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وصحح إسناده محققو مسند أحمد ، ومحقق الإحسان.

(٤) التعمق هو بالمهملة وتشديد الميم ثم قاف ، ومعناه: التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه. فتح الباري (١٣ / ٢٧٨).

هلاك الأمم قبلنا، فالقصد القصد.

وتعظيم الأمر والنهي من الدين، ومن التعظيم لهما ترك الغلو فيهما.

قال صاحب منازل السائرين رحمه الله: تعظيم الأمر والنهي: وهو أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضاً لتشدد غال، ولا يجملاً على علة توهن الانقياد."

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "هاهنا ثلاثة أشياء تنافي تعظيم الأمر والنهي:

أحدها: الترخص الذي يجفو بصاحبه عن كمال الامتثال.

والثاني: الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي.

فالأول تفريط والثاني إفراط.

[ومن علامات تعظيم الأمر والنهي أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً غير مستقيم على المنهج الوسط.

مثال ذلك: أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخيص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقارنة خروجه فيكون مترخصاً جافياً، وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ويفعل العبادة بتكره وضجر، فمن حكمة الشارع أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر فيصلّي العبد بقلب حاضر ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى.

ومن هذا نهي أن يصلي بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول والغائط، لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة، ولا يحصل المراد منها، فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله فيعمله ثم يفرغ قلبه للصلاة، فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى ونصب وجهه له وأقبل بكليته عليه، فركعتان من هذه الصلاة يغفر للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه. والمقصود أن لا يترخص ترخصاً جافياً.

ومن ذلك أنه أرخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر، وتعذر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير وتعذر التزول أو تعسيره عليه، فإذا أقام في المنزل اليومين والثلاثة أو أقام اليوم فجمعه بين الصلاتين لا موجب له لتمكنه من فعل كل صلاة في

وقتها من غير مشقة، فالجمع ليس سنة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد، بل الجمع رخصة، والقصر سنة راتبة، فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان له عذر أو لم يكن، وأما جمعه بين الصلاتين فحاجة ورخصة فهذا لون وهذا لون.

ومن هذا أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة، فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التخممة والامتلاء، فيتطلب ما يصرف به الطعام فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ويدع الطعام وهو يشتهي، وميزان ذلك قول النبي ﷺ { ثُلْتُ لَطْعَامِهِ وَثُلْتُ لَشْرَابِهِ وَثُلْتُ لِنَفْسِي } (١) (٢) ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده.

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي؛ فهو كمن يتوسوس الوضوء متغاليا فيه حتى يفوت الوقت أو يردد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة أو يكاد تفوته الركعة. أو يتشدد في الورع حتى لا يأكل شيئا من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه، ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئا من بلاد الإسلام، وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى، ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحسن الظن بالنصارى، نعوذ بالله من الخذلان.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال،

(١) الترمذي الزهد (٢٣٨٠)، ابن ماجه الأطلعة (٣٣٤٩)، أحمد (١٣٢/٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، حديث رقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه في كتاب الأطلعة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، حديث رقم (٣٣٩٢). ولفظ الحديث عند الترمذي: " عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقْمَنُ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فُتِلْتُ لَطْعَامِهِ وَثُلْتُ لَشْرَابِهِ وَثُلْتُ لِنَفْسِي ". قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح اهـ.

فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عَلَيْكُمْ بِسَالِكِهِ [(١)] .

وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان:

إما إلى تفريط وإضاعة.

وإما إلى إفراط وغلو.

[فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين؛ فإنه يأتي إلى قلب العبد فيستامه، فإن وجد فيه فتورا وتوانيا وترخيصا أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذرا وجدا وتشميرا ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسول له: إن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعا، وإذا توضأ للصلاة فاغسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجازة وتعدي الصراط المستقيم كما يحمل الأول على التقصير دونه، وأن لا يقربه، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم هذا بأن لا يقربه، ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه.

وقد فتن بهذا أكثر الخلق، ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ وإيمان وقوة على محاربتة ولزوم الوسط، والله المستعان [(٢)] .

ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له؛ هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد.

وقد نهى الله عن الغلو بقوله: **{ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ**

(١) ما بين معقوفتين من كلام ابن القيم في كتابه الوابل الصيب ص ٢٢ - ٢٤ .

(٢) ما بين معقوفتين من كلام ابن القيم في كتابه الوابل الصيب ص ٢٥ .

أَلْحَقِ { (١) (المائدة: من الآية ٧٧). والغلو نوعان:

نوع يخرج عن كونه مطيعا، كمن زاد في الصلاة ركعة أو صام الدهر مع أيام النهي أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق أو سعى بين الصفا والمروة عشرا أو نحو ذلك عمدا.

وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار، كقيام الليل كله، وسرد الصيام الدهر أجمع بدون صوم أيام النهي، والجور على النفوس في العبادات والأوراد الذي قال فيه النبي ﷺ { **إِنَّ [هَذَا] الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَأَسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ** } (٢) (٣) يعني استعينوا على طاعة الله بالأعمال في

هذه الأوقات الثلاثة، فإن المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسير فيها.

وقال: { **لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ [فَلْيَقْعُدْ]** } (٤) (٥) رواهما البخاري.

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: { **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا** } (٦) (٧) وهم

(١) سورة المائدة آية: ٧٧.

(٢) البخاري الإيمان (٣٩) ، النسائي الإيمان وشرايعه (٥٠٣٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، حديث رقم (٣٩) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) البخاري الجمعة (١٠٩٩) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٤) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٤٣) ، أبو داود الصلاة (١٣١٢) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٧١) ، أحمد (١٠١/٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب ما يكره من التشدد في العبادة ، حديث رقم (١١٥٠) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب ذلك ، حديث رقم (٧٨٤). ولفظ الحديث عند البخاري: عن أنس بن مالك قال: دخل النبي فإذا جبل ممدود بين السارين ، فقال: ما هذا الجبل؟ قالوا: هذا جبل لزيب ، فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي لا ، حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد.

(٦) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (٣٨٦/١).

(٧) أخرجه مسلم في كتاب العلم باب هلك المتنتعون ، حديث رقم (٢٦٧٠) ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

المتعمقون المتشددون.

وفي صحيح البخاري عنه: { عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا } (١) (٢).

وفي السنن عنه أنه قال: { إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بَرَفِقٍ وَلَا تُبَعْضَنَّ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ } (٣) (٤) أو كما قال.

وقوله: وَلَا يُحْمَلَا عَلَى عِلَّةٍ تُوهِنُ الْإِتْقِيَادَ.

يريد: أن لا يتأول في الأمر والنهي علة تعود عليهما بالإبطال، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بأنه معلل بإيقاع العداوة والبغضاء والتعرض للفساد فإذا أمن من هذا المحذور منه جاز شربه.

(١) البخاري الرقاق (٦١٠٠)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٢)، النسائي القبلة (٧٦٢)، ابن ماجه الزهد (٤٢٣٨)، أحمد (٢٦٨/٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم (١١٥١) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعى في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب ذلك، حديث رقم (٧٨٥). ولفظ مسلم: "عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله وعندي امرأة فقال: من هذه؟ فقلت: امرأة لا تنام تصلي. قال: عليكم من العمل ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا. وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه". (٣) أحمد (١٩٩/٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، (٢٠ / ٣٤٦، تحت رقم ١٣٠٥٢، الرسالة)، من حديث أنس بن مالك وهو مما وجده عبد الله بخط أبيه في كتابه، وفي سننه عمرو بن حمزة، ضعفه الدارقطني، وللمتن شواهد يرتقي بها إلى الحسن لغيره، كما قال محققو المسند، وذكروا من شواهد ما أخرجه البيهقي (٣ / ١٩) من حديث أنس وزاد فيه: "ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك، فإن الميت لا سفرا قطع، ولا ظهرا أبقى، فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا، واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا في سننه مولى عمر بن عبد العزيز لا يعرف، وينحوه عند القضاعي في مسنده (٢ / ١٨٤)، تحت رقم ١١٤٧ (عن جابر بن عبد الله، وفي سننه يحيى بن المتوكل، كذاب، ولفظ حديث أنس عند أحمد في المسند: قال عبد الله وجدت في كتاب أبي بخط يده: حدثنا زيد بن الحباب، قال أخبرني عمرو بن حمزة، حدثنا خلف أبو الربيع إمام مسجد سعيد بن أبي عروبة، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق.

وقد بلغ هذا بأقوام إلى الانسلاخ من الدين جملة.

وقد حمل طائفة من العلماء أن جعلوا تحريم ما عدا شراب خمر العنب معللا بالإسكار،
فله أن يشرب منه ما شاء ما لم يسكر.

ومن العلل التي توهن الانقياد: أن يعلل الحكم بعلة ضعيفة لم تكن هي الباعثة عليه في
نفس الأمر؛ فيضعف انقياد العبد إذا قام عنده أن هذه هي علة الحكم، ولهذا كانت طريقة
القوم عدم التعرض لعلل التكليف خشية هذا المخذور.

وفي بعض الآثار القديمة: { " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَقُولُوا: لِمَ أَمَرَ رَبُّنَا؟ وَلَكِنْ قُولُوا: بِمِ
أَمَرَ رَبُّنَا؟ } .

وأیضا فإنه إذا لم يمثل الأمر حتى تظهر له علته لم يكن منقادا للأمر، وأقل درجاته أن
يضعف انقياده له.

وأیضا فإنه إذا نظر إلى حكم العبادات والتكاليف مثلا، وجعل العلة فيها هي جمعية
القلب والإقبال به على الله فقال: أنا أشتغل بالمقصود عن الوسيلة، فاشتغل بجمعيته وخلوته
عن أورااد العبادات فعطلها، وترك الانقياد بحمله الأمر على العلة التي أذهبت انقياده.

وكل هذا من ترك تعظيم الأمر والنهي، وقد دخل من هذا الفساد على كثير من
الطوائف ما لا يعلمه إلا الله، فما يدري ما أوهنت العلل الفاسدة من الانقياد إلا الله، فكم
عطلت لله من أمر، وأباححت من نهي، وحرمت من مباح، وهي التي اتفقت كلمة السلف
على ذمها " اهـ (١).

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٩٦ - ٤٩٨).

الختامة

إن كل أمور الشرع تدل بوضوح أنه دين الحنيفية السمحة، دين اليسر؛ فلا غلو في الدين.

إلا أن هاهنا قضية مهمة يحسن أن أذكر بها في ختام هذه الرسالة، وهي: أن هذه الأدلة تقرر سماحة الدين ويسره ووسطيته، وأنه دين ينافي الغلو والتشدد، بمعنى أن ما ثبت كونه من الدين فهذه صفته، لا بمعنى أن يأتي شخص ما بعقله وتفكيره فما رآه وسطا قال: هو الدين!

فالوسطية في الدين، أي ما ثبت أنه دين فهو يسر.

والرسول ﷺ يقول: { **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي**

الدِّينِ }^(١)، فما ثبت أنه من الدين فهو اليسر وهو الحنيفية السمحة، وهو الذي لا تشدد في أخذه، ولا غلو فيه، ولا عسر فيه.

وقال ﷺ { **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا**

وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ }^(٢)، فقال: الدين يسرٌ فما ثبت أنه من الدين فهو يسر.

وصل اللهم على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

(١) ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩)، أحمد (٢١٥/١).

(٢) البخاري الإيمان (٣٩)، النسائي الإيمان وشرايعه (٥٠٣٤).

المحور الأول

الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة

مظاهر الوسطية في الإسلام

للدكتور

سليمان بن إبراهيم العايد

مظاهر الوسطية في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

الحديث عن مظاهر الوسطية في الإسلام حديث ذو شجون، لأنها كثيرة متغلغلة في جميع عقائده، وفرائضه، وشرائعه، ولو أردنا الحديث عنها حديثا شاملا لكتبنا كل ما كتب عن الإسلام من عقائد، وأحكام، عبادات ومعاملات، علاقات وسياسات... إلخ، ولكننا في مقام لا يتسع إلا لقليل مما في شرائع الإسلام الواسعة، وأحكامه الشاملة، التي تشمل حياة الإنسان كلها.

إن الإسلام هو الدين الحق { **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** }^(١) [آل عمران: ١٩]،

{ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ** }^(٢) [آل عمران: ٨٥].

وهو الدين الخاتم الذي تكفل الله بحفظه، وإظهاره. { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ**

بِأَهْدَىٰ وَدِينٍ لِّظَهْرِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }^(٣) [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

وقد اصطفى الله لخير الأديان وأكملها خير الأمم وأكملها على تفاوت في خيرية

أفرادها { **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ**

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }^(٤) [فاطر: ٣٢]

بعد قوله { **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ**

(١) سورة آل عمران آية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران آية: ٨٥.

(٣) سورة الصف آية: ٩.

(٤) سورة فاطر آية: ٣٢.

بِعِبَادِهِ لِحُبِيرِ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ { (١) [فاطر: ٣١].

فالأمة ثلاث فئات، أو ثلاثة أصناف، رتبت في الآية على حسب كثرتها وقتلتها، فالطائفة الأولى (الظالمون لأنفسهم) هم الأكثر، ثم يأتي الأقل، وهم - ما بين مقتصد إلى سابق - أفراد من هذه الأمة المصطفاة.

وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها على يد محمد ﷺ { أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (٢) [المائدة: ٣] بعد أن أيأس الله (عز وجل) الكفار من أن يبطلوا هذا الدين أو يغلّبوه { أَلْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ } (٣) [المائدة: ٣]. وانظر تفسير القاسمي (٦ / ١٨٢٩ - ١٨٣٠).
وجعل أمة هذا الدين خير أمة أخرجت للناس { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (٤) [آل عمران: ١١٠].

وهذا كامن في سر دينها أكمل الأديان وأوفاهما، وهو دين رباني بعقائده، وأصول شرائعه، ترك للبشر الاجتهاد في تنفيذه، وتطلب أفضل الطرق لتحقيقه واقعا في الأرض، بحسب طاقتهم وما أمكنهم الله فيه من العلم، وجعل هذا واجبا لازما في عنق هذه الأمة إلى قيام الساعة { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } (٥) [يوسف: ١٠٨].

وما جعله الله بهذه المترلة، وهذه المثابة إلا لما يحمله من مزايا ذاتية، أهمها الوسطية،

(١) سورة فاطر آية: ٣١.

(٢) سورة المائدة آية: ٣.

(٣) سورة المائدة آية: ٣.

(٤) سورة آل عمران آية: ١١٠.

(٥) سورة يوسف آية: ١٠٨.

والحديث عنها - كما أسلفنا - متشعب، ذو فروع، لا يمكن الإتيان عليها كلها في مقالة أو كلمة، ولكن لنا أن نبرز أهم مظاهر الوسطية في الجوانب التالية: الفردية، والاجتماعية، والتشريعية:

مظاهر الوسطية في الجانب الفردي

(١) الجانب الفردي: إذ حمل الإسلام الإنسان مسئولية عمله، ولم يحمله مسئولية عمل غيره، مهما بلغت القرابة، ما لم يكن طرفاً أو سبباً.

{ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٦﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٨﴾ } (١) [النجم: ٣٦ - ٣٩]، { وَكُلًّا إِذْ نَسِنَ أَلْمَنَّهُ طَبِيرُهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٥﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٦﴾ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ } (٢) [الإسراء: ١٣ - ١٥].

وهذه القيمة لها أثرها في حياة الإنسان وسلوكه، وتحمله المسئولية، وتحقيق العدالة والمساواة بين الخلق، وهي أصل ومبدأ من مبادئ الإسلام الراسخة، تقصر دونه كل المبادئ والقيم الأخرى، وقد رتب على هذا أن الجزاء مرتب على العمل، فلا أحد يظلم بحمل وزر غيره { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ } (٣) [فاطر: ١٨] إلا إذا سلكت سبيل المضلين { وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۗ } (٤) [العنكبوت: ١٣]. فإنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله من أوزارهم، القاسمي (١٤ / ٤٩٧٩).

(١) سورة النجم الآيات: ٣٦ ، ٣٩ .

(٢) سورة الإسراء الآيات: ١٣ - ١٥ .

(٣) سورة فاطر آية: ١٨ .

(٤) سورة العنكبوت آية: ١٣ .

ولا أحد يعطى ثمرة عمل غيره ليحرم منها العامل، ولا يستحق أحد المكافأة إلا بعمل صالح، لا ينفعه في ذلك نسب أو حسب أو جاه، وهذه مبادئ لو طبقت في واقعنا العملي الحيوي لكان للمسلمين شأن آخر، وإنما أتى المسلمون من الغفلة عنها.

ومما يتعلق بالمسئوليات التوزيع العادل للمسئولية الاجتماعية قال ﷺ { **أَلَا كُتِّبُكُمْ رَاعٍ، وَكُتِّبُكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُتِّبُكُمْ رَاعٍ، وَكُتِّبُكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** } ^(١). أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم (كتاب الإمارة ح ٢٠).

وقد دأب كثير من الناس على رمي غيرهم بالتقصير ونسيان أنفسهم تزكية لها، وكأنهم غير مسئولين، إن كل فرد في هذا المجتمع يحمل جزءا من المسئولية العامة فيه، مهما صغر هذا الجزء، إذ كل مسلم على ثغرة من ثغرة الإسلام، فلا يؤتین الإسلام من قبله. ولو أصلح كل واحد نفسه، وقام بالواجب عليه نحو غيره من نصح وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وسائر ما أمر به الشارع، وحده من الحقوق، لم يكن ثمة خلل، لكن أكثر القوم يتخلون عن مسئوليتهم، ويستبدلون بها كلاما في النقد، يوزع على حملة المسئولية، من ولاة وعلماء وأصحاب شأن، وكأنهم المعنيون بـ { **مَنْ قَالَ هَلَكَ الْمُسْلِمُونَ فَهُوَ**

أَهْلَكُهُمْ } ^(٢). إن الذين لا يعملون ولا يشعرون بوطأة العمل، وثقل المسئولية هم أجرأ الناس على النقد غير البصير، وهم أجرأ الخلق على إدانة غيرهم، وتبيان ما يظنون قصورا وعيبا فيهم، لأن المشغول بالعمل الجاد معني بإتقان عمله، وإصلاح نفسه، ودرء عيوبها، لا

(١) البخاري العتق (٢٤١٦)، مسلم الإمارة (١٨٢٩)، الترمذي الجهاد (١٧٠٥)، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٢٨)، أحمد (١٢١/٢).

(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٢٣)، أبو داود الأدب (٤٩٨٣)، أحمد (٤٦٥/٢)، مالك الجامع (١٨٤٥).

يشمت بمقصر، ولا يفتات على محسن، ولا يبهت بريئا؛ لأن له من دينه وشغله صارفا عن الاشتغال بغيره وذمه، ينظر إلى المحسنين فيدعو لهم بالتوفيق وأن يكون مثلهم، وينظر إلى المقصرين، فيدعو لهم بإقالة عثراتهم، وأن يعافيهم مما ابتلاهم به، في حين ينظر البطالون إلى المقصرين فيشمتون بهم، ويشيعون عنهم قالة السوء.

وقد أتم الإسلام هذه القيمة بأحكام تتعلق بالغبية والبهتان، والحسد والضغينة والتحقير، فعالج هذه علاجا خلقيا، ليس هذا مقام بسطه.

قد يستغرب البعض إقحام المسؤولية في مظاهر الوسطية، وليته يذكر ما تنادي به بعض الطوائف من تقسيم الخلق إلى أصحاب الحقيقة وأصحاب الشريعة، ومن إسقاط الواجبات الشرعية عن بعض، ومن تحمل بعض آخر المسؤولية عن آخرين، ومن زعم البعض العصمة لمتبوعيه.

ومن مظاهر الوسطية في مصادر العلم الشرعي غلو فئة حتى لا تقر بغير القرآن مصدرا، ويجرها ذلك إلى إنكار السنة، وعدم الانقياد لها، أو جهلها وإهمالها، وكان هذا مبدأ نشأة الخوارج الذين غلوا في القرآن حتى قال رسول الله ﷺ { تَسْمَعُ لَصَوْتِهِمْ دَوِيًّا كَدَوِيِّ النَّحْلِ }.

غير أنهم أهملوا سنته ﷺ فكان أن عملوا بمتشابه القرآن، وعموماته ومطلقاته التي تحتاج إلى سنته ترفع تشابهها، أو تخصيص يخصص عمومها، أو قيد يقيد مطلقها، وهذه الطائفة تتكرر في كل زمان، ولعلها الفئة التي أشار إليها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوله: ((إِنَّهُ سَيَأْتِي أُنَاسٌ يَأْخُذُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ)) (شرح السنة للبغوي ١ / ١٩٢ تحقيق صقر). والمتأمل في كثير من مسائل الضلالة، يجدها تعود إلى هذا الباب.

وهذا العمل يؤدي إلى غلو الإنسان بنفسه، وأن يضعها في مكانة فوق ما تستحقه، حتى إنه ليظن أنه أحاط بالشرعية علما، وليس لديه إلا أقل القليل من نصوص لعله لم

يحسن فهمها، ولم يع فقهها، ثم يحاكم الأمة إلى علمه هذا، ويرفض كل فقه أو علم لدى من سبقوه في أبواب العلم والفقه لرجال أفنوا أعمارهم، وأخلصوا تجاربهم له، ظنا منه أن هؤلاء قد حيل بينهم وبين الفهم السليم والفقه الراشد.

{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ } (١) [النساء: ٨٣] ((وفي هذا إنكار على من يبادر إلى الأمور

قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة)) [ابن كثير ٣٢١/٢]. وهذا نظير ما يفعله كثير من المبادرة والتسابق إلى نشر أشياء وأخبار وأقوال وإشاعات لم يتأكد من صحتها، ولعلها نقلت على غير وجهها، أو فصلت عن سياقها، أو لم تقع، ومع ذلك يظنون معهم العلم كله، وما معهم إلا ظنون وإشاعات وشيء من الأخبار، الله أعلم بصحتها.

وكان اللائق بهم أن يضعوا أنفسهم موضع السائل سؤال التبين والتعلم فيما يحتاج إليه من أمر الدين { فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ } [النحل: ٤٣] { فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۗ } (٣) [يونس: ٩٤] وبالسؤال تبين الحقيقة وتتأكد.

وكل هذا إنما يقع لمخالفة القصد والتوسط في تحصيل العلم ونشره وأيا كان هذا العلم.

لا أريد أن أدخل في صفات طالب العلم، ولا في صفات العلم النافع، ولا واجبات أهل العلم، لأن هذا معروف مقرر ويخرج بنا عن أصل الكلام. وإنما أريد أن أؤكد ما

(١) سورة النساء آية: ٨٣.

(٢) سورة النحل آية: ٤٣.

(٣) سورة يونس آية: ٩٤.

يقوله أهل العلم من أن من ((أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقيق به أخذه عن أهله المتحقيقين به على الكمال والتمام)) (الموافقات ١ / ٥٦) وما قيل من ((أن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتاب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال)) (الموافقات ص ٥٧) وهذا يفهم منه أن العالم لا بد ((أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم، وملازمته لهم)) (الموافقات ١ / ٥٨).

فالعلم لا يتكون من القراءة وحدها، وإنما يتكون من الخلطة بأهل العلم ومجالستهم، وهو ما يفقد لدى كثير من المنتسبين للعلم.

وكل انحراف أو زيغ في طريقة تحصيل العلم أو التأدب بآدابه، أو أداء حقه وواجبه، إنما مرده إلى شيء من الغلو في طريقة من طرق العلم، تفقد نوره وبهائه، وتذهب ببركته.

مظاهر الوسطية في الجانب الاجتماعي والإنساني

(٢) الجانب الاجتماعي والإنساني: لا يمكن للإنسان مسلماً كان أو غيره أن يعيش وحده منعزلاً عن المجتمع، مفرداً لا يختلط بغيره؛ لأن الإنسان مدي بالطبع، ويتعين على المسلم أن يكون إيجابياً في هذه الحياة، وعنصراً مؤثراً { **الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ** **أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِّنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ** }^(١) كما جاء في بعض الآثار.

وقد أساء بعض من غلا مفهوم العزلة، واستجاب لسلبية لم تأمر بها شرائع الإسلام، بل فيها تحريف وسوء فهم لـ ((بخاصة نفسك)) كما أن بعض الناس حاول أن يؤسس لعزلة نفسية، من شأنها أن تشعر المعتزل بتميز ما عن سائر المجتمع، وهي ذات آثار على النفس، وعلى مفاهيم الشخص غير مستساغة ولا مقبولة؛ لأنها تغرس لدى المعتزل استعلاء لا يليق بخلق المؤمن { **تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ نُجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا**

فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }^(٢) [القصص: ٨٣].

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٧)، ابن ماجه الفتن (٤٠٣٢).

(٢) سورة القصص آية: ٨٣.

ثم إن الإسلام نظم العلاقة بين أطراف المجتمع الحاكم والمحكوم، فجعل للحاكم حق الطاعة ما لم يأمر بمعصية، وحق النصح، وحرّم غشه. وجعل للمحكوم على الحاكم حق الرحمة والرأفة، والنصح بأن يبحث، ويتطلب له ما فيه خيره ومصالحته في الدنيا والآخرة، فإذا قام كل طرف بما عليه استقامت الحياة وآتت ثمارها وأكلها بإذن ربها.

فحرم على المحكوم أن يخرج على حاكمه، حتى إنه أمر بقتل من جاء المسلمين وهم مجتمعون على رجل واحد يشق وحدتهم، وينتزع الولاية، وحرّم على الحاكم غش الرعية، حتى جاء الوعيد بحقه في قول رسول الله ﷺ { **اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ** } ^(١) (أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ١٩).

وقوله: { **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** } ^(٢) (أخرجه البخاري ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة ح ٢١).

فجعل عقاب الحاكم إليه، وعقابه أنكى، ولئلا يتناول الناس، وجعل عقاب المحكوم إلى خلقه لئلا يتجرعوا على ولائهم، وبهذا تستقيم، وتستقر الأوضاع. وقد أتى المسلمون من خلل في هذا الجانب، والإعراض عن ضوابطه الشرعية بمصائب كثيرة ابتداء من فتنة الدار إلى عصرنا الحاضر، فتجد من لا يرى طاعة الحاكم بالمعروف من طاعة الله، وتجد من يلتمس عيوباً وأوجه القدح، ويتأول أشياء وأعمالاً على ما تزينه له نفسه باسم الإسلام والإصلاح على نحو مما تعمله الأحزاب السياسية.

ومن العلاقات الاجتماعية ما رتبته الإسلام بين المسلمين، وما أوجبه من حقوق لبعضهم على بعض، وهي حقوق متكافئة، للمسلم مثل ما عليه، وهي حقوق - لو أدت - تكفل استقرار المجتمع المسلم وتوازنه، وتحفظ عليه الضروريات الخمس (الدين، النفس، النسل،

(١) مسلم الإمارة (١٨٢٨)، أحمد (٢٥٨/٦).

(٢) البخاري الأحكام (٦٧٣١)، مسلم الإيمان (١٤٢)، أحمد (٢٧/٥)، الدارمي الرقاق (٢٧٩٦).

المال، العقل) وتبني مجتمعا يسوده الحب والألفة، يعرف كل فرد فيه مكانه وحدود مسؤوليته، وواجبه، بحيث لا يتعدى ذلك أو يقصر عنه، وقد حدد الإسلام مسؤولية الفرد في المجتمع بمثال حي، جاء في السنة النبوية: { مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا }^(١) (أخرجه البخاري في كتاب الشركة ح ٢٤٩٣ والشهادات ح ٢٦٨٦).

فليس في المجتمع المسلم عنصر مهمل يخلى من المسؤولية، فكل موكل بالألأ يؤتى الإسلام من قبله. ولو وعى المسلمون هذه الحقيقة لتخلصنا من كثير مما نعاني منه في حياتنا الاجتماعية، وهذه الصورة تحفظ المجتمع المسلم.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل بيني الإسلام علاقة متوازنة بين المسلمين وغيرهم من حيث الحقوق والواجبات؛ إذ البشرية كلها فريقان { فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ }^(٢) والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، غير أن هذه الولاية لا يلزم منها إعطاؤهم حق الظلم لغيرهم والكفار بعضهم أولياء بعض، ولكن الكفار لا يجوز ظلمهم أو سلب حقوقهم، بل لهم حقوق شرعت، وطرائق في معاملتهم سنت، ومظالم لو وقعت تعين رفعها { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ }^(٣) [المائدة: ٨]. بل نهينا عن الاعتداء مع منع الحقوق { وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ

(١) البخاري الشركة (٢٣٦١)، الترمذي الفتن (٢١٧٣)، أحمد (٢٧٠/٤).

(٢) سورة التغابن آية: ٢.

(٣) سورة المائدة آية: ٨.

شَتَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۗ { (١) [المائدة: ٢].

إن كثيرا من الخطاب الإسلامي الشائع على ألسنة بعض الدعاة والشباب يفقد توازنه مع غير المسلمين، وكأنه يوجب نمطا واحدا من المعاملة والخطاب، وما من شك أنهم أصناف وفئات، وللخطاب مقتضيات ومقامات، وللمتكلم أحوال وصفات، كلها توجب تعدد الخطاب وأن يكون مناسبا. لم يكلف محمد ﷺ إرغام الناس على الدخول في الإسلام { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (٢) [يونس: ٩٩]، وفرق بين العرب في جزيرة العرب وغيرهم، فلم يقر المشركين العرب في الجزيرة على شركهم، وإن سوغ أخذ الجزية من عرب أهل الكتاب في غير الجزيرة، وقد نظم الإسلام العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، والمعاهدين والمحاربين من أهل الكتاب وغيرهم تنظيما لا مزيد عليه، غير أنه يحلو لكثير من المشتغلين بالدعوة أن يبرزوا وجهها واحدا من هذه المعاملة ويدعوا الباقي، مما يجعل المسلمين هدفا لأعدائهم، وهم ليسوا مؤهلين لمعاداة أهل الأرض لأوضاع لا تخفى على أحد، وهذا كله من غيبة الفقه، ونزوع البعض إلى نمط واحد من الخطاب، وكأنه المتعين، على الرغم من اختلاف المقامات والمقتضيات.

إن الله حرم على المؤمنين موالاة الكفار، لكنه لم يمنع البر والإحسان إليهم { لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (٣) [المتحنة: ٨ - ٩] وقد ترك أمر الإحسان إليهم، واصطناع المعروف لديهم لتقدير المصلحة، أما الصنف الأول فالبر به والإحسان إليه هو الأولى

(١) سورة المائدة آية: ٢.

(٢) سورة يونس آية: ٩٩.

(٣) سورة المتحنة الآيتان: ٨، ٩.

لظهور المصلحة وغلبة الظن بتحققها.

وقد تؤخذ آيات في طوائف من الكفار، وتطبق على آخرين، والأمر مختلف {
فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ^١ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ^٢
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ }^(١) [التوبة: ٥].

هذا في مشركي العرب في جزيرة العرب، أما أهل الكتاب ففيهم { قَتِلُوا الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ }^(٢)
[التوبة: ٢٩].

تفاوت الشرائع

(٣) تفاوت الشرائع: ليست الشرائع على درجة واحدة، فهناك ما هو ركن، وما هو
واجب، وما هو مستحب... الخ، وكذلك المحظورات ذات درجات.
فالشرائع من شعب الإيمان، والمحظورات من شعب الكفر، ومن أصول أهل السنة أنه
يمكن أن يجتمع في الشخص الواحد كفر وإيمان، ويكون الشخص مؤمناً، في حين يسوي
أهل الغلو بين شرائع الإسلام، فيكفرون بكل ذنب ولو كان دون الشرك، في حين خالف
المرجئة، واكتفوا بمجرد التصديق، وقالوا: لا يضر ذنب مع التصديق. والوسط: هو قول
أهل السنة، كما هو معلوم مفصل في موضعه.

ومن مظاهر الوسطية في الإسلام عدم إلزام الناس بطريقة واحدة، أو نمطا واحدا من
أنماط البر، فهناك الصائم، والقائم، والذاكر، والعالم، والمجاهد، وفاعل المعروف،
والمتصدق.. الخ، وكلهم يؤدي شيئا من الإسلام، ومجموع أعمالهم تمثل شريعة الإسلام

(١) سورة التوبة آية: ٥.

(٢) سورة التوبة آية: ٢٩.

الواسعة الشاملة، وهذا التنوع ليس مسوغا لتقصص، ولا يدل على تمايز عند الله، وللجنة أبواب ثمانية، كل باب لضرب من ضروب البر.

وهذا يفتح بابا واسعا في النظر والدعوة؛ إذ علينا أن نفيد من جميع المسلمين ذكورهم وإناثهم، محسنهم ومقصرهم، كما كان يفعل سلف هذه الأمة، ففي جيش سعد، كان أبو محجن الثقفي، وكان القصاص، والقراء، والفرسان... الخ، كل منهم يؤدي ما أقدره الله عليه، والله يتولى جميع عبادته.

إن ما يقال إن بعض المنتسبين للدعوة يفعله من رفض من لديه شيء من التقصير والإخلال أمر يجب أن نراجع فيه أنفسنا، ليتوحد الصف الإسلامي بكافة شرائحه كل بإمكانه، هذا بفكره، وذاك ببدنه، وآخر بماله، ورابع برأيه، وخامس بدعائه... الخ، ولنتخلص من تصنيف الناس إلى بر يصلح لكل عمل، وفاجر لا يصلح مطلقا.

وبعد. إن الوسطية ليست شعارا يرفعه مدعوه بل هي ممارسة عملية في واقع الحياة.

{ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ

اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ { (١) [النساء: ١٢٣].

والمعنى - كما قال ابن كثير - ((إن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني، وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: إنه هو الحق سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان)) (تفسيره ٢ / ٣٧٠).

إن الوسطية هي سمة الإسلام في عقائده، وشرائعه، وأنظمتها، وأخلاقه. فهو وسط بين الغلو والتقصير: في عقائده بين التشبيه والتعطيل، والجبر والقدر مثلا، وفي التربية والسلوك بين الأمن والإياس. (ينظر شرح الطحاوية ٥٨٦ - ٥٨٨).

فيعبد الله بالحب والخوف والرجاء، وتلك عبادة المؤمنين. (ينظر شرح الطحاوية ٣٧٢).

إن الوسطية في الإسلام مؤسسة تأسيسا محكما، ولا تتم صورتها إلا بمراعاة ما يلي:

(١) سورة النساء آية: ١٢٣.

- ١ - الشمول الذي يجعل الإسلام مهيمنا على الحياة كلها بأنظمتها وأنشطتها المختلفة، وبأعمال الإنسان المتنوعة، فلا يشذ عن الدين أي عمل يعملُه { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(١) [الأنعام: ١٦٢].
- ٢ - التوازن بين الأطراف المختلفة؛ بحيث لا يحصل حيف لطرف على طرف، ولا لجانب على جانب.
- ٣ - تحقيق المقاصد الشرعية بحسب مرتبتها وأولويتها من ضروري، وحاجي، وتحسيني بحسب التمايز المتحقق، ولا تجوز التسوية بين هذه الدرجات إلا عند من لا فقه لديه، وحديثي العهد بالعلم.
- ٤ - اتساع الصدور لاستيعاب المخالف فيما يسوغ فيه الخلاف، خاصة المجتهد، ومن يمكن التماس عذر له.
- ٥ - وضوح الأصول الاعتقادية، لتكون منطلقا لغيرها من الأعمال.
تم بحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

(١) سورة الأنعام آية: ١٦٢.

المحور الثاني

دلالة القرآن على سماحة الإسلام ويسره

مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها

للدكتور

ناصر بن عبد الله الميمان

المحور الثاني دلالة القرآن على سماحة الإسلام ويسره مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد: فإن الدين الإسلامي اليوم يواجه تحديات كبيرة وهجمة شرسة على مبادئه، وفي سبيل ذلك تلصق به التهم والشبهات التي هو بريء منها، ومن ذلك: وصف أعداء الإسلام له بأنه دين العنف والإرهاب ومناوأة السلام والسلم الدوليين، وأن لديه من القيم والمناهج ما يتناقض مع ما تقرره العقول السليمة.

والمنصف يعلم أن هذه التهم كلها من باب الزور والبهتان والقول بلا علم، وأنها محض دعايات لا توجد عليها الأدلة والبراهين.

بل إن مبادئ الإسلام وأصوله قائمة على ما يحفظ السلم والسلام، وقيم العدل والأمن في العالم أجمع، وبين أبناء البشر بلا تفرقة أو ميز، ويوفق بين حاجاتهم وواجباتهم، ويكفل لهم الحقوق الإنسانية التي تحفظ النسل البشري والعقل الإنساني، ومقومات الحياة المادية والاجتماعية.

لذا أحببت في هذه العجالة المختصرة أن أشير إلى أصل عظيم، وسمة بارزة من سمات هذا الدين، ألا وهي: "السماحة واليسر في الإسلام"، وقد سقت في ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على هذا الأصل، ووضحت مفهوم السماحة من خلال كلام العلماء، وذلك ضمن المباحث التالية:

* المبحث الأول - معنى اليسر والسماحة.

* المبحث الثاني - مفهوم اليسر والسماحة في الإسلام.

* المبحث الثالث - أدلة اليسر والسماحة في الكتاب والسنة.

* المبحث الرابع - دلالات النصوص المذكورة، وما شابهها.

وإن موضوع هذا البحث موضوع جليل القدر، عظيم الشأن، عميم الفائدة، واسع المجال، لا يمكن استيعابه في مثل هذه العجالة، لكن حسبنا أن نشير هنا إلى ملامحه البارزة وخطوطه العريضة.

وأسأل الله جل وعلا التوفيق والسداد، وأن يكون هذا البحث مسهما في إزالة الشبهات ودرء الظلم عن الشريعة الإسلامية، وأسأله جل وعلا أن ينفع به قارئه وكتابه، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول معنى اليسر والسماحة

أ - معنى اليسر لغة: اليسر - بضم الياء وسكون السين، وبضمهما -: اللين والسهولة، والانقياد، ضد العسر. والتيسير: مصدر يسر الأمر، إذا سهله ولم يعسره، ولم يشق على نفسه أو غيره فيه (١).

ومعناه في الاصطلاح: موافق لمعناه اللغوي، وهو: عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم، أو بعبارة أخرى: هو عمل فيه يسر وسهولة وانقياد (٢).

ومعنى قوله ﷺ { إن هذا الدين يسر } (٣): قال ابن الأثير: " اليسر ضد العسر، أراد أنه سهل سمح قليل التشديد " (٤).

ب - أما السماحة لغة - في هذا الموضع -: فهي مصدر سَمَحَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً وَسُمْوحَةً: أي فعل شيئاً فسهل فيه. والسمح: السهل، والمساحة: المساهلة (٥) قال ابن فارس في مادة " سمح " السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة (٦) و " الحنيفية السمحة ": أي ليس فيها ضيق ولا شدة؛ لكونها مبنية على السهولة (٧).

ومعنى السماحة في الاصطلاح مثل معناها اللغوي، وقال بعضهم: " هي السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه. ومعنى كونها محمودة: أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد " (٨).

ويتبين مما سبق أن اليسر والسماحة قريبان في المعنى، يعينان السهولة واللين والسعة ورفع الحرج والضيق والمشقة ونحو ذلك من المعاني الدالة على السلاسة والسهولة.

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٧٦؛ لسان العرب " يسر " .

(٢) انظر: فيض القدير ٢ / ٣٢٦؛ ومحاسن التأويل (تفسير القاسمي) ٣ / ٤٢٧ .

(٣) البخاري الإيمان (٣٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث ٥ / ٢٩٥ .

(٥) انظر: لسان العرب " سمح " ، والمصباح المنير ١ / ٢٨٨ .

(٦) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٩٩ .

(٧) انظر: لسان العرب " سمح "؛ وفتح الباري ١ / ١١٦ - ١١٧ .

(٨) مقاصد الشريعة الإسلامية: العلامة محمد الطاهر بن عاشور، ص ٢٦٩ .

المبحث الثاني

مفهوم اليسر والسماحة في الإسلام

إن الله جل شأنه وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة، حفظ فيها على الخلق قلوبهم، وحببها إليهم بذلك، فلو عملوا على خلاف السماحة والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا به ما لا تخلص به أعمالهم، ألا ترى إلى قوله تعالى: { وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ^ع لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ^ع أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ } (١) فقد أخبرت الآية - كما يقول الإمام الشاطبي - أن الله حبب إلينا الإيمان بتيسيره وتسهيله، وزينه في قلوبنا بذلك، وبالوعد الصادق بالجزاء عليه (٢).

فالتيسير صفة عامة للشريعة الإسلامية في أحكامها الأصلية، وكذا في أحكامها الطارئة عند الأعدار، فلا توجد فيها مشقة غير معتادة (٣)؛ لأن " الشارع لم يقصد إلى التكليف بالشاق والإعنت فيه " (٤).

لكن ليس معنى اليسر والسماحة في الدين ترك العمل والتكاسل عن الطاعات والعبادات، كما ليس معنى التشديد فيه الأخذ بالأكمل فيها، كلا بل المراد الالتزام بالتوسط فيها، بلا إفراط ولا تفريط.

نعم، هذا هو المنهج الوسط، وهو صراط الله المستقيم، فلا ميل إلى جانب الإفراط والتعمق والتشديد على النفس وعلى الآخرين، ولا إلى جانب التيسير الشديد والتساهل الذي يصل إلى حد التحلل والانسلاخ من الأحكام.

(١) سورة الحجرات الآية ٧.

(٢) انظر: الموافقات ٢ / ١٣٦.

(٣) قلنا غير معتادة؛ لأن المشقة المعتادة والمألوفة لا تخلو منها الأحكام في الغالب، بل وما سمي التكليف تكليفا إلا لوجود المشقة فيه، كما قال الإمام الشاطبي في المرجع السابق ٢ / ١٢١.

(٤) المصدر نفسه ٢ / ١٢١.

وكما نقل الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن بعض السلف:
" إن دين الله بين الغالي فيه والجاافي عنه " (١).

وفي هذا الصدد أيضا كلام جميل للإمام الشاطبي حيث قال - رحمه الله تعالى -:
" فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلا إلى جهة
طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع، أو متوقع في طرف آخر.
فطرف التشديد - وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر - يؤتى به في
مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين.

وطرف التخفيف - وعامة ما يكون في الترجي والترغيب والترخيص - يؤتى به في
مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحا،
ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه "
اهـ (٢).

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣٩٢؛ وانظر أيضا مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٢٦٨.

(٢) الموافقات ٢ / ١٦٧ - ١٦٨.

المبحث الثالث

أدلة اليسر والسماحة في الكتاب والسنة

لقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، وإجماع الأمة على أن التيسير ورفع الحرج أصل من أصول الشريعة الإسلامية، فكما قال الإمام الشاطبي: إن الأدلة على رفع الحرج عن هذه الأمة بلغت مبلغ القطع " (١) لذلك فسأكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة منها:

أولا - من القرآن الكريم: هناك آيات كثيرة أفادت بصريح اللفظ أو دلالاته اليسر ورفع الحرج عن الأمة، ويمكننا أن نقسم الآيات الصريحة في ذلك إلى المجموعات التالية:

(أ) الآيات المصرحة بإرادة الله تعالى اليسر والتخفيف بهذه الأمة:

(١) كقوله تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (٢) ولا يقال إن الآية نزلت في شأن الرخص في الصيام؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو مقرر عند أهل العلم، قال أبو حيان: " وظاهر اليسر والعسر العموم في جميع الأحوال الدنيوية والأخروية " (٣).

(٢) وقوله تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخْفِفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } (٤) والآية في معرض إباحة نكاح الأمة عند عدم طول الحرية، إلا أن أغلب المفسرين على أن ذلك عام في جميع أحكام الشرع، ويؤيده آخر الآية (٥).

(٣) وقوله تعالى: { وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى } (٦) أي نسهل عليك يا محمد أعمال

(١) الموافقات ١ / ٣٤٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٣) البحر المحيط ٢ / ٤٢؛ وانظر أيضا الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٠١.

(٤) سورة النساء الآية ٢٨.

(٥) انظر: تفسير الرازي ١٠ / ٧٠؛ وتفسير ابن كثير ١ / ٤٩٠.

(٦) سورة الأعلى الآية ٨.

الخير، ونشرع لك شرعا سهلا سمحا^(١).

(ب) الآيات المصروفة برفع الحرج والعنت عن الأمة:

(١) مثل قوله تعالى: { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ } ... الآية^(٢)

والحرج المنفي هنا هو جميع أنواع الحرج؛ لأنها نكرة في سياق النفي، ثم أكد هذا العموم بدخول حرف " من " عليها.

(٢) ونحو ذلك قوله تعالى: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }^(٣) قال

الخصاص عند تفسير آية المائة: " لما كان الحرج هو الضيق، ونفى الله عن نفسه إرادة الحرج بنا، ساغ الاستدلال بظاهره في نفي الضيق وإثبات التوسعة في كل ما اختلف فيه من أحكام السمعيات، فيكون القائل بما يوجب الحرج والضيق محجوجا بهذه الآية " (٤) ونحو ذلك قال غير واحد من أهل العلم^(٥).

(٣) ومن ذلك أيضا ما وصف الله ﷻ به نبيه ﷺ من أنه { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنِتُّمْ } (٦) أي ما شق عليكم وأذاكم وجهدكم^(٧).

(ج) الآيات المصروفة بأن الله لا يكلف العباد إلا بما في وسعهم:

(١) كقوله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } ... الآية^(٨).

(٢) وقوله تعالى: { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }^(١) (٢) ونحوهما من الآيات.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٣٥.

(٢) سورة المائة الآية ٦.

(٣) سورة الحج الآية ٧٨.

(٤) أحكام القرآن ٣ / ٣٩١.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٤٣٢.

(٦) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٧) انظر تفسير الطبري ٢ / ٣٧٥، و ١١ / ٧٦.

(٨) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

والوسع: قال الزمخشري: هو ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه. أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقها، ويتيسر عليها، دون مدى الطاقة والمجهود " (٣). وقال الرازي: " إنه ما يقدر الإنسان عليه في حال السعة والسهولة، لا في حال الضيق والشدة...، وأما أقصى الطاقة فيسمى جهدا، لا وسعا، وغلط من ظن أن الوسع بذل المجهود " (٤).

وكذا قال الإمام الشوكاني عند تفسير هذه الآية: " الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه " (٥).

ومن هنا قرر الفقهاء أن ما عُجِرَ عن أدائه سقط وجوبه، كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - في غير موضع من كتبه بأن الواجبات كلها تسقط بالعجز عن أدائها (٦).

ثانيا - أدلة اليسر والسماحة من السنة النبوية المطهرة:

لما كان من الصعوبة بمكان استقصاء جميع الأحاديث الدالة على اليسر والسماحة في الشرع، لذلك سأكتفي هنا بذكر أبرز الأمثلة، ويمكن تقسيم هذه الأدلة إلى مجموعات - كما فعلنا في أدلة الكتاب - على النحو التالي:

أ - الأحاديث المصرحة بيسر الدين وسماحته، ومنها:

(١) قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه { إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٢، وسورة الأعراف الآية ٤٢.

(٣) انظر: تفسير الكشاف ١ / ١٧٢.

(٤) تفسير الرازي ١٤ / ٨٤؛ وانظر أيضا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤ / ١٣٧ - ١٣٨.

(٥) فتح القدير، ١ / ٣٠٧.

(٦) انظر: القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في كتابي الطهارة والصلاة، ص ٢٦٨، وراجع أيضا مجموع

الفتاوى ٢٦ / ٢٠٣، و ٢٤٣.

غَلْبَهُ، فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشَرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ { (١) (٢)

والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، " فَسَدَّدُوا " أي الزموا الصواب، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط (٣).

(٢) وعن مَحَجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رضي الله عنه قَالَ: { رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، وَيَسْجُدُ وَيَرْكَعُ، وَيَسْجُدُ وَيَرْكَعُ...، وجاء في آخره: " إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ } (٤) وفي رواية: { إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أُرِيدَ بِكُمْ الْيُسْرُ } (٥) (٦).

(٣) وعن الأعرابي الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: { خَيْرُ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ } (٧) (٨).

(٤) وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً: { إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ مَعْتَنَا وَلَا مَتَعْنَتًا،

وَلَكِنْ بَعَثْنَا مَعْلَمَا مَيْسِرًا } (٩) (١).

(١) البخاري الإيمان (٣٩)، النسائي الإيمان وشرايعه (٥٠٣٤).

(٢) رواه البخاري في: ٢ - الإيمان، ٢٩ - باب الدين يسر، وقول النبي " أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة " ١ / ٢٣ (٣٩).

(٣) انظر: فتح الباري ١ / ١١٧.

(٤) أحمد (٣٢/٥).

(٥) أحمد (٣٢/٥).

(٦) رواه الطيالسي في مسنده، ص ١٨٣؛ وأحمد في ٤ / ٣٣٨، و ٥ / ٣٢؛ والبخاري في الأدب المفرد، ص ١٢٤؛ وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٤ / ٣٤٩؛ والطبراني في الكبير ٢٠ / ٢٩٦، وإسناده حسن.

(٧) أحمد (٤٧٩/٣).

(٨) أخرجه أحمد في ٣ / ٤٧٩، وصحح الحافظ إسناده في الفتح ١ / ١١٦.

(٩) مسلم الطلاق (١٤٧٨).

(٥) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: { إِنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَتَعَوَّأَ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبْسِرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ } (٢) (٣).

قال الباجي - رحمه الله تعالى - عند شرح هذا الحديث: هذه سنة من الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا سيما لمن قرب عهده بالإسلام، ولم يعلم منه الاستهانة به، فيعلم أصول الشرائع، ويعذر في غيرها، حتى يتمكن الإسلام من قلبه؛ لأنه إن أُخِذَ بالتشديد في جميع الأحوال خيف عليه أن ينفر قلبه عن الإيمان، ويبغض الإسلام، فيؤول ذلك إلى الارتداد والكفر الذي هو أشد مما أنكر عليه (٤).

(٦) وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: { رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى } (٥) (٦).

(٧) وحديث عروة الفقيمي رضي الله عنه { كُنَّا نَنْتَظِرُ النَّبِيَّ صلوات الله عليه فَخَرَجَ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مِنْ وُضُوءٍ - أَوْ غُسْلٍ - فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه " لَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِينَ اللَّهِ عز وجل فِي يُسْرِ } (٧) ثَلَاثًا

(١) رواه مسلم في: ١٨ - الطلاق ، ٤ - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ٢ / ١١٠٤ (١٤٧٨).

(٢) البخاري الأدب (٥٧٧٧) ، الترمذي الطهارة (١٤٧) ، النسائي الطهارة (٥٦) ، أبو داود الطهارة (٣٨٠) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٢٩) ، أحمد (٥٠٣/٢).

(٣) أخرجه البخاري في: ٨١ - الأدب ، ٨٠ - باب قول النبي " يسروا ولا تعسروا " وكان يجب التخفيف على الناس ٥ / ٢٢٧١ (٥٧٧٧).

(٤) انظر: المنتقى ١ / ١٢٩.

(٥) البخاري البيوع (١٩٧٠) ، الترمذي البيوع (١٣٢٠) ، ابن ماجه التجارات (٢٢٠٣) ، أحمد (٣٤٠/٣).

(٦) أخرجه البخاري في: ٣٩ - البيوع ، ١٦ - باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ، ٢ / ٧٣٠ (١٩٧٠).

(٧) أحمد (٦٩/٥).

يَقُولُهَا (١).

(٨) وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: { إِنَّ دِينَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةَ السَّمْحَةَ } (٢) (٣).

(٩) وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ لَهُ مَرْفُوعًا: { قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟

قَالَ: " الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ " (٤) (٥).

(١٠) وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَرْفُوعًا: { لَتَعْلَمَ الْيَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فَسْحَةً،

إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ } (٦) (٧).

(١١) وَنَحْوُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: { بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ

السَّمْحَةِ } (٨) (٩).

ومعنى " السمحة " : السهلة، أي أهما مبنية على السهولة، فجمع بين كونها حنيفية وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل، كما قال الإمام ابن القيم (١٠).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٦٩؛ وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٢ / ٣٩٧؛ والطبراني في الكبير ٧ / ١٤٦؛ وأبو يعلى في ١٢ / ٢٧٤. وحسن الحافظ إسناده في الفتح ١ / ١١٧.

(٢) أحمد (٢٣٦/١).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط ١ / ٢٤٢؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٣ / ٣٠؛ والقضاعي في مسند الشهاب ٢ / ١٠٤. وعزاه الهيثمي إلى الطبراني، وقال: " رجاله موثوقون " مجمع الزوائد ١ / ٢١٤.

(٤) أحمد (٢٣٦/١).

(٥) أخرجه أحمد في ١ / ٢٣٦؛ وعبد بن حميد في مسنده، ص ١٩٩ (٥٦٩) والبحاري في الأدب المفرد، ص ١٠٨ (٢٨٧)؛ والطبراني في الكبير ١١ / ٢٢٧. وحسن الحافظ إسناده في الفتح ١١٨.

(٦) أحمد (١١٦/٦).

(٧) أخرجه أحمد - واللفظ له - في ٦ / ١١٦، و ٢٣٣؛ والحميدي في مسنده ١ / ١٢٣. وإسناده حسن.

(٨) أحمد (٢٦٦/٥).

(٩) أخرجه - من طرق فيها مقال - أحمد في ٥ / ٢٦٦؛ والطبراني في الكبير ٨ / ١٧٠، و ٨ / ١٧٠؛ والرويان في مسنده ٢ / ٣١٧، وانظر مجمع الزوائد ٥ / ٢٧٩.

(١٠) انظر: إغائة اللفهان: ١ / ١٥٨.

ب - الأحاديث الآمرة باليسير والناهية عن التشديد والتعمق، ومنها:

(١) حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا: { يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَاوَعًا } (١) (٢).

(٢) وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَيضًا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرِهِ قَالَ: { بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا } (٣) (٤).

(٣) وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: { يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْفِرُوا } (٥) (٦).

(٤) وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : { أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي وَيَسْطُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا } (٧) (٨).

(٥) وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: { كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٨٧٣)، مسلم الأشربة (١٧٣٣)، أحمد (٤١٧/٤).

(٢) أخرجه البخاري في: ٨١ - الأدب ٨٠ - باب قول النبي "يسروا ولا تعسروا" وكان يجب التخفيف على الناس ٥ / ٢٢٩٦ (٥٧٧٣). ومسلم في ٣٦ - كتاب الأشربة، ٧ - باب بيان أن كل مسكر حرم ٣ / ١٥٨٦ (١٧٣٣).

(٣) البخاري العلم (٦٩)، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤)، أحمد (٢٠٩/٣).

(٤) أخرجه مسلم في: ٣٢ - كتاب الجهاد، ٣ - باب في الأمر باليسير وترك التنفير ٣ / ١٣٥٨ (١٧٣٢).

(٥) البخاري الأدب (٥٧٧٤)، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤)، أحمد (١٣١/٣).

(٦) أخرجه البخاري في الموضوع السابق (٥٧٧٤).

(٧) البخاري اللباس (٥٥٢٤)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦١)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٠٤)، أبو داود الصلاة (١٣٧٣)، أحمد (٢٦٨/٦)، مالك النداء للصلاة (٢٥٠).

(٨) أخرجه: البخاري في: ٨٠ - كتاب اللباس، ٤٢ - باب الجلوس على الحصر ونحوه ٥ / ٢٢٠١ (٥٥٢٣)، ومسلم في: ٦ - صلاة المسافرين وقصرها، ٣٠ - باب فضيلة العمل الصالح من قيام الليل وغيره ١ / ٥٤٠ (٧٨٢).

فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قُلْتُ: فُلَانَةٌ، لَا تَنَامُ اللَّيْلَ - تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا - فَقَالَ: مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا { (١) (٢) .

(٦) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ. فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ. قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ { (٣) (٤) .

(٧) وَفِي حَدِيثِ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ { أَنَّ سَلْمَانَ زَارَ أَبَا الدَّرْدَاءِ " فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ لَهُ: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ. قَالَ: نَمْ، فَنَامَ { (٥) ،...، وَجَاءَ فِيهِ:

(١) البخاري الجمعة (١١٠٠) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري في: ١٩ - كتاب التهجد ، ١٨ - باب ما يكره من التشديد في العبادة ١ / ٣٨٦ (١١٠٠) .
ومسلم في: ٦ - صلاة المسافرين وقصرها ، ٣١ - باب أمر من نعى في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد حتى يذهب منه ذلك ١ / ٥٤٢ (٧٨٥) . وفي الباب أيضا حديث أنسأخرجاه قبل حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) البخاري الصوم (١٨٧٤) ، مسلم الصيام (١١٥٩) ، النسائي الصيام (٢٣٩١) ، أبو داود الصوم (٢٤٢٧) ، أحمد (١٥٨/٢) .

(٤) رواه البخاري في: ٣٦ - كتاب الصوم ، ٥٤ - باب حق الجسم في الصوم ٢ / ٦٩٧ (١٨٧٤) . ومسلم في: ١٣ - كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ٢ / ٨١٣ (١١٥٩) .

(٥) البخاري الصوم (١٨٦٧) ، الترمذي الزهد (٢٤١٣) .

{ فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ سَلْمَانُ } (١) (٢).

(٨) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: { نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ، فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: فَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُوَاصِلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي. فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ، فَقَالَ: لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُمْ. كَالْمَنْكَلِ بِهِمْ حِينَ أَبَوْا } (٣) (٤).

(٩) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: { إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْعِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ } (٥) (٦).

(١٠) وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: { جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ الرَّسُولُ ﷺ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ

(١) البخاري الصوم (١٨٦٧) ، الترمذي الزهد (٢٤١٣).

(٢) رواه البخاري في: ٣٠ - كتاب الصوم ، ٥١ - باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ، ٦٤٩/ ٢ (١٨٦٧).

(٣) البخاري الحدود (٦٤٥٩) ، مسلم الصيام (١١٠٣) ، أحمد (٥١٦/٢) ، مالك الصيام (٦٧١) ، الدارمي الصوم (١٧٠٦).

(٤) أخرجه البخاري في: ٨٩ - الحدود ، ٢٨ - باب كم التعزير ، والأدب ٦ / ٢٥١٢ (٦٤٥٩). ومسلم في: ١٣ - كتاب الصيام ، ١١ - باب النهي عن الوصال في الصوم ٢ / ٧٧٤ (١١٠٢).

(٥) أحمد (١٩٩/٣).

(٦) أخرجه أحمد في ٣ / ١٩٨.

وَأَفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّ سَتِي فَلَيْسَ مِنِّي { (١) (٢).

فالحديث دال على أنه ليس منه صلى الله عليه وسلم من عزم على أنواع الشدة والمشاق التي كانت في الأمم السالفة فخففها الله تعالى عن هذه الأمة (٣).

(١١) وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: { لَا تُشَدُّوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ

كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَشْدِيدِهِمْ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ، وَسَتَجِدُونَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارَاتِ { (٤).

(١٢) وَلَفْظُهُ فِي رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: { لَا تُشَدُّوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَيَشَدَّدَ عَلَيْكُمْ،

فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارَاتِ:

{ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ { (٥).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشدد العبد على نفسه هو السبب في تشديد الله عليه، إما بالقدر، وإما بالشرع...، فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين والاعتصام بالسنة " (٦).

(١٣) وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: { وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ

الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦)، مسلم النكاح (١٤٠١)، النسائي النكاح (٣٢١٧)، أحمد (٢٨٥/٣).

(٢) أخرجه البخاري في: ١٧ - كتاب النكاح، ١ - باب الترغيب في النكاح ٥ / ١٩٤٩ (٤٧٧٦).

(٣) انظر الموافقات ١ / ٣٤٢.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط ٣ / ٢٥٨؛ والكبير ٦ / ٧٣، وقال الهيثمي: " فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وثقه جماعة وضعفه آخرون " مجمع الزوائد ١ / ٦٢.

(٥) سورة الحديد ٢٧. والحديث رواه: أبو داود في: ٣٦ - كتاب الأدب، ٥٢ - باب في الحسد ٤ / ٢٧٦

(٤٩٠٤)؛ وأبو يعلى في مسنده ٦ / ٣٦٥، وإسناده لا بأس به.

(٦) إغاثة اللهفان ١ / ١٣٢.

وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ { (١) (٢).

(١٤) وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { هَلَكَ الْمُتَنَطِعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا { (٣) (٤).

(١٥) وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: { وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِعِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنِّي لَأُظُنُّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَشَدَّ أَهْلِ الْأَرْضِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ، أَوْ لَهُمْ { (٥) (٦).

و"المتنطعون" هم "المتعمقون، الغالون، المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم" (٧).
ج - الأحاديث الدالة على التزام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليسر في أموره، وتيسيره على أمته:
لقد امتن الله - وَعَلَّمَكَ على هذه الأمة بأن بعث فيهم رسولا، من صفاته أنه يعز عليه ما يعنت أمته، قال جل ثناؤه: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (٨) ومعنى قوله تعالى: { عَزِيزٌ عَلَيْهِ

(١) البخاري الأذان (٦٧٠)، مسلم الصلاة (٤٦٦)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٨٤)، أحمد (١١٨/٤)، الدارمي الصلاة (١٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع منها: ١٥- كتاب الجماعة والإمامة، ٣٣- باب تخفيف الإمام في القيام والركوع وإتمام السجود ١/ ٢٤٨ (٦٧٠). ومسلم في: ٤- كتاب الصلاة، ٣٧- باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ١/ ٢٤٠ (٤٦٦).

(٣) مسلم العلم (٢٦٧٠)، أبو داود السنة (٤٦٠٨)، أحمد (٣٨٦/١).

(٤) أخرجه مسلم في: ٤٧- كتاب العلم، ٤- باب هلك المتنطعون ٤ / ٢٠٥٥ (٢٧٦٠).

(٥) الدارمي المقدمة (١٣٨).

(٦) أخرجه الدارمي في سننه، ١٩- باب من هاب الفتيا، وكره التنطع والتبدع ١ / ٦٥ (١٣٨)؛ وأبو يعلى في مسنده ٨ / ٤٣٧؛ والطبراني في الكبير ١٠ / ١٧٤. وقال الهيثمي: "رجالهما ثقات". مجمع الزوائد ١٠ / ٢٢٥١.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٢٢٠.

(٨) سورة التوبة الآية ١٢٨.

مَا عَيْنْتُمْ { (١): أي تعز عليه مشقتكم - كما سلف - والناظر في سنة المصطفى ﷺ

يرى بكل جلاء أنه ﷺ كان يتفادى كل ما يكون سببا لتكاليف قد تشق على المسلمين،

وكان يتجنب أن يصنع شيئا تكون فيه مشقة على أمته إذا اقتدوا به فيه، فمن ذلك:

(١) حَدِيثُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: { إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ

لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رِحَالُ بَصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا،

فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلُّوا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ

الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةَ عَجَزَ

الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ، حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ. فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ

فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَائِكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ

عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا { (٢) (٣).

(٢) وَمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: { خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ

فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؟ فَإِنَّمَا

هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَثُوا مِنْهُ

مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَادْعُوهُ { (٤) (٥).

(٣) وَجَاءَ ضِمْنَ حَدِيثِ آخِرِ لَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: { وَلَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي

(١) سورة التوبة آية: ١٢٨.

(٢) البخاري الجمعة (٨٨٢)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦١)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار

(٤١٦٠٤)، أبو داود الصلاة (١٣٧٣)، أحمد (٢٦٨/٦)، مالك النداء للصلاة (٢٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في: ١٧ - الجمعة، ٢٥ - باب من قال في الخطبة بعد النشاء: أما بعد ١ / ٣١٣ (٨٨٢).

ومسلم في: ٦ - صلاة المسافرين وقصرها، ٢٥ - باب الترغيب في قيام رمضان ١ / ٥٢٤ (٧٦١).

(٤) مسلم الحج (١٣٣٧)، النسائي مناسك الحج (٢٦١٩)، أحمد (٥٠٨/٢).

(٥) أخرجه مسلم في: ١٥ - كتاب الحج، ٧٣ - باب فرض الحج مرة في العمر ٢ / ٧٣ (١٣٣٧).

مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ { (١) (٢) .

(٤) وَقَوْلُهُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ { لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ

بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ { (٣) (٤) .

وهناك الكثير من نحو هذه الأحاديث الدالة على تيسيره ﷺ على المؤمنين، ومخافة المشقة عليهم.

(٥) ونختم هذا المبحث بحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: { مَا خَيْرَ رَسُولٍ

لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ - وَفِي رِوَايَةٍ: اخْتَارَ - أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ { (٥) ... الحديث (٦) .

قال ابن عبد البر: " في هذا الحديث دليل على أن المرء ينبغي له ترك ما عسر عليه من أمور الدنيا والآخرة، وترك الإلحاح فيه إذا لم يضطر إليه، والميل إلى اليسر أبداً، فإن اليسر

(١) البخاري الإيمان (٣٦) ، مسلم الإمارة (١٨٧٦) ، النسائي الجهاد (٣١٥٢) ، ابن ماجه الجهاد (٢٧٥٣) ، أحمد (٣١٣/٢) ، مالك الجهاد (١٠١٢) .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢ - كتاب الإيمان ، ٢٥ - باب الجهاد من الإيمان ١ / ٢٢ (٣٦) . ومسلم في: ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٢٨ - باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ٣ / ١٤٩٧ (١٨٧٦) .

(٣) البخاري الجمعة (٨٤٧) ، مسلم الطهارة (٢٥٢) ، الترمذي الطهارة (٢٢) ، النسائي الطهارة (٧) ، أبو داود الطهارة (٤٦) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٨٧) ، أحمد (٤٣٣/٢) ، مالك الطهارة (١٤٧) ، الدارمي الطهارة (٦٨٣) .

(٤) أخرجه البخاري في مواضع ، منها: ١٧ - كتاب الجمعة ، ٧ - باب السواك يوم الجمعة ١ / ٣٠٣ (٨٤٧) ، ومسلم في: ٢ - كتاب الطهارة ، ١٥ - باب السواك ١ / ٢٢٠ (٢٥٢) .

(٥) البخاري الحدود (٦٤٠٤) ، مسلم الفضائل (٢٣٢٧) ، أبو داود الأدب (٤٧٨٥) ، أحمد (١٣٠/٦) ، مالك الجامع (١٦٧١) .

(٦) أخرجه البخاري في مواضع ، منها: ٨١ - كتاب الأدب ، ٨٠ - باب قول النبي " يسروا ولا تعسروا " ، وكان يجب التخفيف والتسري على الناس ٥ / ٢٢٩٦ (٥٧٧٥) . ومسلم في: ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٢٠ - باب مباحته للآثام ، واختياره من المباح أسهله ، وانتقامه عند انتهاك حرماته ٤ / ١٨١٣ (٢٣٧٢) .

في الأمور كلها أحب إلى الله ورسوله " (١).

ولو رحنا نتبع ما ورد من ذلك في آثار الصحابة والتابعين لطال بنا المقام، ولعل فيما ذكرنا الكفاية.

(١) التمهيد ٨ / ١٤٦.

المبحث الرابع

دلالات النصوص المذكورة وما شابهها

يأمعان النظر في النصوص التي سقناها آنفاً، من الكتاب والسنة، وما لم نذكرها مما في معناها، نستنبط منها جملة من الدلالات - غير التي سبقت الإشارة إليها في ثنايا عرض النصوص - منها ما يلي:

١ - إن اليسر والسماحة وانتفاء الحرج من أكبر مقاصد الشريعة، كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم:

فقد قال الإمام العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى -: " التيسير ورفع الحرج أصل عظيم في الدين، وركن من أركان شريعة المسلمين شرفنا الله - سبحانه وتعالى - به، فلم يحملنا إصرًا ولا كلفنا في مشقة أمرًا (١) .

ويقول الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى -: " رفع الحرج مقصود للشارع في الكليات، فلا تجد كلية شرعية مكلفًا بها وفيها حرج كلي أو أكثرى البتة...، ونحن نجد في بعض الجزئيات النوادير حرجًا ومشقة، ولم يشرع فيه رخصة، تعريفًا بأن اعتناء الشارع إنما هو منصرف إلى الكليات " (٢) .

ويقول العلامة ابن عاشور - رحمه الله تعالى -: " استقراء الشريعة دل على أن السماحة واليسر من مقاصد الدين " (٣) .

وقد أجمعت علماء الأمة على عدم وقوع المشقة غير المعتادة في التكليف الشرعية ولو كان واقعا لحصل في الشريعة التناقض والاختلاف، وهي مترهه عنه (٤) .

ومن هنا فقد وجدنا الفقهاء - رحمهم الله تعالى - كثيري الاعتماد على هذا الأصل

(١) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام ، ص ١٢٨ .

(٢) الموافقات ١ / ٣٥٢ .

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص ٢٧٠ .

(٤) انظر: الموافقات ٢ / ١٣٢ .

في استنباط الأحكام وتعليلها وترجيح بعضها على بعض، حتى قال الإمام إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى - : " إِذَا تَخَالَجَكَ أَمْرَانِ، فَظُنَّ أَنَّ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَيْسَرُهُمَا " (١).
وقد استنبط الفقهاء من هذا الأصل القاعدة الفقهية الكبرى : " المشقة تجلب التيسير " (٢) وما يندرج تحتها من القواعد الفقهية.

٢ - إن اليسر والسماحة من خصائص الشريعة الإسلامية: وذلك:

أولاً - لأن الله سبحانه وتعالى أراد للشريعة الإسلامية أن تكون شريعة عامة للناس كافة في جميع أنحاء المعمورة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فاقضى ذلك أن يجعل الله فيها من اليسر والسماحة والتخفيف ما يلائم اختلاف الناس وطبائعهم، في مختلف الأزمان، وتباين البقاع، حتى يكون تنفيذها بين الأمة سهلاً ميسوراً، ولا يتأتى ذلك إلا إذا انتفى عنها التشديد والإعنات (٣).

ثانياً - لأنها شريعة الفطرة، وفي فطرة الإنسان حب اليسر والرفق والسماحة، والنفور من الشدة والإعنات، فإن طبيعة البشر العادية تنفر من التشديد ولا تحتمله، ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه بعضهم لم يصبر عليه عامتهم، والشريعة إنما خاطبت الناس جميعاً. وقد ظهر للسماحة أثر عظيم في انتشار الإسلام، وتقبل الناس له على مر العصور.

ثالثاً - ولأن هذه الأمة أمة وسط في جميع المجالات، منها مجال شرعها الحنيف؛ لأن السماحة في الشريعة تعني سهولة التكليف والمعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهذا راجع إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والوسطية مما تميزت به هذه الأمة من بين سائر الأمم، كما قال جل شأنه: } وَكَذَلِكَ

(١) كتاب الآثار: محمد بن الحسن الشيباني، ص ١٩٦.

(٢) انظر: الأشباه والنظائر: السيوطي، ص ٧٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، والعبادة في الإسلام: د يوسف القرضاوي، ص ١٨٨.

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ { ... الآية (١) .

وعلى ذلك، فإن من نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن جعل دينها وشريعته حنيفة سمحة، فهي حنيفة في التوحيد، سمحة في العمل، لا إصر فيها ولا الأغلال التي كانت على الأمم السالفة، كما وصف بذلك نبيها ﷺ في التوراة والإنجيل: { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } (٢) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: " أي أنه جاء بالتيشير والسماحة... وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم... " إلخ (٣) .

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى -: " ولم يكن في دين محمد ﷺ الرهبانية والإقبال على الأعمال الصالحة بالكلية، كما كان في دين عيسى عليه السلام، وإنما شرع الله سبحانه حنيفة سمحة خالصة عن الحرج، خفيفة على الآدمي " (٤) .

٣ - إن اليسر والسماحة ورفع الحرج تشمل جميع أعمال المكلف، الدينية منها والدنيوية، ما لم يخالف حكماً شرعياً. فليس للمسلم أن يشدد على نفسه بما لا يحتمله من العبادة، ولا أن يضيق على نفسه في أمور الدنيا بزعم التقرب إلى الله تعالى بذلك، فليس التضييق على النفس في الحلال من القربة إلى الله تعالى والزهد؛ لأن وجهة الإسلام العامة هي التيسير، فمن يبغى الشدة والتعنت إنما يعاند روح الإسلام (٥) .

٤ - إن الأمر بالتيسير والسماحة يعم جميع المكلفين، كل فيما يخصه:

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣. وانظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٢٦٨ - ٢٦٩؛ العبادة في الإسلام: د يوسف القرضاوي، ص ١٨٨؛ والصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف، له أيضا، ص ٢٤ و ٢٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٦٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٥٦ - ٥٧.

(٥) انظر: الموافقات ١ / ٣٤١؛ العبادة في الإسلام، ص ١٨٨.

فنى - مثلا - أن الأئمة مأمورون بتخفيف الصلاة، مراعاة لظروف وأحوال من وراءهم من المأمومين.

والمعلمون والمربون مطالبون بالتيسير والرفق بالمعلمين، فينبغي أن يرفقوا بهم ويأخذوهم باللين واللفظ لا بالشدة والعنف الذي ينفرهم من الحق، ويستأنس لذلك بما حكاه الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام - وهو في مقام التعلم من الخضر عليه السلام - { قَالَ لَا تَأْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا } (١).

وكذلك الدعاة ينبغي لهم أن يتحلوا بالرفق واللين والسماحة حتى تعطي دعوتهم ثمارها المرجوة كما أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام بقوله: { أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ } (٢) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ } (٢) وكما قال عز من قائل: { ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم } (٣) بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (٣).

كما يجب على الأمراء والولاة والعمال، وكل من تولى شيئاً من أمور المسلمين أن ييسر على من تحت أيديهم ويرفق بهم، فقد قال ﷺ { اللهم من ولي من أمر أمي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمي شيئاً فرفق بهم فارفق به } (٤) (٥).

والمفتون كذلك ليس لهم أن يفتوا بما فيه حرج وشدة على المستفتي، ما دام يجد له

(١) سورة الكهف: الآية ٧٣.

(٢) سورة طه: الآية ٤٣ - ٤٤.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٤) مسلم الإمارة (١٨٢٨)، أحمد (٢٥٨/٦).

(٥) أخرجه مسلم في: ٣٣ - كتاب الإمارة، ٥ - باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣ / ١٤٥٨ (١٨٢٧).

مخرجا شرعيا صحيحا. وهكذا باقي فئات المجتمع.

٥ - إن الأمر بالتيسير والنهي عن التعمق والتشديد معلل بأمور^(١) منها:

(أ) الخوف من الانقطاع عن العبادة وبغض العبادة، وكراهة التكليف. وينتظم

تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله.

قال ابن المنير - رحمه الله تعالى - في قوله ﷺ { **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ**

أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ }^(٢): في هذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن

كل متنطع في الدين ينقطع " ^(٣).

وقد بوب ابن حبان - رحمه الله تعالى - على قوله ﷺ { **خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا**

تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا }^(٤): " باب ذكر العلة التي من أجلها أمر بالأمر

بإتيان الطاعات على الرفق " .

(ب) الخوف من التقصير عند مزاحمة الحقوق والواجبات والوظائف المتعلقة بالعبد،

المختلفة الأنواع، فإنه ربما أوغل في رعاية جانب على حساب جانب آخر فغفل عنه، كما

تدل عليه قصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء رضي الله عنهما.

وكما هو مقرر عند الأصوليين أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فمن انتفت

في حقه هذه العلة فله ذلك، كما نقل عن حال بعض السلف من هذه الأمة ممن يسر الله

تعالى لهم طاعته، وسهل عليهم تحمل المشاق في طاعته وعبادته، كما نبه عليه الإمام

الشاطبي، رحمه الله تعالى^(٥).

٦ - وأخيرا يجب التنبيه هنا على أنه ليس المراد بيسر الدين وسماحة الشريعة ترك

(١) انظر: الموافقات ٢ / ١٣٦ فما بعدها ، ومقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام ، ص: ٣٣٦ .

(٢) البخاري الإيمان (٣٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤) .

(٣) فتح الباري ١ / ١١٧؛ وانظر أيضا الصحوة الإسلامية بين التطرف والجمود ، ص ٣٠ .

(٤) البخاري اللباس (٥٥٢٤) ، أحمد (٢٦٨/٦) .

(٥) انظر: الموافقات ٢ / ١٤٠ - ١٤١ .

العمل، أو تتبع مواطن الرخص، بعيدا عن الغاية الحقيقية من خالص الخضوع والطاعة لله وحده، والأخذ بالأسهل من الأمور تبعا للهوى، مما قد يؤدي بصاحبه إلى الانسلاخ من الأحكام والتهاون في مسائل الحلال والحرام في المطاعم والمشارب والمعاملات المالية وغيرها بدعوى يسر الدين وسماحته وعدم الحرج فيه^(١) بل المراد تجنب المشقة غير المعتادة بعدم التشديد في العبادات بنية التورع، وتحاشي التعمق في المسائل بزعم الطلب للأحوط وترك الشبهات، والله تعالى أعلم.

هذا ما تيسرت لي كتابته في هذا الموضوع وهو غيظ من فيض، مما يؤكد أن اليسر والتخفيف ورفع الحرج والمشقة من أبرز سمات هذا الدين الحنيف وشريعته السمحة، أسأل الله العلي العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: ضوابطه وتطبيقاته: الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، ص ١٤.

فهرس المصادر والمراجع

- (١) كتاب الآثار: للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، (ت ١٨٢) - تحقيق: أبي الوفا - دار الكتب العلمية، بيروت - ١٣٥٥ هـ - .
- (٢) الأحاد والمثاني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (ت ٢٨٧) - تحقيق: د باسم فيصل الجوابرة - دار الراية، الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ .
- (٣) أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي (ت ٣٧٠ هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت.
- (٤) الأشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) - دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - .
- (٥) إغائة اللفهان من مصائد الشيطان: الإمام محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار المعرفة - الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ .
- (٦) البحر المحيط: محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (٧٥٤ هـ) - دار الفكر - الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ .
- (٧) تفسير القرآن العظيم: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٧٤ هـ) - دار المعرفة، بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ .
- (٨) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، (ت ٦٠٦ هـ)، دار الفكر - الطبعة الأولى والثانية ١٤٠٥ هـ .
- (٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري - الطبعة الثانية - المملكة المغربية.
- (١٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الإمام ابن جرير الطبري - دار الفكر، بيروت - ١٤٠٥ هـ .
- (١١) الجامع الصحيح: الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: د مصطفى ديب البغا - دار القلم، دمشق، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

- (١٢) الجامع الصحيح: الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت ٢٦٤ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ.
- (١٣) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي - دار الكتب المصرية، القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ.
- (١٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: د صالح بن عبد الله بن حميد - جامعة أم القرى - الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- (١٥) السنن: الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الباز للنشر والتوزيع -.
- (١٦) السنن: الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: فؤاد أحمد زمري وخالد السبع العلمي - دار الريان للتراث، القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- (١٧) شعب الإيمان: الإمام البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- (١٨) العبادة في الإسلام: د يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة ١١ - ١٤٠٣ هـ.
- (١٩) الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف: د يوسف القرضاوي - سلسلة كتاب الأمة - ١٤٠٢ هـ.
- (٢٠) صحيح مسلم بشرح النووي: الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ).
- (٢١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) - راجعه: قصي محب الدين الخطيب - دار الريان، القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ. (٢٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) - دار الفكر - ١٤٠١ هـ.
- (٢٣) القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في كتابي الطهارة والصلاة: ناصر بن

- عبد الله الميمان - الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مطابع جامعة أم القرى ١٤١٦ هـ.
- (٢٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ) - دار المعرفة، بيروت - .
- (٢٥) لسان العرب: لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (ت ٧١١ هـ)، ت: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي - دار الفكر.
- (٢٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) - دار الريان - القاهرة - ١٤٠٧ هـ.
- (٢٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) - جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم - إشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، الرباط - مكتبة المعارف.
- (٢٨) محاسن التأويل (تفسير القاسمي): محمد جمال الدين القاسمي - تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ.
- (٢٩) مدارج السالكين: الإمام ابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار المعرفة، بيروت - الطبعة الثانية، ١٣٥٩ هـ.
- (٣٠) المسند: الإمام أحمد بن حنبل - دار الفكر - .
- (٣١) المسند: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، (ت ٢٠٤) - مكتبة المعارف الرياض، دار المعرفة، بيروت - .
- (٣٢) المسند: أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، (ت ٢١٩) - أو بعدها - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - المكتبة السلفية، المدينة المنورة - .
- (٣٣) المسند: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، (ت ٣٠٧)، تحقيق: حسن سليم أسد - دار المأمون للتراث - الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- (٣٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي، (ت ٧٧٥ هـ) دار الفكر - .

- (٣٥) المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله - دار الحرمين القاهرة - ١٤١٥ هـ.
- (٣٦) المعجم الكبير: أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي - وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية - مطبعة الأمة، بغداد - الطبعة الثانية - .
- (٣٧) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس - تحقيق: عبد السلام هارون - دار الجليل، بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- (٣٨) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (٥٠٣ هـ) - تحقيق نديم مرعشلي - دار الفكر، بيروت - .
- (٣٩) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور - تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي - دار النفائس الأردن - الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ.
- (٤٠) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام: عمر بن صالح - دار النفائس، الأردن - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
- (٤١) المنتقى شرح موطأ مالك: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، الأندلسي (ت ٤٩٤ هـ) - مطبعة السعادة، مصر - ١٣٣٢ هـ.
- (٤٢) الموافقات: إبراهيم بن موسى الغرناطي، الشاطبي (ت ٧٩٠)، تحقيق عبد الله دراز - دار المعرفة، بيروت - .
- (٤٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الجزري، الشهير بابن الأثير، (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، وظاهر أحمد الزاوي دار إحياء الكتب العربية - .

المحور الثاني

دلالة القرآن على سماحة الإسلام ويسره

سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف

للدكتور

هزرة بن حسين الفعر

سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل إلينا رسوله محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - مبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأنزل علينا خير كتبه، ورضي لنا الإسلام دينا. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسول الله، وعلى آله وصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن حكمة الله البالغة اقتضت أن يكون دين الإسلام خاتم الرسالات الإلهية لأهل الأرض، وهو الدين الذي رضي الله لعباده المؤمنين: { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** }^(١) ولا يقبل الله من أحد من المكلفين كائنا من كان دينا غيره كما قال جل ذكره: { **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** }^(٢) { **وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** }^(٣) { **٨٥** }^(٤).

ورسالات الأنبياء السابقين وشرائعهم كانت هدايات وقتية سرعان ما تتبدل ويدخلها التحريف والتغيير على أيدي أبنائها أو غيرهم بعد موت نبيهم، ويظل أهلهم يوغلون في التخبط عن الرسالة الحقّة التي جاءهم بها نبيهم، وتختلط الأمور عليهم بسبب التحريف الذي لحق بها حتى يبعث الله لهم نبيا آخر يردهم إلى الجادة، ويجيي ما اندرس من معالم الدين الصحيح.

كما أنّها رسالات خاصة بالأقوام الذين يبعث فيهم الأنبياء عليهم صلوات الله

(١) سورة المائدة آية: ٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٨٥.

وسلامه، وليست عامة لكل البشر كما قال الله تعالى: { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا } (١) ولهذا قد يوجد في الزمن الواحد أكثر من نبي، كل يبعث في قومه خاصة.

أما رسالة محمد ﷺ ودينه الخاتم - الإسلام - فإنها عامة لكل الخلق لا تختص بأمة دون أمة، ولا بموطن دون موطن، بل كل الخلق بعد بعثته ﷺ أمة واحدة هي أمة الدعوة، والرسول واحد والدين واحد: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٢).

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: { فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ... وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخْتِمَ بِي النَّبِيُّونَ } (٣) (٤).

كما أن هذه الرسالة خالدة باقية إلى نهاية هذه الدنيا محفوظة بحفظ الله لكتابتها من التغيير والتبديل: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (٥).

وجاء في الحديث الصحيح: { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ } (٦) (٧).

(١) سورة المائدة ، الآية: ٤٨ .

(٢) سورة سبأ ، الآية: ٢٨ .

(٣) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (٤١٢/٢).

(٤) هذا حديث أبي هريرة أخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥ - ٥٢٣) ، ص (٢١٣).

(٥) سورة الحجر ، الآية: ٩ .

(٦) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨١) ، مسلم الإمارة (١٩٢١) ، أحمد (٢٤٨/٤) ، الدارمي الجهاد (٢٤٣٢).

(٧) هذا حديث المغيرة بن شعبة أخرجه الإمام البخاري في صحيحه " : ٩٦ - كتاب الاعتصام ، ١٠ - باب قول النبي " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون " وهم أهل العلم ح (٧٣١١) ، ص (١٥٣٣).

وقد جاء هذا الدين هداية للبشرية كلها ورحمة بما يدل على ذلك قوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (١)**.

وهذه الرحمة تشمل جوانب عديدة، من أهمها:

(١) أن الله رفع به عذاب الاستتصال للكافرين وهم أمة الدعوة.

(٢) أن الله جعل في دينه سعادة الدنيا لمن التزم به لما فيه من سعة، ويسر، وحق، وعدل، وخلاص من القلق والحيرة، وجعل فيه سعادة الآخرة بالفوز برضوان الله، ودخول الجنة، والتمتع بما أعد الله فيها للمتقين.

روى الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن بعض الصحابة قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم ادع على المشركين. قال: **{ إِنِّي لَم أُبْعَثْ لَعَنًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً } (٢) (٣)**.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (٤)** أنه قال: " مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الرَّحْمَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُوفِيَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا أَصَابَ الْمَاضِينَ مِنَ الْخَسْفِ وَالْقَذْفِ... " وإذا قاتل المسلمون الكفار المعادين فإنه لا يجوز لهم قتل النساء والأطفال، ولا الشيوخ ولا الرهبان في صوامعهم.

وإن دينا هذه حقيقته، وهذا مقصده لا يسعه إلا أن يكون سمحا سهلا مع الخلق أجمعين، من كان منهم من أتباعه ومن لم يكن، حتى الأحوال التي تقتضي الشدة والحزم

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩٩).

(٣) ٤٥ - كتاب البر والصلة والأدب، ٢٤ - باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ح (٨٧ = ٢٥٩٩)، ص (١١٣٤).

(٤) سورة الأنبياء آية: ١٠٧.

فإنها تنطوي على جوانب من السماحة واليسر لا يوجد لها نظير في غيره.
ومن ذلك إقامة الحدود والقصاص على من وقعوا فيها، فإنه لا يجوز لعنهم ولا مجاوزة العقوبة المقدرة في حقهم، ومن ذلك أيضا ذبح البهائم لأكلها، فإنه لا بد للذابح من مراعاة عدم تعذيبها: { **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّدَ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِيحَ ذَبِيحَتَهُ** } (١) (٢).

ولما كان جانب التعامل في هذه الحياة من أهم الجوانب لاتصاله بعلاقات الناس، وأحوالهم وأخلاقهم فإن الشريعة الإسلامية المطهرة أولته عناية فائقة تنم عن مصدر هذا الدين، وأنه الهداية الإلهية لهذه البشرية بكل ما فيها من خير ورحمة، ويسر وسماحة. ويمكن أن نذكر هنا أهم الركائز التي توضح بجلاء سماحة هذا الدين مع كل أحد حتى المخالفين:

من مظاهر سماحة الإسلام تكريم بني آدم

أولاً: تكريم بني آدم: يدل لذلك قوله تبارك وتعالى: { **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** } (٣) قال المفسرون في بيان معنى التكريم في الآية: كرمهم بالعقل والنطق وتسخير الأشياء، وتناول الطعام بالأيدي، وحملهم في البر والبحر على المراكب المختلفة. ورزقهم من الطيبات، أي من الزروع والثمار واللحوم والألبان والطعوم المشتهاة، والمناظر الحسنة، والألبسة المختلفة الأنواع والألوان، وفضلهم على سائر المخلوقات بسبب

(١) مسلم الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٥٥)، الترمذي الديات (١٤٠٩)، النسائي الضحايا (٤٤١١)، أبو داود الضحايا (٢٨١٥)، ابن ماجه الذبائح (٣١٧٠)، أحمد (١٢٥/٤)، الدارمي الأضاحي (١٩٧٠).

(٢) هذا حديث شدد بن أوسأخرجه الإمام مسلم في " صحيحه " : ٣٤ - كتاب الصيد والذبائح ، ١١ - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ح (٥٧ = ١٩٥٥) ، ص (٨٧٣).

(٣) سورة الإسراء ، الآية: ٧٠.

النعم المتقدمة (١) كما أنه بين لهم أن كل ما خلق في ظاهر الأرض أو باطنها، إنما هو لمصلحتهم ومن أجلهم: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } (٢).

وأقسم سبحانه على خلقه للإنسان في أحسن صورة، وأتم شكل في سورة التين، فقال: { وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ } (٣).

وقال الله تعالى بعد ذكر قصة ابني آدم، وقتل أحدهما الآخر معظما شأن إزهاق النفوس بغير حق، وحنأً على إحيائها واستبقائها: { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } (٤) قال قتادة رحمه الله: " عظيم والله وزرها، عظيم والله أجرها " (٥) أي قتلها، وإحيائها.

من مظاهر سماحة الإسلام محبة الخير للناس

ثانياً: محبة الخير للناس: وهذه سمة ظاهرة في هذا الدين، وأصل أصيل في أحكامه وتشريعاته، دلت على ذلك آيات وأحاديث عديدة:

(١) منها ما ذكر في كتاب الله كثيراً من توجيه خطابات الدعوة إلى الهدى، والتذكير بنعم الله، وحقه على خلقه إلى الناس: { يَتَأَيُّبُ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ } (٦) { يَتَأَيُّبُهَا

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٢).

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٩ .

(٣) سورة التين ، الآية: ١ - ٤ .

(٤) سورة المائدة ، الآية: ٣٢ .

(٥) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٨).

(٦) سورة البقرة ، الآية: ٢١ .

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ { (١) . } يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى { (٢) . وإلى بني آدم: } يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكُمْ وَرِيشًا ط وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ع { (٣) } يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ { (٤) } } يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥﴾ { (٥) .

(٢) ومنها قوله تعالى: { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ط وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ط وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ط } (٦) فالله سبحانه لا يأمر عباده بالكفر، ولا يجبه لهم.
(٣) ومنها قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ. } (٧)

من مظاهر سماحة الإسلام العدل والإنصاف

ثالثاً: العدل والإنصاف: وهاتان خصلتان شريفتان تنبئان عن سر من أسرار عظمة هذا الدين، حيث أوجب العدل والإنصاف لكل أحد، حتى ولو كان مخالفاً، تأصيلاً لاتباع الحق، ونبذاً للهوى الذي يعمي صاحبه عن الخير، ويحمله على الجور، ويحجبه عن كثير من الفضائل والمنافع، والحياة البشرية بكل تقلباتها واختلافاتها، لا يضبط مسيرتها، ولا يحصن أهلها، ويؤمن حقوقهم إلا إقامة العدل والإنصاف، فإذا ما اهتزت هذه الركيزة

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٧) أحمد (٤١١/٥).

اضطربت الأحوال، وسرى الفساد في جنبات هذه الحياة فانقلب نعيمها بؤسا، وبرها قطيعة، وما هذا البؤس الذي تتجرع البشرية بعامه، والمسلمون بخاصة مرارة كأسه إلا نتيجة للتفريط والعدوان على هذا الأصل، ولا يكاد يقيم هذا إلا من انتصر على هواه ونفسه، وتطلع إلى معالي الأمور - وأعظمها طاعة الله - وإن الناظر المنصف ليستطيع التمييز بين مراتب الناس وأقدارهم. بملاحظة التزامهم بهذا الميزان من عدمه، ولهذا لا غرابة أن يتبوأ هذا المعنى الكريم من الشريعة المكان الذي يليق به، فإن السماوات والأرض قامت بالعدل، وقد جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله، وفي سنة رسوله عليه السلام تأمر بالعدل في الأقوال والأفعال، وتدعو إليه، وتحذر من مغبة مخالفته منها:

قوله تعالى: { **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ** } ^(١) وقوله. { **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ** } ^(٢) وقوله: { **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** } ^(٣) وقوله: { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ** } ^(٤).

كما أكدت آيات الكتاب على الإنصاف وعدم غمط ذوي الحقوق حقوقهم، فقال تعالى عن أهل الكتاب بعد أن حكى ظلمهم وكفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم ومخالفاتهم العديدة منصفاً أهل الاستقامة منهم بالثناء عليهم: { **وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنۢ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ ءِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنۢ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ ءِلَيْكَ ءِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا** } ^(٥) { **وَإِنۢ مِّنۢ أَهْلٍ ءَلِكِتَابٍ لَّمِنۢ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ ءِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ ءِلَيْهِمْ**

(١) سورة النساء ، الآية: ١٣٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية: ٨ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية: ١٥٢ .

(٤) سورة النحل ، الآية: ٩٠ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية: ٧٥ .

حَسْبِعِينِ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ { (١) وقال جل ذكره: } تَبَخَّسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ { (٢) فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يغمط من يخالفه حقه، ولا أن يعامله بغير العدل.

من مظاهر سماحة الإسلام تحريم الظلم

رابعاً: تحريم الظلم: لأنه عدوان وبغي على حقوق الآخرين، فيدفعهم ذلك إلى الانتقام إن قدروا عليه، وهنا تشيع الفوضى والاحتراب، وقد يطول السجال بين المظلوم ومن ظلمه، فيقع الضرر عليهما، وقد يدخل في هذه الدائرة من لا ناقة له فيها ولا جمل، وإن لم يستطع المظلوم الانتقام ظلت قلوبهم تغلي بالحقد والكراهية على الظالمين، فلا يلقي المجتمع رشداً ولا يشيع الوثام بين الناس، وتحرم هذه الفئات من ثمرات التعاون البناء، والتواصل المثمر.

ولشناعة الظلم، شدد الله النكير على فاعله وتوعده بالعذاب الأليم، والحرمان من الهداية. { وَمَنْ يَظْلِمْ مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ } (٣) { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ } (٤) { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ } (٥) { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ ۖ وَالْبَغْيَ ۖ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ } (٦).

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١٩٩ .

(٢) سورة هود ، الآية: ٨٥ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية: ١٩ .

(٤) سورة الشورى ، الآية: ٤٢ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية: ١٤٤ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية: ٣٣ .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: { يَا عِبَادِي ! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا. } (١) (٢).

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: { وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ } (٣) (٤) ... ويقول: { وَعِزِّي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ } (٥) (٦).

والبعد عن الظلم واجب على كل مسلم لكل أحد حتى ولو اختلف معه، بل حتى ولو كان كافرا، وأن دعوة المظلوم من الدعاء المستجاب.

من مظاهر سماحة الإسلام الرحمة واليسير

خامسا: الرحمة واليسير: وهو أمر متسق مع إرادة الله الخير بعباده، ومراعاة حاجات النفوس حتى لا تنفر من الخير، أو تستثقل السعي إليه، والعمل به { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } (٧) { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ } (٨).

ويقول رسولنا الكريم في وصيته لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما

-
- (١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٧).
- (٢) هذا حديث أبي ذرأخرجه الإمام مسلم في " صحيحه ": ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ١٥ - باب تحريم الظلم ح (٥٥ = ٢٥٧٧) ، ص (١١٢٨).
- (٣) البخاري الزكاة (١٤٢٥) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤).
- (٤) هذا حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في وصية النبي لمعاذ بن جبلحين بعثه إلى اليمن ، أخرجه البخاري في صحيحه: ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٦٣ - باب أخذ الصدقة من الأغنياء... ح (١٤٩٦) ، ص (٢٩٨).
- (٥) الترمذي صفة الجنة (٢٥٢٥) ، أحمد (٣٠٥/٢).
- (٦) هذا جزء من حديث أبي هريرةأخرجه الإمام الترمذي في "الجامع": ٤٥ - كتاب الدعوات ، باب سبق المفردون ح (٣٥٩٨) ، ص (٨١٩) ، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.
- (٧) سورة البقرة ، الآية: ١٨٥.
- (٨) سورة الشرح ، الآية: ٥ - ٦.

عندما بعثهما إلى اليمن: { يَسْرًا وَلَا تُعْصِرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا } (١) (٢) ، { فَإِنَّمَا بَعَثْتُم ميسرين } (٣) (٤).

وكان هذا هو منهجه عليه الصلاة والسلام، وهو الأسوة والقدوة لأمته كما تحكي ذلك عنه زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: { مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِّلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيَسْرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. } (٥) (٦).

إن من يتأمل ذلك كله يوقن أن كثيرا من تصرفات المسلمين حتى بعض الخاصة منهم تفتقر إلى مراجعة دقيقة لأحكام الشرع وآدابه وأخلاقه، وسيرة رسوله المصطفى ﷺ فقد أولع أناس بالتشديد والتضييق على الخلق مع عدم وجود مستند شرعي واضح لفعلهم ظنا منهم أن هذا هو الأوفق للالتزام الشريعة، وقد جانبهم التوفيق في ظنهم هذا؟ لأن منهج الشرع الراشد وجادته الواضحة في التزام التيسير حين لا يترتب على ذلك تضييع حقيقي ولا تفريط في حدود الشرع.

والصواب كما يروى عن المأمون رحمه الله: في الأسد لا في الأشد، والشريعة عدل كلها ورحمة كلها.

-
- (١) البخاري المغازي (٤٠٨٦) ، مسلم الأشربة (١٧٣٣) ، أحمد (٤١٧/٤).
- (٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٦٤ - كتاب المغازي ، ٦١ - باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ح (٤٣٤١ - ٤٣٤٢) ، ص (٨٩٢).
- (٣) البخاري الوضوء (٢١٧) ، الترمذي الطهارة (١٤٧) ، النسائي الطهارة (٥٦) ، أبو داود الطهارة (٣٨٠) ، أحمد (٢٨٢/٢).
- (٤) هذا حديث أبي هريرة أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٤ - كتاب الوضوء ، ٥٨ - باب صب الماء على البول في المسجد ح (٢٢٠) ، ص (٥١).
- (٥) البخاري الأدب (٥٧٧٥) ، مسلم الفضائل (٢٣٢٧) ، أبو داود الأدب (٤٧٨٥) ، أحمد (١١٤/٦) ، مالك الجامع (١٦٧١).
- (٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٢٠ - باب مباحثته للأئمة... ح (٢٣٢٧ = ٧٧) ، ص (١٠٢٦).

يقول الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: "التشديد يحسنه كل أحد، وأما الفقه فهو الرخصة من الثقة".

فمن وقع في خلاف منهج الشرع فقد تحمل ما لا طاقة له به. وتبرز أهمية التزام هذا الأصل في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وفي دعوة المخالفين إلى تصحيح مخالفتهم.

من مظاهر سماحة الإسلام التوضيح والتبيين

سادسا: التوضيح والتبيين: إن الالتزام بالركائز المتقدمة لا يعفي من مسئولية توضيح الحق وتبيينه للمخالف، قياما بحق الله الذي ألزم به رسوله عليه الصلاة والسلام والقادرين على ذلك من أمته: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ^ع } (١) { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ } (٢).

والعلماء هم ورثة الأنبياء، ومن المسلم به أن حجة الله لا تقوم على الخلق إلا بالبيان والدعوة، وكم من مخالف حجه جهله عن معرفة الحق، وكم من مخالف حالت شبهته بينه وبين النور والهدى، ولهذا كان حقا على القادرين القيام بهذا الواجب لعموم الخلق كل بحسب حاجته، وقد رفع الله العذاب عمن وجد له عذر صحيح حال بينه وبين بلوغ الدعوة الصحيحة إليه { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً } (٣)، وهذا وإن كان واردا في أهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام إلا أنه يدخل فيه أيضا كل من لم تبلغه دعوة الرسول حتى بعد البعثة.

ولا يحكم على أحد بكفره ولا بفسقه حتى تتحقق فيه الشروط التي تبيح الحكم عليه بذلك، وحتى تنتفي الموانع من الأعذار والشبه ونحوها.

(١) سورة المائدة ، الآية: ٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٨٧ .

(٣) سورة الإسراء آية: ١٥ .

من مظاهر سماحة الإسلام الالتزام بالخلق الحسن في معاملة المخالفين

سابعاً: الالتزام بالخلق الحسن في معاملة المخالفين: الخلق منظومة متكاملة مؤصلة في منهج الإسلام ورد الأمر بها، وامتداحها، والثناء على أهلها، إضافة إلى ترتيب الأجر الجزيل عليها، وهذا كله يدل المنصف على عظمة هذا الدين وسموه، وتفردده عن مناهج البشر.

إن الذي خلق الخلق، وركب فيهم فطرهم وغرائزهم هو الذي شرع لهم هذا المنهج، وهذا دليل على أنه المنهج الأحكم والأصلح للتعامل مع البشر عموماً، والمخالف على وجه الخصوص، كما أن العقل السليم يدل على صحته وصلاحيته أيضاً، ذلك أن النفوس البشرية بحاجة إلى من يسوسها بحكمة وروية حتى يستطيع التأثير فيها، وقيادتها إلى الهدى، ومن أحق بذلك من الدين الذي رضيه العليم الحكيم؟!!

إن نظرة فاحصة منصفة لما أمر به نبي الله وكليمه موسى عندما أرسل هو وأخوه هارون عليهما السلام إلى أعتى أهل الأرض وأفجرهم وأكفرهم الذي عاث في الأرض فساداً، وقتل ذكور بني إسرائيل واستحيا نساءهم، وزعم أنه الإله، لتدلنا على قيمة هذا الأمر، وأهميته في التخاطب والبلاغ، فقد أمرهما الله أن يترفقا في مخاطبة هذا الجائر العاتي لعله أن يستجيب ويهتدي: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (١). ولم يكن رد فرعون، ولا موقفه غائباً عن علم الله المحيط قبل أن يصل إليه موسى ويكلمه بالأسلوب الذي أمره الله به، ولكنه المنهج الحق الذي يؤسس للتبليغ والدعوة، بالنسبة لموسى عليه السلام ولغيره.

وقد أمر الله بني إسرائيل بالالتزام بهذا المنهج أيضاً: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } (٢) وأمر الله سبحانه رسوله عليه السلام أن يأمر عباده المؤمنين

(١) سورة طه آية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة آية: ٨٣.

بقول الأحسن معللا ذلك بأن تركه مدخل من مداخل نزغات الشيطان: { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ }^(١) وهذا الأمر الكريم الذي تجاوز مدلوله الكلام الحسن إلى الأحسن - هكذا - بصيغة التفضيل له دلالة البالغة على أهمية الأسلوب الراقي، واللفظ الراقي في مخاطبات المؤمنين ومحاوراتهم بعضهم مع بعض ومع غيرهم من المخالفين. ونجد أيضا في سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم دراري متقدمة في نصوص كثيرة تزكي هذا الأمر، وتكشف عن قيمته، وترغب فيه في معاملة الخلق عموما، من أمثال قوله عليه الصلاة والسلام: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ }^(٢) (٣)، وقوله: { اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمُحَّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ }^(٤) (٥)، وقوله: { أَنَا ضَمِينٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ }^(٦) (٧).

ويدخل في هذا المرتكز أيضا، كل ما هو معدود من محاسن الأخلاق والشيم التي تسمو بصاحبها، وتفتح له بإذن الله مغاليق قلوب العباد.

(١) سورة الإسراء آية: ٥٣.

(٢) البخاري استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٥٢٨)، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩٣)، الترمذي الاستئذان والآداب (٢٧٠١).

(٣) هذا حديث عبد الله بن مغفل أخرجه الإمام أبو داود في سننه: ٣٦ - كتاب الأدب، ١١ - باب في الرفق ح (٤٧٧٤)، (٥: ٢٧٨).

(٤) الترمذي البر والصلة (١٩٨٧)، أحمد (١٥٣/٥)، الدارمي الرقاق (٢٧٩١).

(٥) هذا حديث أبي ذر أخرجه الإمام الترمذي في الجامع: ٢٥ - كتاب البر والصلة، ٥٥ - باب ما جاء في معاشره الناس (١٩٨٧)، ص (٤٦٠).

(٦) أبو داود الأدب (٤٨٠٠).

(٧) هذا حديث أبي أمامة أخرجه الإمام أبو داود في سننه: ٣٦ - كتاب الأدب ٨ - باب في حسن الخلق ح (٤٧٦٧)، (٥: ٢٧٦).

من مظاهر سماحة الإسلام فتح باب الحوار لبيان الحق وتبنيته

ثامنا: فتح باب الحوار لبيان الحق وتبنيته، وسماع ما عند الآخر والتأمل فيه، حتى لا يشعر بالتسلط والتعسف في فرض الرأي عليه: وهذا مما يسهل معرفته بالحق، وييسر عليه التزامه إن كان طالبا له راغبا فيه.

والحوار أسلوب راق للإقناع والبيان تعارف على قبوله أهل العقول الراجحة، والأفكار المستقيمة، وهو إلى ذلك نوع من المجادلة بالحق، وقد وردت في الكتاب الكريم والسنة المطهرة أمثلة عديدة لحوارات منهجية مفيدة، منها محاوراة إبراهيم عليه السلام مع قومه^(١) ومحاوراة موسى مع فرعون^(٢) ومحاوراة قوم موسى المؤمنين مع قارون^(٣).

كما أنه قد وردت الدعوة إلى الحوار مع أهل الكتاب في القرآن الكريم فيما أمر الله به رسوله عليه الصلاة والسلام في قوله: { قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ }^(٤).

وفي سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام أمثلة كثيرة لهذه الحوارات مع الكفار ومع الجهلة، ومع غيرهم مما يدل على أنه أمر مشروع، وأنه يتبوأ مكانة عالية في منهج الإسلام السامح في معاملة المخالفين، وربما ظن البعض أن الحوار مع المخالف نوع من الضعف أو أنه مدعاة لإضفاء صفة الشرعية على بعض الأمور المخالفة للشريعة، وهذا أمر غير مسلم، فإن الحوار وسيلة، ولا يلزم منه حصول المخذور إذا ضبطت هذه الوسيلة، وحققت شروطها، بل إن القبول بالحوار دليل على التمكّن والثقة عند المحاور بما يحمله من الأفكار والمعتقدات، وما يلتزم به من الأحكام والأخلاق.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥٢ - ٦٨.

(٢) سورة طه، الآية ٤٣ وما بعدها.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٦ - ٨٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

أما تسلسل الأفكار المنافية، وتسويغ بعض المخالفات فإنه أمر يحصل بأسباب كثيرة لا يلزم أن يكون الحوار منها.

من مظاهر سماحة الإسلام الصبر

تاسعا: الصبر: وهو كما يعرف: حبس النفس على ما تكره، تطلعا لما هو أفضل من الأجر عند الله، إذا كان في سبيل تحصيل رضوان الله كما لو كان في طريق دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الناس والمجتمع؛ حيث لا يبعد مقابلة الإنسان لما يكره، والصبر والاحتساب هنا يهون على الداعي إلى الله ما يلقاه، ويلفت نظر الناس إلى التفكير والتدبر فيما يدعو إليه، ولا تحصل هذه الفضيلة إلا إذا تسامح الدعاة واحتملوا الأذى، ولم يقابلوا السيئة بمثلها .

ومثل هذه الأمور تدخل في منهج معاملة المخالف دخولا أوليا، وهي تنطوي على رحمة بالمخالف، ورغبة في إصلاح حاله، وإيصال الخير له، ولو أن التعامل مع المخالف عري عن هذا المعنى لانقطعت سبل الاتصال معه، وحل محلها كل ما يدعو إلى الانتصار لنفس، أو إثارة الراحة والدعة، وهذا خلاف الواجب الشرعي في البيان والدعوة الذي أمر الله سبحانه وتعالى به رسوله والمؤمنين { **أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**

الْحَسَنَةِ ^ط **وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ^ع } (١)

{ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ^ط } (٢)

{ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ** ^ط } (٣)

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: { **الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ**

(١) سورة النحل ، الآية: ١٢٥ .

(٢) سورة الشورى ، الآية: ٤٣ .

(٣) سورة لقمان ، الآية: ١٧ .

أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَأ يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ } (١) (٢).

وعندما رجع الرسول عليه السلام منكسرا حزينا من الطائف بسبب المقابلة السيئة التي قابله بها أهلها، ورميهم له بالحجارة حتى أدموا عقبيه ﷺ وشتمه وإيذائه، جاءه جبريل عليه السلام يخبره أن ملك الجبال نزل لأول مرة إلى الأرض، أرسله الله جل وعلا يستأمر رسوله عليه الصلاة والسلام في أن يطبق على أهل مكة الأخشيين لتكذيبهم لله ولرسوله، فكان جوابه عليه الصلاة والسلام بالرفض، متذرعاً بالصبر، مؤملاً أن يكتب الله لهم ولأعقابهم طاعة الله والدخول في هذا الدين قائلاً: { إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا } (٣) (٤).

من مظاهر سماحة الإسلام علاقة المسلمين مع غير المسلمين

عاشرا: علاقة المسلمين مع غير المسلمين: أساس هذه العلاقة قوله تعالى: { لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (٥).

فالبر والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعا حتى لو كانوا كفارا ما لم يحولوا بين الناس وبين دعوة الإسلام، أو يقاتلوا المسلمين أو يعتدوا عليهم. ولأهل الكتاب من بين

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٧) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٣٢).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في الجامع ٣٥ - كتاب صفة القيامة ، ٥٥ - باب في فضل المخالطة مع الصبر على أذى الناس ح (٢٥٠٧) ، ص (٥٧٠).

(٣) البخاري بدء الخلق (٣٠٥٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٩٥).

(٤) هذا حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم: آمين... ح (٣٢٣١) ، ص (٦٦٠ - ٦٦١).

(٥) سورة الممتحنة ، الآية: ٨ - ٩.

غير المسلمين منزلة خاصة، حيث نهى الله عن مجادلتهم في دينهم إلا بالحسنى: { * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ^ط وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ } (١).

وأباح الإسلام الأكل من ذبائحهم، ونكاح النساء المحصنات منهم: { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ^ط وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ^ط } (٢).

وهذا الحكم في أهل الكتاب وإن كانوا في غير دار الإسلام، أما الذين يقيمون في دار الإسلام بالعهد والجزية فلهم حق الرعاية، والحماية، بل والإعالة عند العجز، والشيخوخة والفقير.

جاء في عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد رضي الله عنه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومحضر من عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم لنصارى الحيرة في العراق: " وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله " (٣).

ورأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه شيخا يهوديا يسأل الناس، فسأله عن ذلك فعرف أنه محتاج بسبب عجزه وكبر سنه فأمر له، ولأمثاله بما يكفيهم من بيت مال المسلمين، وقال: " ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شابا، ثم نخذله عند الهرم " (٤).

(١) سورة العنكبوت ، الآية: ٤٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية: ٥ .

(٣) الخراج لأبي يوسف ص (١٤٤).

(٤) الخراج لأبي يوسف ص (١٢٦).

ولهم حق العمل والاكتساب بالعمل عند غيرهم أو بالعمل لحساب أنفسهم.
كما أن لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية في أماكنهم الخاصة من غير تثريب عليهم،
ومن غير إجبارهم على الدخول في الإسلام.

خاتمة

إن البشرية عادت في هذا الزمن إلى شريعة الغاب أو كادت. ظلم هنا، وقتل هناك، ودمار وهلاك، واستباحة للحرمات في ظل ضعف الاستمساك بالدين، وفي ظل غياب القيم الإنسانية بسبب عبادة المادة، والتخبط في أحوال الشهوات والملاذ.

وما أحوج البشرية وهي في هذا التيه إلى إظهار فضائل دين الله الذي ارتضاه لعباده، والتعريف به، ورد عاديات الأعداء المتقولين، والأعداء المتطاولين عليه، وهذا أمر يدخل في صميم واجب الدعوة الذي أمر الله به رسوله عليه الصلاة والسلام - وهو أمر للمؤمنين جميعاً - { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ }^(١) (سورة

النحل آية ١٢٥). وفي صميم واجب البيان الذي أخذ الله على أهل العلم خاصة { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ }^(٢) (سورة آل عمران: آية ١٨٧).

وإن التقاعس عن هذا الواجب، أو التفريط فيه، لن يورث إلا زيادة في سوء فهم الناس للإسلام، ويسهل عليهم قبول التهم التي توجه له، ويتيح للمتربصين شن الغارة على الإسلام وأهله، وتوظيف كل أساليب المكر والبغي والعدوان للنيل من شرع الله المطهر، وصد الخلق عنه.

وإن المؤسسات التي تتبوأ القيادة العلمية والدعوية في بلدان العالم الإسلامي مطالبة بأداء هذا الواجب أكثر من غيرها، بالعمل على إبراز هذه المعاني السامية التي انطوى عليها ديننا الحنيف، والعمل على تأصيلها، وتعريف الناس بها عبر وسائل الإعلام المختلفة، وبلغات العالم الحية، كما أن كل قادر مؤهل لذلك مطالب أيضاً ببذل ما في وسعه قياماً بحق دينه عليه، وسعياً في سبيل إصلاح الخلق مسلمين وغير مسلمين. وبالله التوفيق.

(١) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٨٧.

المحور الثاني

دلالة القرآن على سماحة الإسلام ويسره

سماحة الشريعة في التعامل مع الواقع للدول والأفراد

للدكتور

عبد الرحمن بن زيد الزنيدي

سماحة الشريعة في التعامل مع الواقع للدول والأفراد

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:
فالإنسان ابن الواقع فشخصه بتكوينه المادي والروحي وتحولاته واقع، والكون المحيط
به بأحداثه وتغيراته واقع، هو جزء منه.

هذا الواقع سمته النقص، والضعف والجذب المادي والإلهاء:

سواء كان الإنسان { إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }^(١) الأحزاب ٧٢. { وَخُلِقَ
الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا }^(٢) النساء ٢٨.

ويقول ﷺ { يُطْبِعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا خَلًا الْكَذِبِ }^(٣) (٤) أو كان الكون
الدينيوي بجماده ونباته وحيوانه:

{ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }^(٥) آل عمران ١٨٥.

{ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ }^(٦) الحديد ٢٠.

{ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا }^(٧) يونس ٢٣.

في مقابل هذا الواقع يتجلى " الوحي الإلهي " متمثلاً في شريعة محمد ﷺ بالقرآن

(١) سورة الأحزاب آية: ٧٢.

(٢) سورة النساء آية: ٢٨.

(٣) أحمد (٢٥٢/٥).

(٤) رواه أحمد في المسند ٥ / ٢٥٢ ورواه البزار وأبو يعلى والطبراني بروايات متقاربة انظر مجمع الزوائد ١ / ٩٧.

(٥) سورة آل عمران آية: ١٨٥.

(٦) سورة الحديد آية: ٢٠.

(٧) سورة يونس آية: ٢٣.

الكريم، وسنته الشريفة، حيث الكمال والطهر، وحيث جاء ليرتقي بالإنسان نحو السمو والكمال والرشد في حركته ومآله.

والإنسان بحكم طبيعة وجوده التي برأه الله عليها متردد بين الوحي بكماله من جهة والواقع بنقصه من جهة أخرى، وغاية الوحي الذي يحمل منهج الله للبشر أن يحقق للإنسان كمال وجوده في هذا الواقع، ولكنه لم يضع الإنسان معلقاً بصورة مثالية مبتورة الصلة بواقعه الذي لا فكاك له منه بحيث إنه إن تمسك بهذه الصورة - كما في بعض الأديان الروحية - ساء واقعه الحياتي وتدهور حضارياً، وإن استنكف عنها انجذاباً للواقع ولفرط مثاليته - كما في المدن المثالية التي وضعها كثير من الفلاسفة فبقيت تخيلات نظرية - غمره الواقع بكل سوءاته التي لا تقف عند حد حتى ينحدر لبهيمية تقطعه عن خالقه وعن إنسانيته.

منهج الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ منهج متفرد في علاج هذه القضية إذ يجمع بين الارتقاء بالإنسان في وجوده الحضاري في مدارج الإنسانية الممكنة وبين اعتبار الواقع الذي يعيشه الإنسان في إمكاناته، وضغوطه، ونزعاته، وأعرافه، وسقفه الحضاري، ونحوها، فحقق للإنسان سعادته في ظل واقعه الذي يعيشه، ويتعايش فيه مع من حوله في يسر ورفع حرج وسلام وتسديد ومقاربة وتكليفات لا تتجاوز حدود طاقته البشرية. وشريعة الإسلام لا تحصر هذا المنهج في المنتمين إليه فقط وإنما تعم برحمته العالمين

كلهم { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (١) [الأنبياء: ١٠٧].

المشكلة لدى بعض أبناء الأمة في هذا العصر نتيجة انفعال بالضغوط المحيطة بهم وبأمتهم أنهم جنحوا عن هذا المنهج السوي إلى أحد تطرفين:

* تطرف الذين جمحوا في نظرهم للواقع وتضخم لديهم حتى حكموه في شريعة الله المتزلة وقرروا أن ((الواقع له أولوية على كل نص)) (٢).

(١) سورة الأنبياء آية: ١٠٧.

(٢) حسن حنفي - التراث والتجديد ٨٨.

* يقابله تطرف الذين اختزلوا الإسلام في موقف مثالي اشتط في تعامله، ومن ثم في حكمه على الواقع لعدم استيفائه الصورة المثالية لديهم فرفضوا هذا الواقع واعتزلوه وأنكروا عناصر الخير فيه وأعلنوا الحرب ضده.

وهذه الصفحات المقتضبة مجرد أفكار - وضعت على عجل - في هذه القضية ((التعامل مع واقع الفرد والدولة في إطار سماحة الإسلام))، والله الموفق.

اليسر ورفع الحرج

منطق الإسلام في التعامل مع الواقع

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون الحياة الإنسانية على النمط الذي تجلت فيه واقعا عبر القرون المتتابة وسطا بين الحياة الملائكية المتجردة من جواذب الحياة، والحياة الشيطانية المرتدة إلى أسفل سافلين، فالحياة الإنسانية تتنازعها جواذب متقابلة:

* إنسانية روحية كغريزة التدين وحب الخالق، وحب الفضائل، ومقت الرذائل.

* وحيوانية مادية متمثلة بالغرائز الشهوانية كحب التملك والشهرة والجنس ونحوها.

وحركة الحياة البشرية فردية أو حضارية هي استجابة لهذه الغرائز بما تتضمنه من قيم وأعراف وتشريعات وتصرفات.

وقد أنزل الله شريعته للإنسان من أجل أن يضبط حركته في الحياة عبر تنظيم تلك الغرائز - مادية وإنسانية - لا بكبتها والضغط عليها، ولا بإفلاتها، وإنما بفتح المجالس لها لتؤدي دورها وفق ما تحتاجه الطبيعة الإنسانية كي تنال سعادتها في حياتها، ومن ثم فلاحها في ما بعد الحياة، ولأن تحقيق ((المصالح الإنسانية)) هي غاية التشريع الإسلامي، لذلك فإنك لا تجد في الشريعة أمرا إلا وهو رحمة وتيسير وتسهيل، ولا نهيا إلا وهو عن عنت وضنك وحرج وبؤس.

يقول تبارك وتعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (١) البقرة

.١٨٥

ويقول: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَهُمْ عَلَيْهِمُ الْعَقَبَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } (٢) الأعراف ١٥٧.

وقال سبحانه رابطا تيسير شريعته بواقع الإنسان المتسم بالضعف:

(١) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٢) سورة الأعراف آية: ١٥٧.

{ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخْفِفَ عَنْكُمْ^٤ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ } (١) النساء ٢٨ .

ويبين تعالى أن الإسلام بما شرعه الله فيه من عبادات ومناهج سلوكية لا يهدف بل ولا يتجه إلى إرهاب الإنسان في حركته الدنيوية، وإنما إلى إضفاء طابع السمو، والطهر عليها حتى لو اضطر واقع الإنسان أن يكون هذا الطهر رمزياً فإن الشريعة تنتزل له، يقول سبحانه بعد تشريع التيمم بالتراب للمسلم إذا لم يجد الماء: { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ } (٢) المائدة ٦ .

وأحاديث الرسول ﷺ تفيض ببيان تيسير الله لعباده ورعايته لوسعهم أي للإطار الواقعي الذي يعيشون فيه حيث يبين ﷺ أن الخروج عن هذا المبدأ نأى عن طبيعة دين الإسلام ومجانفة لهديه هو عليه الصلاة والسلام.

يقول ﷺ فيما رواه أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله: { أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ

الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ } (٣) (٤) .

وقال فيما رواه البخاري: { إِنَّ دِينَ اللَّهِ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدُّوا

وَقَارِبُوا } (٥) (٦) . وقال فيما رواه أحمد وصححه ابن حجر والسيوطي: { إِنَّ خَيْرَ

(١) سورة النساء آية: ٢٨ .

(٢) سورة المائدة آية: ٦ .

(٣) أحمد (٢٣٦/١) .

(٤) رواه البخاري تعليقا؛ كتاب الإيمان؛ الدين يسر؛ ووصله أحمد في المسند (١ / ٢٣٦) من حديث ابن عباس بلفظ مقارب .

(٥) البخاري الإيمان (٣٩) ، النسائي الإيمان وشرايعه (٥٠٣٤) .

(٦) رواه البخاري؛ كتاب الإيمان؛ باب الدين يسر .

دِينِكُمْ أَيَسْرُهُ - قَالَهَا ثَلَاثًا { (١) (٢).

ويبين ﷺ في حديث - رواه الترمذي - النسبية المتلازمة بين تدين الإنسان وواقعه الذي يعيشه حيث يدان الإنسان في حدود ما يسمح له به الواقع من إمكانات الاستقامة على منهج الله يقول عليه الصلاة والسلام لأصحابه: { إِنْكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عَشْرًا مَا أَمَرَ بِهِ هَلَكَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ بِعَشْرٍ مَا أَمَرَ بِهِ نَجَا } (٣) (٤).

وواضح من هذا الحديث أن الاعتبار في نسبة التدين من ٩٠% إلى ١٠% ليس هو الشريعة فالشريعة بكمالها ثابتة لا تغير فيها، وليس الكينونة الإنسانية بما هي مادة وروح متضمنان للترعات الفطرية لأنها أيضا ثابتة، ولكن الاعتبار إنما هو للواقع المتغير من وضع إيجابي موات اقتضى المطالبة بما لا يقل عن ٩٠% إلى وضع مترد ضاغط لا يتيح للإنسان ما يتجاوز ١٠% وهو ما يقبل منه عند الله.

ولهذا كان ﷺ يؤكد على أصحابه أهمية تمثل التيسير والسماحة في أشخاصهم: {

إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ } (٥) (٦).

وبأن تكون حركتهم الدعوية والتطبيقية تيسيرا وسماحة ورحمة: { بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا

وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا } (٧) (٨).

(١) أحمد (٤٧٩/٣).

(٢) رواه أحمد في المسند ٤ / ٣٣٨ وصححه السيوطي في الأشباه وابن حجر في الفتح ١ / ٩٤.

(٣) الترمذي الفتن (٢٢٦٧).

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ - انظر الكلام عنه في عارضة الأحوذى بشرح الترمذي لابن العربي ٦ / ١٢١.

(٥) البخاري الوضوء (٢١٧) ، الترمذي الطهارة (١٤٧) ، النسائي الطهارة (٥٦) ، أبو داود الطهارة (٣٨٠) ، أحمد (٢٣٩/٢).

(٦) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام " يسروا ولا تعسروا ".

(٧) البخاري العلم (٦٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤) ، أحمد (٢٠٩/٣).

(٨) صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

ليس فقط في دائرة التعامل مع المسلمين كما يتصور ذلك بعض من يضيق قيم الإسلام ويحد من عموميتها، ولكنه مع كل الناس، ولذلك وجه ﷺ معاذًا وأبا موسى حينما بعثهما إلى اليمن: { ادْعُوا النَّاسَ وَبَشِّرًا وَلَا تُنْفِرًا وَيَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا } (١) (٢).

ولعل من أبرز الإضاعات التي تبين هذه السمة السامية في الشريعة - أقصد التيسير ورفع الحرج - أن القرآن والسنة يغلبان دائما جانب الإباحة، ويحصران بالمقابل جانب التحريم بتفصيل أعددته لمحدوديته:

{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } (٣) الأعراف ٣٢
 { كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا } (٤) البقرة ١٦٨.

وصيغ ((لا جناح عليكم)) ((أحل لكم)) ((فلا إثم عليه)) دائرة في هذا الإطار في مقابل الحصر للتحريم ((إنما حرم عليكم)) { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ } (٥) الآية في الأعراف ٣٣ { وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ } (٦) الأنعام ١١٩.

وقد قال ابن تيمية رحمه الله: ((إن عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهي عنه إنما هو الشرك والتحريم)) (٧).

على هذا الإطار المتين الذي جاءت به الشريعة قامت قواعد الحضارة الإسلامية التي ارتكزت على ((فقه الشريعة)) لدى أئمة العلم الراسخين الذين انطلقوا من هذه الغايات التي استهدفتها شريعة الله ليستمدوا - كما يقول عبد الوهاب خلاف - ((من نصوص

(١) البخاري المغازي (٤٠٨٨) ، مسلم الأشربة (١٧٣٣).

(٢) صحيح مسلم في كتاب الأشربة ، باب بيان أن كل مسكر حمر.

(٣) سورة الأعراف آية: ٣٢.

(٤) سورة البقرة آية: ١٦٨.

(٥) سورة الأعراف آية: ٣٣.

(٦) سورة الأنعام آية: ١١٩.

(٧) مجموع الفتاوى ٢٠ / ١١٣ وانظر مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ لعبد الله عبد الرحمن ٩٤.

الشريعة وروحها ومعقولاتها مبادئ تشريعية عامة تعتبر الدستور التشريعي الذي يبنى عليه المشرع (المجتهد) تشريعه (الاجتهادي) والقاضي قضاءه.

وكل هذه المبادئ يمت بسبب صحيح إلى تحقيق مصالح الناس، وإقامة العدل بينهم، وتؤخذ منه أحكام الوقائع المختلفة في مختلف البيئات والعصور.

من هذه المبادئ الخاصة برفع الضرر التي أساسها قول الرسول ﷺ { **لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ** } (١)، وهي: أن يرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما، ودفع المضار مقدم على جلب المنافع، والضرورات تبيح المحظورات... الخ.

ومنها المبادئ برفع الحرج التي أساسها قوله تعالى: { **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** } (٢) (الحج ٧٨)، ومنها: المشقة تجلب التيسير، ومنها المبادئ الخاصة بسد الذرائع، ومنها: ما يفضي إلى المحذور فهو محذور، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما أضر كثيره حرم قليله. ومنها المبادئ الخاصة بالبراءة الأصلية التي أساسها قوله تعالى { **خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** } (٣) (البقرة ٢٩)، ومنها: الأصل في الأشياء الإباحة والأصل في الإنسان البراءة، وما يثبت باليقين لا يزول بالشك... إلى غير ذلك من المبادئ التشريعية التي هي دستور الأحكام الشرعية)) (٤).

ولقد يبدو هذا التقرير المرتكز على نصوص من القرآن والسنة واضح المعاني فيما تدل عليه من يسر وسماحة وتخفيف ورفع حرج عن الحياة الإنسانية، وما توجه إليه المسلمين من طلب رعاية ذلك في كافة شؤونهم، لكن الموازي لهذه الملحوظة المستدعي لتقرير هذا

(١) ابن ماجه الأحكام (٢٣٤٠)، أحمد (٣٢٧/٥).

(٢) سورة الحج آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٩.

(٤) عبد الوهاب خلاف بحث بعنوان (الإسلام والإصلاح الاجتماعي) منشور في مجلة وزارة الشؤون الاجتماعية بمصر، انظر أصول الفكر السياسي، محمد فتحي عثمان ٦١.

الواضح أن فئاما من شباب الإسلام المنتسبين للعلم أو للدعوة، أو المتحركين بغيرة إيمانية، ربما بسبب خلل في فقههم الشرعي، أو انفعال مفعم بضواغط العصر ومكر أهل الكيد للإسلام فيه، أو لتربية غير سوية، أو لغير ذلك من الأسباب - أنهم - انطبعوا في أحكامهم على الناس والواقع، وفي نظرهم للأشياء، وفي تعاملهم بطابع مناقض لتلك السمة متسم بالغلظة وسوء الظن، ومقت الناس لعدم تحققهم بالصور المثالية التي يتراءونها والدعوة إلى بناء العلاقات، والتعامل على الرفض والمباعدة والتوجس من الآخرين، ثم هم يسعون لدعم مواقفهم ورؤاهم بما يوهم أنها منهج الإسلام وشريعته، مما يقتضي إيضاح الصورة السليمة، وتأكيد طابع الإسلام الحقيقي في هذا المجال.

ولكن ينبغي أن نؤكد هنا - حتى لا يشتت بنا هذا التطرف إلى تطرف مقابل - أن يسر الشريعة ورفعها للحرَج لا يعني مباركة الواقع في كل تحولاته وفي مفسده، كلا فالإسلام بناء عقدي وقيمي وتشريعي متميز أنزله رب العالمين لتحقيق مصالح عباده، وهو أعلم بهم من أنفسهم، فإذا ما تصوروا أن في خلق أو معاملة مما يخالف شرع الله خيرا وصلاحا وأقبلوا على ذلك فإنهم ضالون تائهون، وشرع الله هو الحق، ولا يجوز للمسلم أن يواطئهم على ضلالهم ولا أن يرضى به.

التعامل مع واقع الأفراد في إطار سماحة الإسلام

في هذه المسألة نقطتان:

الأولى: في تعامل الدين مع الأفراد في واقعهم الحياتي سواء كان في ذواتهم أو في الأوضاع الملابس لهم.

* وأول ما يشار إليه هنا هو أن الإسلام في عقيدته وشريعته جاء متناغما مع فطرة الإنسان أي مطابقا لواقعه الذاتي فيما فطر عليه من تدين وتوحيد، ومن قيم خلقية ونزعات مادية مما يجعل أي إنسان سوي العقل سليم الفطرة لا يملك حين ينظر في ما جاء به الكتاب والسنة في العقيدة والقيم والشريعة إلا أن يقر بأنها الحق والصدق الذي تهفو إليه نفسه، ولا حاجة لتجاوز هذا إلى تفصيل حديث القرآن عن قضايا الإيمان والقيم وتلاؤمها مع مقررات الفطرة فحسبنا هذه الإشارة (١).

* مراعاة الطبيعة البشرية المحدودة طاقتها المادية بحيث جاءت الشريعة في حدود هذه الطاقة { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (٢) [البقرة ٢٨٦]، { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتْنَهَا } (٣) [الطلاق ٧].

ولو جمع المسلم نتيجة توهج إيماني طامح بما يتجاوز هذه الطبيعة، فإن الإسلام يرده إلى المسار الوسطي معتبرا طموحه هذا خطأ، بل خروجا على هدي الإسلام وغلوا غير مقبول، وحديث الرهط الثلاثة الذين دفعتهم الرغبة في التفوق التعبدي على الآخرين لدرجة اختطاط مسالك خاصة في التبعيد حيث { قال أحدهم أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أقوم ولا أرقد، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء، فلما علم الرسول ﷺ

(١) انظر مثلا: خصائص التصور الإسلامي - سيد قطب ٩٦، والخصائص العامة للإسلام - يوسف القرضاوي.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٦.

(٣) سورة الطلاق آية: ٧.

بمقالتهم أنكر عليهم وبين المنهج الوسطي الإسلامي المتناسب مع الطبيعة البشرية ذات الاحتياجات المادية المشروعة التي لا يجوز الجور عليها ولو بالإغراق في المسالك الروحية التعبدية قال عليه الصلاة والسلام: أما والله إني لأحشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني { (١) (٢) .

ومثل ذلك في رعاية الجانب المادي من الإنسان وردع من يصادر شيئاً منه لحساب الجانب التعبدي الروحي، قال الرسول ﷺ حينما سقط الصوم في السفر وقام المفطرون بضرب الأبنية وسقي الركاب - قال - { ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ بِالْأَجْرِ } (٣) (٤) .

وفي هذا الجانب أقصد في مراعاة الشرع الإسلامي لواقع الطبيعة الإنسانية راعت الشريعة ما يمكن أن يعرض لهذه الطاقة من ضعف ومشقة من جهة، ومن قدرة يمنحها الله بعض عباده زيادة عما هو معتاد في سائر الناس.

راعت الشريعة ذلك:

* ففي حالة المشقة خففت عن المسلم فيما تطالبه به من عبادات فجاء مثل قصر الصلاة والجمع في السفر، والجمع في المطر والفطر للمسافر والمريض والمسح على الخفين والعمامة ونحو ذلك.

* وفي حالة وجود فائض طاقة لدى المؤمن وهمة في التسامي بصلته بالله شرع الإسلام نوافل الطاعات التي تتدرج من رواتب - كما في الصلاة - ووتر مؤكد، إلى تهجد معظم أجره، إلى نوافل مطلقة.

ومثل ذلك الصيام والصدقة والحج.

وهكذا لا يجد المسلم نفسه في حالة نفسية وجسمية وظروف إلا وقد شرع الإسلام

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٢٨٥/٣).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح.

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٧٣٣) ، مسلم الصيام (١١١٩) ، النسائي الصيام (٢٢٨٣).

(٤) البخاري في الجهاد ، باب الخدمة في الغزو ، ومسلم في الصيام ، أجر المفطر في السفر.

ما يناسبها مما يحقق سعادته ويعمر به وجوده.

* من أعظم رعاية الإسلام للواقع الفردي للمسلم اعتباره للضغوط الخارجية المحيطة
بالإنسان وأن المطلوب من المسلم ليس بجع نفسه أمام التحديات الضاغطة، ولكن أن
يسدد ويقارب، ومهما اشتدت الضغوط عليه فإنه واجد في رخص الدين مسالك تقيه من
أن تطحنه لدرجة أنه يجوز للمسلم عند الضرورة والخوف على نفسه الهلاك أن ينطق
بكلمة الكفر: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ } (١) النحل ١٠٦.

وأنه لا يأثم عند الاضطرار لتناول الحرام الذي تتوقف عليه حياته، وفي هذه القاعدة
التي استقرها العلماء من نصوص الشريعة وهي قاعدة ((الضرورات تبيح المحظورات)).
ثم إن الشريعة الإسلامية مع أنها وضعت للناس النموذج الأعلى للحياة الإنسانية
السامية إلا أنها رعاية للواقع الإنساني تنزل إلى هذا الواقع لتكيف أحكامها الفرعية معه
حتى لا تعطل مصالح العباد وتنفلت حياتهم من الإسلام جملة، ومن أجل أن ترتقي بهم ما
أمكن في سبيل صبح حياتهم بالإسلام شيئاً فشيئاً.
من ذلك مثلاً أنه يشترط فيمن يلي منصباً أن تتوفر فيه صفتا الأمانة والقوة، فإذا لم
تتوفر بصورتها المطلوبة في مجتمع اقتضت المصلحة تولية من يمتلك قدراً منهما ولو دون
ذلك.

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن بعض العلماء سئل: إذا لم يوجد من يولى القضاء إلا
عالم فاسق أو جاهل دین فأيهما يقدم؟
فأجاب العالم: إن كانت الحاجة إلى الدين أكثر لعلة الفساد قدم الدين، وإن كانت
الحاجة إلى العالم أكثر لخفاء الحكومات قدم العالم (٢).

(١) سورة النحل آية: ١٠٦.

(٢) السياسة الشرعية - شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠.

ومثل هذا النمط كثير لدى العلماء الراسخين في إدراك مقاصد الشريعة ومنهجها المساوقة للحياة البشرية في كل أوضاعها^(١) لكن هل ذلك يعني الاستسلام للواقع الرديء والانسحاق مع انحداره؟!، كلا إن الواجب هو السعي إلى الارتقاء بالحياة نحو الصورة الإسلامية الممكنة ما استطاع الدعاة إلى ذلك سبيلا.

المسألة الثانية: توجيه الإسلام أتباعه في تعاملهم مع الأفراد برعاية واقعهم: فبناء على ما تقدم من الرعاية الشاملة في الإسلام لواقع الإنسان في كافة أحواله دعا الإسلام المسلمين في تعاملهم مع الآخرين إلى رعاية الطبيعة الواقعية لذواتهم ولظروفهم المختلفة في مختلف مجالات التعامل معهم:

* أولا: رعاية الواقع في دعوتهم إلى الله وإلى دينه فقد أمر الله نبيه موسى وهارون في دعوتهما فرعون بمراعاة وضعيته النفسية: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } طه ٤٤، وقد سبق توجيه الرسول ﷺ لمعاذ وأبي موسى في دعوتهما في اليمن { أَنْ يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا }^(٣).

وفي هذا الإطار ذكر العلماء أنه مما ينبغي للداعية في مراعاة أحوال المدعو أن يختار له ما يناسبه فإذا كان في حالة يأس واستعظام لما هو فيه وتصور انقطاع ما بينه وبين الله استحسن أن يعالجه بنصوص الرجاء وسعة رحمة الله، وحب التوبة للذنوب ونحو ذلك، وإذا كان في حالة استهتار وأمن من مكر الله وتماد في الرجاء كان المناسب له نصوص الخوف والانتقام وعظيم عذاب الله في الدنيا والآخرة.

من ذلك أيضا أن تكون دعوة الداعي قائمة على العدل الذي جاء به الإسلام دون تطرف يمنح بالمدعو من مخالفة إلى مخالفة مقابلة، أي من تطرف إلى تطرف آخر.

(١) انظر الخصائص العامة للإسلام للقرضاوي ١٧٢.

(٢) سورة طه آية: ٤٤.

(٣) البخاري المغازي (٤٠٨٦)، مسلم الأشربة (١٧٣٣)، أحمد (٤١٧/٤).

فإذا أراد أن يحذر الناس من الترف والإسراف في المتعة الدنيوية فينبغي أن لا يعزف بهم نحو زهد صوفي اعتزالي لكل متع الحياة مما تأباه فطرهم، وإنما ينبغي أن يبين منهج الإسلام الوسط الذي أباح الطيبات وتفضل على عباده بالتمتع بها، ولكن على الوجه الشرعي بأن تؤدى الحقوق، ويشكر المنعم، ولا يتجاوز إلى الحرام.

وهذا ما يخطئ فيه بعض الدعاة الذين يفعلون أمام الانحرافات التي يرونها فيرتمون إلى الطرف المقابل فإذا افتتن الناس بشيء في أصله مباح كبعض الألعاب أو موضوعات الثياب، أو التجميل، أو استقدام الخدم أو بعض التقلبات الاجتماعية كالاستراحات... الخ؛ حملتهم الغيرة على اقتلاع هذا الافتتان إلى الشطط في حرب هذه الأشياء والوقوع أحيانا في التحريم لزيادة الضغط في اتجاه الإصلاح الذي ينشدونه، وإن كانوا لا يمارون في لحظات الهدوء أن هذه الأشياء - في ذاتها - ليست محرمة.

* ثانيا: رعاية الواقع في معاشرتهم: حيث وجه الإسلام إلى رعاية الأوضاع النفسية لهم سواء في سمتها العام المتمثل بالحاجة إلى الحنان ممن حوله جاراً أو قريباً أو غير ذلك، كما في حديث حقوق المسلم: { **السَّلَامُ عَلَيْهِ عِنْدَ لُقْيَاهُ، وَتَشْمِيَّتُهُ عِنْدَ الْعُطَاسِ وَحَمْدِ اللَّهِ، وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ، وَعِيَادَتُهُ إِذَا مَرِضَ وَتَشْيِيعُهُ إِذَا مَاتَ** } (١) (٢) أو في حالاتها الخاصة بالتنفيس عنه إذا أصابته كربة، ويقال له عشرته إذا كان من ذوي الهيئات الذين تجرحهم الفضيحة ويكفيهم العفو (٣) وتبتهنته إذا نال خيراً من زواج أو منصب ونحوه.

كما وجه الإسلام إلى رعاية الأوضاع المادية للإنسان من قبل من حوله من أفراد أو

(١) الترمذي الأدب (٢٧٣٦)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٤٣٣)، أحمد (٨٩/١)، الدارمي الاستئذان (٢٦٣٣).

(٢) حديث حقوق المسلم، رواه البخاري ومسلم وغيرهما، انظر جامع الأصول ٦ / ٥٣٧، وانظر حديثاً آخر في البخاري - كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز.

(٣) أخرجه أبو داود في الحدود وأحمد في المسند والنسائي، انظر الكلام على رواياته ورجاله في جامع الأصول ٦ / ٦٠٣.

جماعة. وفي هذا الإطار نهى النبي ﷺ أن يطرق المسافر أهله ليلاً حتى لا تضطر المرأة لاستقباله وهي غير متهيئة. بما يفترض أن تنتهي به الزوجة لزوجها فتكون النتيجة ربما نفوره منها (١).

ومما يدخل في هذا أن الشريعة تأمر الزوج بأن يلبس زوجته مما تلبسه أمثالها - بقدره - مراعاة للوضع المادي الذي تعيشه.

ومن ذلك نهى الشريعة المسلم الغني أن يخرج جاره الفقير حيث طلب منه الشرع كف أهله وأولاده من التباهي على أولاد جاره. بما يمتلكون من ثياب وزينة ونحوها.

* ثالثاً: مراعاة الواقع في الحكم على الناس وفيهم: وفي ذلك أن الشريعة وجهت المسلم أن يكون في حالة حكمه وتقويمه في وضع متزن يسمح له بتحري الصواب بأعلى درجة ممكنة فقد نهى النبي ﷺ أن يقضي القاضي وهو غضبان (٢) وقيس عليه العوارض الأخرى المؤثرة في الحكم.

* ثم إن الشريعة جعلت للأعراف، وهي واقع إنساني متحول اعتباراً في أحكامها على الناس وحقوقهم بناء على القاعدة الفقهية: " المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً " (٣).

فلو اختلف زوجان في المهر الذي لم يحدده عند العقد فالمراد هنا إلى العرف الجاري في البلد الذي يعيشان فيه، وهكذا كثير من قضايا البيوع والإجازات والمساقاة ونحوها للعرف فيها موقع مؤثر في الأحكام.

وأمر مهم هنا في الحكم على الناس في مستوى تدينهم، حيث لواقع الإنسان معرفة وقصد ورؤية اعتبار مؤثر لا يتسنى لمبتغي إصدار الأحكام التمكن منه بمجرد صدور رد فعل من هذا الإنسان، ولهذا كان التفريق بين الحكم على الأفعال والأقوال والحكم على الأشخاص الذين قالوها أو فعلوها بأعيانهم.

(١) في حديث رواه البخاري في كتاب العمرة ، باب لا يطرق أهله إذا قرب المدينة.

(٢) فيما رواه البخاري في كتاب الأحكام ، ومسلم في كتاب الأفضية وغيرهم.

(٣) انظر قاعدة (المعروف عرفاً). في شرح القواعد الفقهية - أحمد الزرقاء ٢٣٧.

فلو نقلت إليك كلمة عن شخص أو فعل فمن الممكن لك أن تحكم بأن هذه القولة أو الفعل كفر، لكنك لا تحكم على الشخص بالكفر إلا بعد مواجهته واستنبائه عن خلفيات نطقه أو فعله أي استقراء واقعه والحكم من خلاله.

وكم من فتن جرّها على الناس في زماننا تسرع متسرعين بأحكام الكفر والشرك على أناس لمجرد تلقف كلمة منسوبة إليهم أو فكرة مطروحة من قبلهم وذلك نتيجة الاستهانة بهذا المنهج الشرعي الذي به تحقن الدماء ويتوقى التزاع، والله المستعان.

التعامل مع واقع الدولة في إطار سماحة الإسلام

لئن كان واقع الفرد معتبرا في الشريعة الإسلامية فإن واقع الدولة المسلمة أشد اعتبارا بحكم أن حرية الفرد - في الغالب - وبالذات في أوقات الاستضعاف أوسع من حرية الدولة أمام الضغوطات المحيطة بها والمطالب المناطة بها.

وعموما فما ذكرناه عن منهج الشريعة الإسلامية العام في توجيهها لتحقيق المصالح ودرء المفاسد لا تخرج منه الدولة، ولأن واقع الدولة الذي تتحرك فيه واقع مادي دنيوي في عمومها، ثم إنه واقع تقف فيه الدولة الإسلامية إزاء دول أخرى غير إسلامية، خلافا لواقع الفرد - الإنسان - الذي تتشكل كينونته من عناصر ذات ثبات متمثلة بالترعات الفطرية الروحية والمادية التي إن تغيرت بعض الصور المادية التي تتمثل بها فإنها في أساسها باقية ثابتة - لذلك - جاءت الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالدولة بعناصر عامة كالبيعة، والحكم بما أنزل الله، والشورى... تاركة التطبيقات التفصيلية لإنشاءات المسلمين عبر اجتهادهم لتوليد صور مواكبة للسقف الحضاري الذي يعيشونه، ومحقق للمصالح الشرعية سواء ابتدعوها هم بأنفسهم وبتجارب تحولاتهم الذاتية، أو استفادوها من تجارب الأمم الأخرى من حولهم.

* إن علاقة المسلم بالدولة الإسلامية يقوم أساسا على قيم الإسلام العامة التي كما يطالب - هو - بما دولته، فإن الدولة تطالبه بما ليس فقط في علاقتهما الثنائية بل في مختلف العلاقات.

فالعدل حق للفرد ومن ثم للشعب على دولته، العدل في الأحكام والأموال وغيرها، وهو بالمقابل للدولة تطالب به الفرد معها ومع المحيطين بل ومع دينه، ومثل ذلك الوفاء الذي ينبغي أن يستوفيه الفرد والدولة تبادلا وعموما، وكذلك التعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى إذ هي وإن كانت من غايات الحكومة الإسلامية إلا أنها واجب كل فرد في المجتمع.

* من رعاية الإسلام لواقع الدولة إعطاؤها المجال للحكم في تقدير المصلحة العامة في ضبط حركة المجتمع ذات البعد العام فمثلا ((الحرية)) حرية التعبير تمثل في الأساس مطلباً شعبياً من الدولة، بل إنها تتسامى إلى درجة الوجوب بسبب كونه لا يتم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله إلا عن طريقها لكن الشرع أعطى الدولة حق تغيير هذه الحرية إذا أصبحت سبيلاً للإفساد وتعريض المجتمع للتفكك والاعتداء على مقدساته وأخلاقه، فالإسلام هنا وسط بين النظم الديكتاتورية المكممة للأفواه والنظم التي تفتح المجال للحرريات حتى تتحول إلى فوضى يمارس من خلالها التضليل ونشر الجحون والإلحاد، ولكن ذلك لا يعني أن يتجاوز الحاكم حدود المصالح التي تقتضيها الشريعة لسد منافذ حرية الرأي استبداداً باسم المصلحة فهذا جور على الدين لا اتباع له.

* من رعاية الإسلام للواقع في إطار الدولة أن أساس وجود الدولة في الإسلام هو إقامة شرع الله وإعلاء دينه وتحقيق المصالح الشرعية، وهذا يعني أن يقوم بها قومي أمين عادل صالح، وأن يعزل عنها الفاجر الجائر الذي لن يحقق هذه المطالب لكن رعاية الواقع متمثلة بالخشية من فتنة أكبر بانفلات الأمن، وضياع الحقوق نمت الشريعة عن الخروج على الإمام الجائر مادام معلنا شعار الدين، وفي هذا جاء الحديث الذي سئل فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام عن منابذة أئمة الجور فقال: { لَأَمَّا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ } (١) (٢).

* ومن هذا المجرى أنه حينما تعرض للدولة المسلمة أحداث أو قضايا فيطلب الحاكم شورى من حوله أو اجتهادات العلماء فتتعدد الآراء والاجتهادات ويأخذ الحاكم بواحد منها ليعتمده في هذا الحدث، أو حل هذه القضية؛ فإن اعتماده لهذا الاجتهاد يقطع النزاع ويقضي على أصحاب الآراء الأخرى بالوقوف معه فيما تبناه، حتى لا يحدث التنازع والشقاق ومن ثم الفشل وذهاب الريح.

(١) مسلم الإمامة (١٨٥٥)، أحمد (٢٤/٦)، الدارمي الرقاق (٢٧٩٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمامة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا.

* ومن اعتبار الواقع في أمر الدولة أن العلاقة مع الأمم الأخرى على مستوى الدول تنطلق من الدولة نائبة عن الشعب في إقامة العلاقات وإبرام الاتفاقيات، وحتى في إعلان الجهاد ضد العدو إذا اقتضت الظروف ذلك.

وإذا ساغ للفرد أن تكون له علاقات شخصية أو فكرية ونحوها مع أفراد خارج دولة الإسلام فإنه لا يسوغ له أن يغامر بمجتمعه كله نتيجة موقف اتخذه أو رأي رآه تجاه الآخر مفتتتا على دولته إلا أن يكون ممن حول له ولي الأمر إقامة مثل هذه العلاقات.

وقد يتصور أناس أن في هذه الضوابط التي جاءت في الشريعة أو قررها الفقهاء استقراء لقواعدها، أن فيها إجحافا بحق الفرد وجنوحا مع الدولة، وأن هذا الإجحاف يناقض يسر الشريعة وسماحتها بل ويوقع في الحرج المنفي عنها إذ كيف يطلب الشرع من أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأن أجاهد ثم يقيدني بطاعة ولي أمر قد يمنعني من الأمرين؟.

والحق أن يسر الشريعة في رعاية الواقع لا بالنسبة للدولة في هذه المجالات بل بالنسبة للفرد تتجلى أكثر مما تتجلى في كثير سواها.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد أمور مرتبطة بعلاقة لها جانب سلطوي تجاه الآخر سواء كان في داخل الدولة كما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو في خارجها كالجهاد مما يعني أن تفاعلاتها وآثارها تتجاوز حدود ممارستها نحو من حوله بما فيه السلطة التي تحكمه وهذا يعني حساسية هذين التصرفين:

* فإما أن يتحمل الفرد مسئولية تقدير المصالح والمفاسد على المستوى العام وهو غير يسير - وإلا فالمستوى المهني الخاص بهذا التصرف أو ذاك موكول له - ومن ثم يؤاخذ على ما تحمل مسئوليته إذا غامر فخاب تقديره.

* وإما أن يتحاشى المغامرة تحاشيا ذاتيا فيحجز ذاته عن الفعل فيبقى قلقا من امتناعه عن العمل مجرد تقديره الذاتي.

* وإما أن يتحمل أميره ((الحاكم)) مسئولية هذا التقدير ويشعر هو أنه معذور بتأجيل

ممارسة هذه الأمور في ظل عدم إذن الإمام.

لا ريب أن الخيار الثالث هو أيسر الخيارات له وأرفعها للخرج عنه وينبغي أن نعي أن هذه الرعاية لواقع الدولة المسلمة من قبل الشريعة الإسلامية لا تعني أن هذه الدولة مضاهية للدول الأخرى من حيث انصياعها للواقع ومتطلباته المتحولة والتي تتفاقم فيها صنوف الفساد فتقبل وتشرع لأن الواقع قضى بها، كلا إن الدولة الإسلامية دولة شريعة تستهدي بهدي الكتاب والسنة وتستهدف إعلاء كلمة الله وتطبيق شرعه في أحكامها وفي حياة شعبها، فنظامها وإعطاؤها ومنعها قائم على الشريعة أساسا لكنها تبقى دولة تتحرك في عالم دنيوي بين دول أخرى وأمم لها مصالحها ومواقفها وتوازنها الدولية مما يجعل إمكاناتها الحركية أقل من طموحات رجالها ومن ثم رغبات شعبها بدرجات تتفاوت زمنيًا، وبسبب التفاوت بين الطموحات والإمكانات الحركية يكون التفاوت بين المطالب المثالية للناس والقدرة التنفيذية للدولة والله الموفق.

المحور الثالث

الغلو: مظاهره وأسبابه

مفهوم الغلو في الكتاب والسنة

للدكتور

صالح بن غانم السدلان

الخور الثالث الغلو مظاهره وأسبابه

مفهوم الغلو في الكتاب والسنة

مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن موضوع الوسطية في الإسلام اليوم هو موضوع الساعة، وهو في نظري أشد الموضوعات خطورة وأثرا، وأجدرها بالدارس المتأني ذي النفس الطويل؛ ذلك لأن المسلمين اليوم وهم يواجهون مشكلات الحضارة، وتحديات العصر ومعركة البقاء، لا يواجهون ذلك كله، وهم على منهج واحد، كما تواجه الأمم الأخرى هذه التحديات المصيرية، بل هناك مناهج لدينا نشأت من الابتعاد عن المنهج الأمثل، وهو المنهج الحق الذي ارتضاه الله لنا { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ }^(١) [الأنعام: ١٥٣].

وكل ابتعاد عن هذا النهج القويم يولد الفرقة والتناحر والتشتت، وإن مما رزئت به الأمة الإسلامية وأشد ما ابتليت به اليوم قضية الغلو التي عصفت زوابعها في أذهان البسطاء من الأمة وجهالها، والتي افتتن بها أهل الأهواء الذين زاغت قلوبهم عن اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فكانت النتيجة الحتمية أن وقع الاختلاف بين أهل الأهواء وافترقوا إلى فرق متنازعة متناحرة همها الأوحاد إرغام خصومها ومعارضيتها على اعتناق آرائها بأي وسيلة كانت، وراح بعضهم يصدر أحكاما ويفعل إجراما، يكفرون ويفجرون، ويعيشون في الأرض فسادا، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

أمة سادت العالم بالإسلام ثم تخلفت عن ركب الحضارة في مجالات شتى، وهي لا تزال بحمد الله تعتنق الإسلام ديناً، وتؤمن بحمد ﷺ رسولا تصاب في الخبز بهذا الخطر الداهم، وتبتلى بهذه الفرقة والتناحر والتشتت، ويظهر فيها الغلو في الدين إفراطاً وتفريطاً، ويصير بأسها بينها شديداً، فتكثر الفتن وتتشعب الآراء.

لعمركم الله، إنها مسألة تستوجب التأمل وتستدعي التفكير، فلا بد إذن من وجود خلل، ما هو سبب الخذلان والوهن؟ فأين يكمن هذا الخلل؟

إننا نراه يكمن في سوء فهم المسلمين لعقيدتهم لا في العقيدة نفسها، وانعدام الوسطية التي هي من ثوابت الحياة كما أنها من ثوابت الإسلام. وكمال الدين يكون بالتزام حدوده بلا إفراط أو تفريط.

لا ريب أن أعداء الإسلام كلهم متضافرون على محاربتهم ومحاكمة الأمة الإسلامية وتدميرها، لا تمزيقها، وهذا موقف طبعي لا تناقض فيه، فهذه مصلحتهم وهذا شأنهم.

ولكن ما يصنع هؤلاء كلهم لو كان المسلمون متوسطين ومتحدين؟! ما يفعل جرثوم المرض إذا كان جسم الإنسان سليماً؟!!

إن المشكلة تكمن في داء عضال أصاب المسلمين فأوهن قواهم، ودك معاقل القوة لديهم، هذا الداء اسمه (اللاوسطية) أو (انعدام الوسطية). فهو السرطان الفتاك الذي شل وحدة المسلمين ومزقهم كل ممزق، وجعلهم في مؤخرة الركب.

وسببه الأكبر منا، نحن المسلمين، نحن أوجدناه، واستغله الآخرون.. نحن الذين جعلنا من الأشخاص أصناماً، ومن المذاهب أدياناً، ومن الخلاف خصومة، ومن المناظرة محاجرة، ومن الرحمة نقمة، ومن الذي صنع؟ إنهم المسلمون!!

فالوسطية التي هي وسام شرف لهذه الأمة أناطها الله بها وجعلها شهيدة على الناس، هذه الوسطية ذابت بين جانبي الغلو والانحلال، الإفراط والتفريط.

لهذا كان الكشف عن جذور الغلو والتطرف والعنف والفساد والإفساد في حياة المسلمين المعاصرين يعد من عوامل التخلص من الخلل الذي أثقل كاهلهم، وأضعف قوتهم

وفرق كلمتهم، فمعرفة الخلل توصل إلى علاج ناجع إذ لم ينشأ تطرف في حياة المسلمين إلا عن خلل في البناء الفكري للغلاة الذين يدعون إلى العنف والهرج والمرج والفساد والإفساد. وكل تطرف في الدين أو غلو فيه فسببه هذه الطغمة الباغية من الفرق والجماعات والأحزاب، وهي بمجموعها مصدر البدع والفتن والأهواء والآراء.

ولهذا كان من الواجب الأعظم من الأمة أن تدرأ عن نفسها خطر أصحاب هذه الدعوات الباطلة، لا بد من دراسة منهجية شمولية تحليلية لنصوص القرآن والسنة النبوية المرتبطة بوقائع السيرة الكريمة لخاتم الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح من هذه الأمة المباركة، إذ إن هذه الدراسة وسيلة للوصول إلى فهم مقنع مترابط لمعنى هذه النصوص وفحوى دلالات السياسة النبوية الراشدة.

وهذا هو النصح الواجب في دين الله وسنة رسوله ﷺ وهذا هو المنهج المستقيم الذي يعيد للأمة وحدتها وقوتها وعزتها.

إن البحث في هذه المسألة وتلقيها وضبط شواردها من الضرورة بمكان، فنحن اليوم مسئولون عن ممارسة وسطيتنا التي هي أعظم خصائصنا، فيها نتوحد وبها نبقي وبها نسبق ونتصر بإذن الله، وإنه لجهاد للنفس والهوى { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (١) العنكبوت: ٦٩.

ولعلي بهذه الكتابة المتعجلة المتواضعة أضع لبنة بسيطة في البناء الشامخ، بناء التعقل والمرونة وإبراز محاسن الإسلام وسماحته ويسره، الذي يحمل لواءه ويعلي مناره وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بوطننا العزيز ومملكتنا الحبيبة التي ما فتئت تحمل لواء الوسطية الداعي إلى التعقل والتثبت والمرونة والتؤدة وعدم التعجل والتسرع الأرعن والتسلطية الهوجاء.

نسأل الله تعالى أن يدفع الفتنة ويكف الأذى عن هذه الأمة، وأن يديم على هذه البلاد

(١) سورة العنكبوت آية: ٦٩.

المباركة نعمة الأمن والإحياء والاستقرار، إنه نعم المجيب، والشكر والدعاء مقرون لكل من وجه إلينا هذه الدعوة للمشاركة في هذه الندوة الموقرة، وفقكم الله جميعا وجعلكم مباركين أينما كنتم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معنى الغلو في اللغة والشرع

العلم بحقائق الأشياء والوعي بمعانيها يعد مدخلا أساسيا لتصورها، وفي المأثور من أقوال أسلافنا: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد عني العلماء المسلمون بالألفاظ الشرعية والمصطلحات اللغوية وحرصوا على تحديدها، حيث إن مصدر العلم بمعنى قول الشارع يرجع إلى أمرين: اللغة التي تكلم بها، ومقصود الشارع من الألفاظ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك.

ومن الألفاظ والمصطلحات التي يحتاج إلى فهمها الشرعي ومعناه اللغوي وفهم مراد الشارع منها (لفظ الغلو) إذ لا بد في فهمه من الرجوع إلى معيار ثابت إذ لو أوكلت القضية إلى البشر لأصبحت نسبية بحسب اختلاف أهوائهم ومشاربهم وانتمائهم، واتباع الهوى يؤدي إلى اختلاف غير متناه وفساد غير منقوض.

فثبات المعيار الذي ينظر بواسطته وتفهم الحقائق في ضوءه أمر لا محيد عنه.

وإليك معنى الغلو لغة، ومفهومه شرعا.

الغلو لغة: تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد يدل على مجاوزة الحد والقدر، قال ابن فارس: "الغين واللام والحرف المعتل" أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر (١).

يقال غلا غلاء فهو غال، وغلا في الأمر غلوا أي جاوز حده، وغلت القدر تغلي غليانا، وغلوت بالسهم غلوا إذا رميت به أبعد مما تقدر عليه، فالغلو: هو مجاوزة الحد، يقال: غلا في الدين غلوا تشدد وتصلب حتى جاوز الحد (٢).

وبالرجوع إلى المصادر والمعاجم اللغوية تبين أن الغلو هو: مجاوزة الحد وتعيده.

* قال الجوهري في الصحاح:

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة "غلو غلى".

(٢) يُنظر الجوهري، الصحاح، مادة "غلا".

" غلا في الأمر يغلو غلوا، أي جاوز فيه الحد " اهـ.

* وقال الفيروز آبادي في القاموس:

" غلا غلاء فهو غال، وغلي ضد الرخص.. وغلا في الأمر غلوا جاوز حده " اهـ.

وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا، جاوز حده.

* وقال الفيومي في المصباح المنير:

"... وغلا في الدين غلوا من باب قعد: تصلب وتشدد حتى جاوز الحد، وفي التزليل:

{ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } ^(١) وغالى في أمره مغالاة: بالغ ^(٢) اهـ.

* مما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجازة

الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد.

الألفاظ ذات الصلة بالغلو:

أ - التطرف: وهو تفعل من الطرف، ومن قولهم للشمس إذا دنت للغروب تطرفت. ومن تجاوز حد الاعتدال وغلا يصح لغويا تسميته بالتطرف، جاء في المعجم الوسيط مادة طرف: تطرف: " جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط ".

ب - التنطع: وهو مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى في الفم الذي يظهر عندما يتعمق الإنسان ويتشقق، ثم استعمل في كل تعمق سواء أكان في القول أم الفعل ^(٣).

ج - التشدد: وهو دال على القوة والصلابة " فالشين والبدال أصل يدل على قوة في الشيء "، والمشادة المغالبة والمقاومة، والمشادة في الشيء التشدد فيه ^(٤).

د - العنف: العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق والعنيف: الشديد من القول والفعل.

(١) سورة النساء آية: ١٧١.

(٢) تاج اللغة ، وصحاح العربية للجوهري مادة غلا ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي مادة غلا.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ج ٥ ، ص ٧٤.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري مادة شدد.

وبالنظر إلى هذه الألفاظ تجد تقاربا بينها وبين الغلو، فهي بمثابة أوصاف ومظاهر للغلو. وكلها ما عدا التطرف قد وردت في النصوص الشرعية في الكتاب والسنة.

مفهوم الغلو في الشرع

في ضوء النصوص السابقة يمكن تحديد معنى الغلو في الشرع والضوابط التي تحدد المعنى، وتحد من تركه معنى نسبيا متغيرا بتغير الأحوال والأشخاص.

وقبل بيان ذلك أعرض بعض تعاريف أهل العلم للغلو:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الغلو: مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء في حمده، أو ذمه، على ما يستحقه ونحو ذلك " (١) وبنحو هذا التعريف عرفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٢).

٢- وعرف الحافظ ابن حجر الغلو بأنه " المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد " (٣) ويمثل هذا التعريف عرفه الإمام الشاطبي (٤).

وهذه التعاريف كلها متقاربة، وتفيد أن الغلو هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة. و" الحدود: هي النهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به " (٥).
 ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الأمر وضوحا فيحدد ضابط الغلو، فيقول: " وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي } (٦) (٧).

وذلك لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط، يقول عمر بن عبد العزيز في كتاب

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٥٦.

(٣) فتح الباري ج ١٣، ص ٢٧٨.

(٤) الاعتصام، ج ٣، ص ٣٠٤.

(٥) ابن تيمية، الفتاوى ج ٣، ص ٣٦٢.

(٦) سورة طه، آية ٨١.

(٧) تيسير العزيز الحميد ص ٢٥٦.

أرسله إلى رجل يسأله عن القدر "... وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم". وقال الحسن: " سننكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما، بين الغالي والجافي (١).

وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط، وهو معنى قول مطرف بن عبد الله: (الحسنة بين السيتين) (٢) وبه تعلم أن من جانب التفريط والإفراط فقد اهتدى (٣).

ويمكن أن نتبين ملامح الغلو في ضوء النصوص الشرعية وتصنيفه بحسب متعلقه إلى ما يلي:

١- أن يكون الغلو متعلقا بفقهاء النصوص، وذلك بأحد أمرين:

أ - تفسير النصوص تفسيراً متشدداً يتعارض مع السمة العامة للشريعة، ومقاصدها الأساسية فيشدد على نفسه، وعلى الآخرين.

ب - تكلف التعمق في معاني التزويل لما لم يكلف به المسلم، ومن هنا نشأت الفرق كلها أو أكثرها (٤).

٢- أن يكون الغلو متعلقاً بالأحكام، وذلك بأحد أمرين:

أ- إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله وَعَلَيْكُمْ عِبَادَةٌ وترهبا، وهذا معياره الذي يجدده الطاقة الذاتية، حيث إن تجاوز الطاقة وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل يعتبر غلوا، كما يتضح ذلك من قصة زينب رضي الله عنها، وقصة أبي إسرائيل رضي الله عنه. والقضية في هذا نسبية مناطها قدرة الشخص ومدى تحمله، يقول الإمام الشاطبي: " الفرق بين المشقة التي لا تعد مشقة عادة، أو التي تعد مشقة، هو أنه إن كان العمل يؤدي الدوام

(١) رواه الدارمي ج ١ ، ص ٦٣ .

(٢) نص قوله هو: (خير الأمور أوسطها ، الحسنة بين السيتين ، وشر الأمور المحققة) ، ينظر ابن رجب الحنبلي ، المحجة في سير الدلجة ص ١٨ .

(٣) الشنقيطي ، أضواء البيان ج ١ ، ص ٤٩٤ .

(٤) الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

عليه إلى الانقطاع عنه، أو عن بعضه، أو وقوع خلل في صاحبه في نفسه، أو ماله، أو حال من أحواله، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد، وإن لم يكن فيها شيء من ذلك في الغالب فلا يعد في العادة مشقة " (١) وطاقت الناس مختلفة، وقدراتهم متفاوتة فمن ألزم نفسه فوق طاقتها، أو أدى استمراره على العمل إلى انقطاع عنه أو عن أعمال شرعية أخرى من الحقوق المتعلقة بالإنسان فقد غلا.

ب. تحريم الطيبات التي أباحها الله ﷻ على وجه التعبد، فهذا من الغلو كما يتضح ذلك من بعض روايات حديث النفر الثلاثة حيث حرم بعضهم على نفسه أكل اللحم.
ج. ترك الضرورات أو بعضها، وذلك كالأكل والشرب والنوم والنكاح، فتركها يعتبر غلوا، ويتضح ذلك من قصة النفر الثلاثة أيضا (٢).

٣- أن يكون الغلو متعلقا بالموقف من الآخرين حيث يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه إلى درجة العصمة.
ويقف من البعض الآخر موقف الذام الغالي الذي يصم مخالفه بالكفر والمروق من الدين، مع أنه من أهل الإسلام.

فيتضح مما سبق أن:

أ- الغلو في حقيقته حركة في اتجاه القاعدة الشرعية والأوامر الإلهية، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حددها الشارع (٣) فهو مبالغة في الالتزام بالدين، وليس خروجاً عنه في الأصل، بل هو نابع من الرغبة في الالتزام به.

ب- الغلو ليس دائما فعلا بل يدخل في الترك أيضا، فترك الحلال وتحريمه ضرب من ضروب الغلو، هذا إذا كان على سبيل التدين، والالتزام بالدين.

ج - نسبة الغلو إلى الدين بقوله (الغلو الديني) أو (التطرف الديني) تجوز في العبارة إذ

(١) الموافقات ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٢) ينظر كمال أبو المجد ، التطرف غير الجريمة ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) المصدر السابق .

الغلو إنما هو أسلوب التدين لا الدين نفسه (١) ولذلك جاء التعبير القرآني يقول { لَا

تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } (٢) وقال ﷺ { إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ } (٣).

د - الحكم على العمل بأنه غلو يجب أن يتأني فيه، وينظر إلى العمل بدقة، فقد يحكم عليه بأنه غلو مع أنه سليم، ولكن الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو، فيقع الخلط من هذا الباب.

هـ - ليس من الغلو طلب الأكمل في العبادة، ولكن من الغلو الإثقال على النفس إلى درجة الملل، قال بعض العلماء: " وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل " (٤).

ز - ليس من العدل أن تصف إنسانا بالغلو؛ لأنه التزم رأيا فقهيا متشددا - من وجهة النظر المخالفة - إذا كان التزامه بناء على أمرين:
- اجتهاد سائغ شرعا لمن بلغ درجة الاجتهاد.

- تقليد لعالم شرع موثوق في دينه وعلمه لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد وتوفر أحد هذين الشرطين دليل على صحة الالتزام وخلوه من اتباع الهوى، ذلك أن متبعي الحق يفعلون ما يؤمرون به من حسن القصد، والاجتهاد لمن قدر عليه، أو التقليد لمن لم يقدر على الاجتهاد، ثم الأخذ في العمل بما قام الاعتقاد على صحته، وبالعكس ذلك أهل الأهواء فإنهم { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } (٥)، ويجزمون بما يقولون بالظن والهوى جزما لا يقبل النقيض مع عدم العلم، فيعتقدون ما لم يؤمروا باعتقاده، ويقصدون

(١) ينظر محمد سعيد العشماوي " التطرف في الدين وأبعاده " مجلة المنار ، عدد ٣٦ ، ص ٨١ .

(٢) سورة النساء آية: ١٧١ .

(٣) ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٢١٥/١).

(٤) ابن المنير ، نقلا عن ابن حجر ، فتح الباري ج ١ ص ٩٤ .

(٥) سورة النجم آية: ٢٣ .

ما لم يؤمروا بقصده، ويجتهدون اجتهادا غير مأذون فيه، وهم بذلك مسيئون متعرضون لعذاب الله، مع العلم أنه قد يقترن بالهوى شبهة فيصبح حقيقا بوصف الإساءة أيضا (١).

(١) ينظر ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٢٩ ، ص ٤٣ .

حقيقة الغلو

لما كان المعنى الاصطلاحي يقوم على المعنى اللغوي، ويخصص عموم إطلاقه، رجعنا إلى النصوص الواردة في الغلو من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: { يَتَّهَلَّ الْكُتُبَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } (١).

- فقد قال القرطبي في تفسيره ٦ / ٢١ لما ذكر المعنى اللغوي:

" ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون: غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر. ولذلك قال مطرف بن عبد الله: الحسنه بين سيئتين. وقال الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وكذا قال جمع من المفسرين منهم: ابن جرير في جامعه ٤/٤٦، والبغوي في معالم التنزيل ٣١٣/٢، وابن كثير في تفسيره ١/٥٨٩، وأبو حيان في بحره ٣/٤٠٠، والزمخشري في كشافه ١/٣٥١.

والمفهوم من هذه الآية { يَتَّهَلَّ الْكُتُبَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } (٢) عمومها لجميع أهل الكتاب من يهود ونصارى؛ إذ العبرة بعموم اللفظ ودلالة السياق تدل عليه أيضا، فإن النصارى زادوا وجاوزوا الحد في نبي الله عيسى فرفعوه عن منزلته، وإن اليهود جفوا وفرطوا في حقه فغلوا في الجفاء والتفريط وزادوا فيهما، حتى قذفوا أمه الطاهرة العذرية، بما برأها الله تعالى منه.

ومن احتج على خصوص الآية بالنصارى بتقديم سياق الآيات السابقة لها في اليهود،

(١) سورة النساء آية: ١٧١.

(٢) سورة النساء آية: ١٧١.

وهذه الآية آخرها يدل على قول النصارى وكفرهم، وزعمهم بالأكاذيب الثلاثة، فيجاب عليه بما سبق من عموم لفظة أهل الكتاب، وانصرافها إلى اليهود والنصارى ما لم توجد قرينة ولم توجد، وباستمرار السياق في بني إسرائيل في هذه الآية وما قبلها يدل على العموم من اليهود والنصارى؛ إذ كل منهم غلا في دينه كما سيأتي تحديد الغلو، وقول كل منهم على الله غير الحق، فليس عيسى ربا أو ابنا لله، أو ثالث ثلاثة - وليس هو ابن فحش وزنا وبغاء.

ثم إن آخر الآية يختص بالنصارى من قول الله تعالى: { وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ }^(١) وذلك لعظم جرمهم في التوحيد لأن عيسى نبيهم وهاديهم إلى الفطرة السليمة والملة القويمة، وأنهم هم من ادعوا فيه تلك الدعوى الظالمة، فكان آخر الآية مخصوصا بالنصارى لذلك.

ومنه آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان، وهو غلو في الغي كما قال تعالى في آخر سورة طه لبني إسرائيل: { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي }^(٢) [طه: ٨١]، وقوله عن فرعون وملئه في غير ما آية: { أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ }^(٣) [النازعات: ١٧]، وقال عن الخاسر صاحب الجحيم: { فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ }^(٤) [النازعات: ٣٧، ٣٨] الآية، وقال في آخر سورة هود: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }^(٥) [هود: ١١٢].
ومن السنة: ما رواه أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله ﷺ

(١) سورة النساء آية: ١٧١.

(٢) سورة طه آية: ٨١.

(٣) سورة النازعات آية: ١٧.

(٤) سورة النازعات الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٥) سورة هود آية: ١١٢.

يقول: { اقرءوا القرآنَ ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به. } (١)

* وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته: { القط لي حصي، فلقطت له سبع حصيات هن حصي الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: " أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين } (٢). رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم (٣).

* وفي حديث أبي هريرة في البخاري مرفوعا: { لن يُنجي أحدا عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " ولا أنا إلا أن يتعمدني الله برحمته، سدّدوا وقاربوا، وأعدوا ورؤحووا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلّغوا } (٤) (٥).

* فمما سبق يتبين أن الكتاب والسنة يخصصان عموم اللغة، وأن الغلو هو: " الإفراط في مجاوزة المقدار المعبر شرعا في أمر من أمور الدين ".

(١) أحمد (٤٢٨/٣).

(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧).

(٣) رواه أحمد في المسند كما في الفتح الرباني ١٢ / ١٦٩ ، كتاب الحج والعمرة - باب سبب مشروعية رمي الجمار وحكمها ، ورواه النسائي - كتاب المناسك - باب قدر حصي الخذف ، وكذا ابن ماجه في باب التقاط الحصى. * ورواه الحاكم في مستدركه ١ / ٤٦٦ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه ووافقه الذهبي في تلخيصه عليه. * وقال النووي في المجموع ٨ / ١٢٧: صحيح رواه البيهقي بإسناد حسن صحيح وهو على شرط مسلم رواية عبد الله بن عباس عن أخيه الفضل. ورواه النسائي وابن ماجه بإسنادين صحيحين ، إسناد النسائي على شرط مسلم... اهـ. وذكره ابن حجر في التلخيص الحبير ٧ / ٣٨٧ حيث حقق من كان رديف النبي والتقط له الحصى: عبد الله أم الفضل وصوب أنه الفضل - وهو تحقيق نفيس ، وكذا كلام النووي السابق ، وفي فتح الباري ١٣ / ٢٩١... وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبي العالية عن ابن عباس. وقال شيخ الإسلام في الوصية الكبرى: هو حديث صحيح. ونقل عنه الشيخ صالح البليهي رحمه الله السلسيل في معرفة الدليل ١ / ٣٦٧ أنه قال: على شرط مسلم. ولم أف أف عليه.

(٤) البخاري الرقاق (٦٠٩٨) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠١) ، أحمد (٣٩٠/٢).

(٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق بهذا اللفظ ، باب القصد والمداومة على العمل. وأخرجه أيضا الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين - باب لن يدخل الجنة أحد بعمله برقم ٢٨١٦.

فالنصارى جاوزوا المقدار المعتبر في حق عيسى عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فأفراطوا إلى القول بألوهيته وربوبيته. واليهود جفوا في حقه فزادوا في التفريط تجاوزا بلغ الغلو فيه إلى القول بأنه ابن زنا وبغي، وقذفوا أمه؛ فهم غلاة في جفائه.

وكذلك حال المعطلة الذين غلوا في التثريه فأفراطوا، وحال المشبهة الذين غلوا وزادوا في الإثبات حتى غلوا في الإثبات. وسيأتي الكلام عليهم في موضعه إن شاء الله، وعلى هذا فقس.

الفرق بين التمسك بالنصوص الشرعية والالتزام بها والغلو

في الواقع لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس تمسكا والتزاما لنصوص الشريعة مطلقا، ومع هذا لم يحصل لهم غلو أو تشديد - إلا في قضايا عينية في حياة النبي ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها (١) وعلمهم وبين لهم طريق العبادة المعتدل، فانتهوا.

وسببه هو موافقة هذا الالتزام منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح، وفهم سليم، وهمة حريصة على العلم والبصيرة، فنجوا من الغلو فضلا عن الاستمرارية فيه، لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريبا، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار التمسك بسنة المصطفى ﷺ العاض عليها بنواجذه منبوذا مستهزا به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمترمتين والغالين والمتطرفين والأصوليين... ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الإعلام.

والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة، وفهمها فهما صحيحا، يعتبر عند هؤلاء المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها، غلوا وتطرفا، وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من تفريط ظاهر، وقصور في التزام منهج الالتزام، جلي ملموس.

والملاحظ أن التمسكين بمدلولات النصوص الشرعية يكونون غلاة متشددين بنسبتهم إلى المفرطين الذين يحملون الإسلام وصفا، وعند نسبتهم إلى ميزان الشريعة لم نجد عندهم معنى التمسك المطلوب، وهو الالتزام بأحكام الكتاب والسنة.

فالمقصرون يلمزون التمسكين بالغلو والتطرف على أن ما هم عليه هو اعتدال

(١) كقصة عبد الله بن عمرو بن العاص في إطالة الصوم، المتفق على صحتها. رواها البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كم يقرأ من القرآن، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم ١١٥٩، وكحديث عبد الله بن الشخير في وفد بني عامر وفيه "فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى". فقلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال: قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان" رواه أبو داود والنسائي بأسانيد جيدة. وما قوله عليه السلام ذلك إلا سدا لطريق الغلو فيه، انظر: فتح المجيد ٥١٧.

الإسلام وتوسطه، وما أظهره هو الاعتدال، وهو في الحقيقة ليس كذلك؛ إذ هو التقصير والتفريط في بعض شعائر الإسلام وأحكامه، ولا يخفى أن من يتهم البعض بالتطرف أو الغلو، غايته التنفير والتحذير منهم وليس لكونهم متجاوزين لحدود الشريعة ووسطية الإسلام كمن اتهم دعوة الشيخ السلفية الإصلاحية بذلك.

أعني أن هذه الدعاوى ليست من باب الأسماء والأحكام، أو لتبين معاني شرعية - بقدر ما هي لأغراض وأهواء ذاتية أو محدودة. فتكون بذلك من تحميل مصطلحات الشارع ما لا تحمل، ومن استعماله المعاني الشرعية في الأغراض الشخصية الضيقة والغايات السياسية المحدودة!

الغلو في الدين بدعة حرمها الإسلام

حقيقة أصل الدين ومبدؤه في الإسلام هما:

١- توحيد الله تبارك وتعالى بالعبادة والطاعة في تحقيق " شهادة: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله " .

٢- تجريد المتابعة لكتاب الله تعالى ولسنة رسوله ﷺ على طريقة السلف الصالح الذين كانوا خير الناس بعد رسول الله ﷺ وخير القرون بعد قرنه ﷺ فكانوا " الطائفة المنصورة التي لم يضرها من خالفها " ، فكل من نهج نهجهم وسلك سبيلهم وسار على طريقتهم هو من " الطائفة المنصورة " التي هي امتداد للسلف الصالح في بشارة رسول الله ﷺ كما في " صحيح سنن ابن ماجه ج ١/٦ : " حيث يقول ﷺ { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ } ^(١)، فهذه الطائفة هي القوامه على أمر الله لا يضرها من خالفها.

وإذا تفحصنا واقع الفرق والجماعات وجدناها مختلفة عن الطائفة المنصورة، لمخالفتها لمنهج السنة النبوية في العقيدة والشريعة والدعوة، ولمغايرتها لما كان عليه سلف هذه الأمة الذين كانوا خير القرون بعد قرن رسول الله ﷺ.

فجميع الفرق والجماعات والأحزاب داعية إلى التفرق والاختلاف؛ لأنها تدعو إلى آرائها وأفكارها، فما تراه هذه الجماعة لا تراه الجماعة الأخرى، وما يعتبره هذا الحزب لا يعتبره الحزب الآخر، وهكذا جميع الفرق مختلفة. متعارضة، لا يجمعها على أمر معصوم عن الهوى جامع، فهي مجمعة على أن لا تجتمع على ما يعصمها من التفرق والاختلاف، والعاصم منهما " سنة رسول الله ﷺ وطريقته النبوية " .

والطائفة المنصورة التي هي " على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه " وهم أهل

(١) الترمذي الفتن (٢١٩٢) ، ابن ماجه المقدمة (٦).

السنة النبوية: " أهل الحديث " ^(١) وأهل الأثر والاتباع، وهم المفارقون لجميع أهل التفرق والابتداع وأهل الآراء والأهواء، وهم وحدهم الداعون إلى ما يجمع الأمة ولا يفرقها، ويوحدها ولا يجزئها، الذين يدعون الأمة إلى " الكتاب والسنة على منهاج الأئمة "، فمن استجاب إلى ذلك قولاً وعملاً وسلوكاً كان من الطائفة المنصورة، فدعوتهم دائمة، ومنهجهم قائم، ومسلكهم متبع، وطريقهم مستقيم، وسبيلهم آمن من مخاوف الفرق والاختلاف، فأكرم بهم !! وأعظم بمنهجهم !!.

فالطائفة المنصورة هي المستمسكة بأصل الدين وحقيقته: " توحيد الله تبارك وتعالى بالعبادة والطاعة، وتجريد المتابعة للكتاب والسنة على طريقة أهل الحديث "، فهؤلاء الذين عصمهم الله تعالى من " التطرف والغلو في الدين "، ومن سواهم واقع ولا بد في التطرف أو الغلو، وليبيان هذا نقول:

إن من حقائق دعوات الرسل عليهم السلام بأصل الدين وحقيقته: " توحيد الله تبارك وتعالى بالعبادة والطاعة، وتجريد المتابعة للكتاب والسنة على طريقة أهل الحديث "، فهؤلاء الذين عصمهم الله تعالى من " التطرف والغلو في الدين "، ومن سواهم واقع ولا بد في التطرف أو الغلو، وليبيان هذا نقول أيضاً:

إن من حقائق دعوات الرسل عليهم السلام أنها قامت على الحق والاستقامة عليه، ولهذا نهي الله تبارك وتعالى أهل الكتاب عن الغلو في دينهم غير الحق، فقال سبحانه:

{ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ } ^(٢) [المائدة: ٧٧].

وقال سبحانه: { يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الْحَقَّ } ^(٣) [النساء: ١٧١]، أي: لا تفتروا على الله ما لم يأمركم به.

(١) وفي الحديث بإسناد حسن: " إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وسنتي " أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٣ /

١٧.

(٢) سورة المائدة آية: ٧٧.

(٣) سورة النساء آية: ١٧١.

ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو في دينهم لئلا يفتروا على الله ما لم ينزل به سلطانا، فإن اليهود غلوا في دينهم، والنصارى غلوا في دينهم، وافتروا على الله تعالى في زعمهم البهتان في " عيسى ابن مريم عليه السلام " حين اتخذوه إلها، وأنه ابن الإله - تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا - بل قد غلوا في حواريه، وغلوا في أحبارهم ورهبانهم، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه حقا كان أم باطلا، ضلالا كان أم هدى، ولهذا قال الله تعالى فيهم: { **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** } ^(١) [التوبة: ٣١].

ولهذا نهى رسول الله ﷺ أمته عن الغلو في الدين فقال: { **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفِ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوفِ فِي الدِّينِ** } ^(٢) [الأحاديث الصحيحة برقم ١٢٨٣].
وقال ﷺ { **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بَرَفِقٍ** } ^(٣) [صحيح الجامع برقم ٢٢٤٦].

ولم تخل أمة ولا دعوة من هذه الأصناف الثلاثة من الناس:
١- فمن الناس المستمسك بالحق، المستقيم على طريقته ومنهاجه.
٢- ومنهم المفرط الزائغ المضيع لحقوق الله، المعتدي لحدوده.
٣- ومنهم الغالي المتشدد المتجاوز لأحكام الله تعالى، الزائد في دينه المبتدع فيه.
وكل أولئك كانوا في الأمم السالفة قبل أمة الإسلام، وفيها أيضا من هذه الأصناف الثلاثة كما كان فيمن سبقها، بل افتترقت هذه الأمة إلى أكثر من سبعين فرقة جميعها ضال إلا فرقة واحدة هي الفرقة الناجية المنصورة، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الحديث

(١) سورة التوبة آية: ٣١.

(٢) ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩)، أحمد (٢١٥/١).

(٣) أحمد (١٩٩/٣).

الصحيح: { افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنان وسبعون في النار }^(١)، [الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٩٢ وصحيح الجامع برقم ١٠٨٢]، وفي صحيح سنن الترمذي برقم ٢١٢٩: أنه ﷺ سئل عن الفرقة الناجية فقال: { ما أنا عليه وأصحابي }^(٢).

فهذه هي الفرقة المنصورة دائما وأبدا، هي التي " على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهما أجمعين "، ولقد ضمن رسول الله ﷺ لهذه الفرقة الناجية المنصورة الهداية والسداد والرشاد، في قوله الشريف: { إني تركت فيكم [وفي رواية: إني خلقت فيكم] ما إن تمسكنم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي } ولهذا الحديث ألفاظ متقاربة في صحيح مسلم ج ٢ / ٨٩٠ ومسند أحمد ج ٤ / ٣٦٧ وسنن الدارمي ج ٣ / ٤٣٢.

ولتكون الأمة جميعا أو أغلبها وعمامة سوادها في الفرقة الناجية المنصورة دائما وأبدا في كل عصر وفي كل مصر.

(١) ابن ماجه الفتن (٣٩٩٢).

(٢) الترمذي الإيمان (٢٦٤١).

النصوص الشرعية المخذرة من الغلو في الدين

جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالتحذير من سلوك الضالين والمغضوب عليهم، وسبيل المتدعين المغالين في دين الله غير الحق، قال تعالى آمرا رسوله ﷺ وأُمَّته من بعده: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (١). فالله سبحانه وتعالى يأمر بالاستقامة التي هي (الاعتدال)، ويعقب سبحانه بالنهي عن الطغيان، مما يفيد أن الله تعالى يريد منا الاستقامة، كما هو أمر رسوله ﷺ بدون غلو ولا مبالغة ولا تشديد يجيل هذا الدين من يسر إلى عسر، وهي الوسطية التي جاء بها الإسلام بين الغلو والتفريط، ولا يمكن أن تسير في ركبها إلا في اتباع سبيل السلف الصالح رضوان الله عليهم.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية: " فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين الجبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين؛ فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له: هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد " (٢).

وقد بين رسول الله ﷺ مصير الغالي وعاقبته، حيث أخبر ﷺ أن مآل من غلا في دينه (إلى الهلاك). ففي صحيح مسلم (٣) وفي سنن أبي داود (٤) أن رسول الله ﷺ قال: { هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ } (٥) قالها ثلاثا، وما ذلك إلا لخطورة (التنطع في

(١) سورة هود، الآية: (١١٢).

(٢) مدارج السالكين، ج (٢ / ٥١٧).

(٣) ج (٤ / ٢٠٥٥) في كتاب العلم: باب هلك المتنطعون.

(٤) رقم ٤٦٠٨.

(٥) مسلم العلم (٢٦٧٠)، أبو داود السنة (٤٦٠٨)، أحمد (٣٨٦/١).

الدِّين) الذي هو الغلو في الدين والتطرف فيه. قال النووي في شرح مسلم ^(١) { هلك

المنتطعون } ^(٢)، أي: المتعمقون الغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم".

وقد جاء في أحاديث أُخرى: أن التشديد على النفس سبب لوقوع التشديد من الله تعالى - كما في الحديث عند أبي يعلى في مسنده وفي إسناده ضعف وهو صالح للشواهد والمتابعات - . وقال محقق المسند: إسناده حسن: { لا تشددوا علي أنفسكم فيشدد الله

عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم } ^(٣) (٤).

إن من الحقائق التي تظهر لكل من تتبع تاريخ دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام أن الأمم تتفاوت في مقدار الاستجابة، وتتفاوت درجات المدعوين في سلوك طريق الحق: فمن الناس المتمسك بالحق، المستقيم على طريقه. ومنهم المفرط الزائغ المضيع لحدود الله. ومنهم الغالي الذي تجاوز حدود الله. وكل أولئك وجدوا فيمن سبق أمة محمد ﷺ وهم في أمته متوافرون، ولذلك جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من سلوك طرق المغضوب عليهم والضالين، المضيعين لحدود الله، والمجاوزين لها، وجاءت داعية إلى الاستقامة بأساليب عدة أجملها فيما يلي:

١- تعليم المسلمين أن يدعوا الله أن يسلمهم من كلا الانحرافين، وتشريع ذلك لهم

في كل صلاة مرات متعددة. { أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾ } ^(٥). ولما أمرنا الله سبحانه أن نسأله في كل

صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم.... كان ذلك مما يبين أن

(١) ج (١٦ / ٢٢٠).

(٢) مسلم العلم (٢٦٧٠)، أبو داود السنة (٤٦٠٨)، أحمد (٣٨٦/١).

(٣) أبو داود الأدب (٤٩٠٤).

(٤) ج (٦ رقم ٣٦٩٤).

(٥) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ ، ٧.

العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقتين^(١).

٢- التحذير من تعدي الحدود، والأمر بلزومها { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا

وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }^(٢). والحدود هي النهايات لكل ما يجوز من الأمور المباحة، الأمور بها، وغير المأمور بها^(٣) وتعديها هو تجاوزها، وعدم الوقوف عليها^(٤). وهذا التعدي هو الهدف الذي يسعى إليه الشيطان، إذ إن مجمل ما يريده تحقيق أحد الانحرافين الغلو أو التقصير فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو. ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد. وهذا بتجاوزه الحد^(٥).

٣- الدعوة إلى الاستقامة ولزوم الأمر، وعدم الغلو والزيادة. { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }^(٦) فالله سبحانه يأمر بالاستقامة التي هي الاعتدال، والمضي على المنهج دون انحراف، ويعقب بالنهي عن الطغيان مما يفيد أن الله سبحانه يريد الاستقامة كما أمر بدون غلو ولا مبالغة تحيل هذا الدين من يسر إلى عسر^(٧).

٤- النهي عن الغلو وتوجيه الخطاب لأهل الكتاب على وجه الخصوص. { يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

(١) ابن تيمية، الفتاوى، ج ١، ص ٦٥.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٢٩.

(٣) ينظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٣، ص ٣٦٢.

(٤) ينظر الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٥١٧.

(٥) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ٥١٧.

(٦) سورة هود آية: ١١٢.

(٧) ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٩٣١.

رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً
 أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١﴾ { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي
 دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ
 سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٢﴾ { أَي: يا أهل الإنجيل لا تغلوا في دينكم فتجاوزوا الحق، فإن
 قولكم بأن عيسى ابن الله قول منكم على الله بغير الحق، ولا ترفعوه إلى مقام الألوهية
 فتجعلوه ربا وإلهاً (٣). " والغلو في النصراني كثير فإنهم غلوا في عيسى فنقلوه من حيز
 النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله " (٤).
 ومن هذا الغلو جاءت معظم الانحرافات في الديانة النصرانية (٥). ومن ذلك غلوهم
 بابتداع رهبانية تعبدوا الله بها، وهي لم تكتب عليهم، ولم يؤمروا بها { وَرَهْبَانِيَّةً
 ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ } (٦). ولم يكن الغلو قاصراً على النصراني، بل هو موجود
 في اليهود، ولكن الخطاب في الآيتين قصد به النصراني خاصة؛ والسياق يدل على ذلك،
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والنصراني أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر
 الطوائف وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن (٧).
 وهذه النصوص وإن تعلقت بأهل الكتاب ابتداءً فإن المراد منها موعظة هذه الأمة

(١) سورة النساء آية: ١٧١.

(٢) سورة المائدة آية: ٧٧.

(٣) ينظر الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٣٤، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ٢١، وأبي
 السعود، إرشاد العقل السليم، ج ١، ص ٨٢١، وابن جزري، التسهيل، ج ١، ص ١٦٥.

(٤) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد، ص ٢٦٥.

(٥) ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن ج ٢، ص ٤٩٦.

(٦) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٧) اقتضاء الصراط المستقيم، ج ١، ص ٢٨٩، وينظر الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٢٤، وابن جزري،
 ج ١، ص ١٦٥.

لتجنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة (١).

٥- نهي الرسول ﷺ عن الغلو، وذلك لئلا يقع المسلمون فيما وقع فيه من سبقهم من الأمم التي بعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومع النهي يبين الرسول ﷺ عواقب الغلو وآثاره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: { قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: (هَلُمَّ الْقُطْ لِي الْحَصَى) فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: (نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ) } (٢) (٣).

والنهي هنا وإن كان سببه خاصا، فهو نهي عن كل غلو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال "، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه، مثل: الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنها أبلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم، أي هدي من كان قبلنا إيعادا عن الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك (٤).

٦- بيان مصير الغالي وعاقبته: حيث وردت أحاديث تبين مآل من غلا، وأنه صائر إلى الهلاك، بل يرد ذلك مكررا ثلاث مرات في حديث واحد؛ مما يفيد عظيم الأمر وخطره، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ } (٥) قَالَهَا ثَلَاثًا (١).

(١) ينظر محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٦٠.

(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧).

(٣) رواه أحمد (١ / ٢١٥، ٣٤٧)، كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي، والحاكم (١ / ٤٤٦) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والحديث صححه شيخ الإسلام ابن تيمية، الاقتضاء، ج ١، ص ٢٨٩، والنووي في المجموع (٨ / ١٣٨).

(٤) نقلا عن الشيخ سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد، ص ٢٧٥، ولم أحده في كتابات شيخ الإسلام التي بين يدي، إلا نحوه في الاقتضاء، ج ١، ص ٢٨٩.

(٥) مسلم العلم (٢٦٧٠)، أبو داود السنة (٤٦٠٨)، أحمد (٣٨٦/١).

٧- إخبار رسول الله ﷺ بهلاك المنتطعين، فقد أخرج مسلم في صحيحه ج ٤ / ٢٠٥٥ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { هَلَكَ الْمُتَنْطِعُونَ } (٢) قالها ثلاثا . قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم ج ١٦ / ٢٢٠: { هَلَكَ الْمُتَنْطِعُونَ } (٣) أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. وأخرج أبو داود في سننه برقم ٤٩٠٤ وأبو يعلى في مسنده رقم ٣٦٩٤ وهو حديث حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { لَا تُشَدُّوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدُّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتَلَكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارَاتِ، رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ } (٤). وهذا التشديد على النفس الذي هو نوع من أنواع الغلو، بينت السنة النبوية أن عاقبة صاحبه إلى الانقطاع، وأنه ما من مشاد لهذا الدين إلا ويغلب وينقطع عن الاستقامة على الدين، يقول رسول الله ﷺ { إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ [أَيُّ يُعَالِبَ] الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ [أَيُّ بِالتَّبَكُّيرِ فِي الطَّاعَةِ] وَالرَّوْحَةِ [أَيُّ الْعُودَةِ إِلَى الرَّاحَةِ لِاسْتِعَادَةِ النَّشَاطِ عَلَى الطَّاعَةِ] وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ } (٥). أي الاستعداد للمتابعة، تشبيها بالمسافرين الذين يجددون نشاطهم واستعدادهم لمتابعة المسير، بلا تكلف ولا إرهاق، ولهذا جاء في رواية أخرى: { وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلُّوْا } (٦) [أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ / ١٦

(١) رواه مسلم (٤ / ٢٠٥٥) كتاب العلم: باب هلك المنتطعون ، وأبو داود (٤٦٠٨) كتاب السنة: باب في لزوم السنة ، وأحمد (١ / ٣٨٦).

(٢) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (١ / ٣٨٦).

(٣) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (١ / ٣٨٦).

(٤) أبو داود الأدب (٤٩٠٤).

(٥) البخاري المرضى (٥٣٤٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤) ، أحمد (٢ / ٥١٤).

(٦) البخاري الرقاق (٦٠٩٨) ، أحمد (٢ / ٥١٤).

والنسائي في سننه ج ١٨ / ١٢١]. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج ١ / ٩٤: " والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق، إلا عجز وانقطع فيغلب"، ولهذا أمر رسول الله ﷺ في آخر الحديث بالتسديد والمقاربة والتوسط، ليتحقق المقصود، ألا وهو الثبات على الدين بلا انقطاع ولا تخلف. فتبين بذلك أثر الغلو في الدين على الاستقامة عليه، فكان لا بد من نبذ الغلو لتحقيق الاستقامة على الحق والدين القويم. فالغلو والتفريط وما بينهما وسط... قال الحسن البصري رحمه الله: إن دين الله وضع على القصد فدخل الشيطان فيه بالإفراط والتقصير فهما سبيلان إلى نار جهنم، وعنه: إن دين الله تعالى وضع دون الغلو وفوق التقصير (١).

* وقال ابن عبد البر (٢) قال سفيان بن حسين: أتدري ما السميت الصالح؟ ليس هو بحلق الشارب ولا تشمير الثوب، وإنما هو لزوم طريق القوم، إذا فعل ذلك، قيل قد أصاب السميت، وتدري ما الاقتصاد؟ هو المشي الذي ليس فيه غلو ولا تقصير.

* والترهب التعبد وهو استعمال الرهبة، والرهبانية غلو في تحمل التعبد من فرط الرهبة (٣).

* قال الطبري: وأرى أن الله تعالى ذكروه إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها (٤). حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال سألت ميمونا عن الصلاة خلف الأمراء؟ فقال: صل معهم. حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال: سألت

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج: ١ ص: ١٦٧ أبو عبد الله الحكيم الترمذي ٣٦٠ هـ ت عبد الرحمن عميرة ١٩٩٢ م.

(٢) التمهيد ج: ٢١ ص ٦٨.

(٣) التعاريف ج: ١ ص ٣٧٥.

(٤) تفسير الطبري ج: ٢ ص: ٦ / ٧٥٦٢.

ميمونا عن رجل، فذكر أنه من الخوارج، فقال: أنت لا تصلي له إنما تصلي لله، قد كنا نصلي خلف الحجاج وكان حروريا أزرقيا. حدثنا وكيع ثنا سفيان عن إبراهيم بن أبي حفصة قال: قلت لعلي بن حسين: إن أبا حمزة الثمالي وكان فيه غلو يقول: لا نصلي خلف الأئمة ولا نناكح إلا من يرى مثل ما رأينا، فقال علي بن حسين: بلى نصلي خلفهم ونناكحهم بالسنة. وعن وكيع عن سفيان عن الأعمش قال: كانوا يصلون خلف الأمراء ويحتسبون بها. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْعِلْ فِيهِ بَرِّقٍ، وَلَا تُبَعْضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى** } (١) (٢).

وعن ابن أبي قماش عن ابن عائشة قال: ما أمر الله تعالى عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: فإما إلى غلو وإما إلى تقصير، فبأيهما ظفر قنع. وعن ابن يحيى قال حدثني بعض شيوخنا قال: قال علي بن غنام: كلا طرفي القصد مذموم، وأنشد أبو سليمان: . وعن ابن أبي قماش عن ابن عائشة قال: ما أمر الله تعالى عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: فإما إلى غلو وإما إلى تقصير، فبأيهما ظفر قنع. وعن ابن يحيى قال حدثني بعض شيوخنا قال: قال علي بن غنام: كلا طرفي القصد مذموم، وأنشد أبو سليمان:

وَلَا تَغُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كَلَّا طَرْفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ (٣)

قال الخطابي: والطريقة المثلى في هذا الباب، أن لا تمتنع من حق يلزمك للناس وإن لم يطالبوك به، وأن لا تنهمك لهم في باطل لا يجب عليك وإن دعوك إليه، فإن من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن انحل في الباطل جمد عن الحق، فكن مع الناس في الخير، وكن

(١) أحمد (١٩٩/٣).

(٢) رواه البزار في مسنده (كما في كشف الأستار برقم ٧٤) وقال الهيثمي: فيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب. مجمع الزوائد (١ / ٦٢).

(٣) العزلة ج: ١ ص ٩٧ أبو سليمان الخطابي البستي ٣٨٨ هـ المطبعة السلفية ١٣٩٩ هـ.

بمعزل عنهم في الشر، وتوخ أن تكون فيهم شاهدا كغائب وعالما كجاهل. وعن مكحول عن حذيفة قال: قال رسول الله: { لِلسَّاعَةِ أَشْرَاطٌ، قِيلَ: وَمَا أَشْرَاطُهَا؟ قَالَ: غُلُوُّ أَهْلِ الْفِسْقِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَظُهُورُ أَهْلِ الْمُنْكَرِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْرُوفِ. قَالَ أَعْرَابِيٌّ: فَمَا تَأْمُرُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: دَعُ وَكُنْ حَلِيسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ } (١).

عن جابر رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: { إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى } (٢). واختلف في إرساله ووصله، ورجح البخاري في تاريخه الإرسال، وأخرجه البيهقي أيضا والعسكري عن عمرو بن العاص رفعه لكن بلفظ: { فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا سَفْرًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى } وزاد: { فَأَعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَمُوتَ أَبَدًا وَاحْذَرْ حَذْرًا تَخْشَى أَنْ تَمُوتَ غَدًا } وسنده ضعيف. وله شاهد عند العسكري عن علي رفعه: { إِنَّ دِينَكُمْ دِينٌ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا ظَهْرًا أَبْقَى وَلَا أَرْضًا قَطَعَ } وفي سنده الفرات بن السائب ضعيف. وهذا كالحديث الآخر الذي أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة: { إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ } (٣) وروى أحمد عن أنس بلفظ: { إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ } (٤) وليس فيه الترجمة، وروى الخطابي في العزلة عن ابن عائشة قال: { ما أمر الله عباده بما أمر إلا وللشيطان فيه نزعتان فيما إلى غلو وإما إلى تقصير، فبأيهما ظفر قنع } قال النووي: "المتنطعون، أي: المتعمقون المغالون والمجاوزون الحدود في

(١) قال أبو نعيم: غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث حمزة. حلية الأولياء ج: ٥ ص: ١٨٧.

(٢) أحمد (١٩٩/٣).

(٣) النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤).

(٤) أحمد (١٩٩/٣).

أقوالهم وأفعالهم (١).

كما جاء في أحاديث أُخِرَ أن التشديد على النفس سبب لوقوع التشديد من الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه كان يقول: { لَا تُشَدُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمًا شَدُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارَاتِ، رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ } (٢) (٣).

وهذا التشديد على النفس الذي هو ضرب من ضروب الغلو، بينت السنة أن عاقبة صاحبه إلى الانقطاع، وأنه ما من مشاد لهذا الدين إلا ويغلب وينقطع. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: { إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَا يُشَادُّ (٤) الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة (٥) والروحة (٦) وشيء من الدلجة (٧) } وفي لفظ { والقصد القصد تبلغوا } (٨) (٩).

قال الحافظ ابن حجر: " والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب " (١٠). وحتى لا يقع ذلك جاء ختام الحديث أمرا بالتسديد والمقاربة

(١) شرح مسلم ، ج ١٦ ، ص ٢٢٠ .

(٢) أبو داود الأدب (٤٩٠٤) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) يشاد الدين: أي يقاويه ويقاومه ، ويكلف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته ، والمشادة المغالبة ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، وينظر ابن حجر ، فتح الباري ج ١ ، ص ٩٤ .

(٥) الغدوة: المرة من الغدو ، وهو سير أول النهار ، نقيض الرواح ، ابن الأثير النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ، ص ٣٤٦ .

(٦) الروحة: المرة من الرواح ، قال ابن الأثير: يقال راح القوم ، وتروحووا إذا ساروا أي وقت كان ، وقيل أصل الرواح أن يكون بعد الزوال . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٧) الدلجة: قال ابن الأثير وهو سير الليل النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٨) البخاري الرقاق (٦٠٩٨) ، أحمد (٥١٤/٢) .

(٩) سبق تخريجه .

(١٠) فتح الباري ، ج ١ ، ص ٩٤ .

والتسديد: العمل بالسداد، وهو القصد والتوسط في العبادة، فلا يقصر فيما أمر به، ولا يتحمل منها ما لا يطيقها^(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه،،،

(١) ابن رجب، المحجة في سير الدلجة، ص ٥١.

المحور الثالث

الغلو: مظاهره وأسبابه

مظاهر الغلو في الاعتقاد والعمل والحكم على الناس

للدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

مظاهر الغلو في الاعتقاد والعمل والحكم على الناس

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله.. أما بعد: فإن من مظاهر الغلو: الغلو في الاعتقاد، والعمل، والحكم على الناس.

الغلو من الاعتقاد

أما الغلو في الاعتقاد: فهو مجاوزة الحد فيما شرع الله تعالى من الأمور الاعتقادية. فإن الله تعالى إنما أنزل الكتاب وبعث المصطفى ﷺ ليكون الدين كله لله، والغالي لا يكتفي بما أنزل تعالى من الشريعة الكاملة، بل يسعى إلى الزيادة على ما شرع الله، ومخالفة ما قصده الشارع من التيسير على المكلفين إلى التشديد على نفسه وعلى غيره، ونسبة ذلك إلى شرع الله تعالى. والغلو في الاعتقاد أخطر أنواع الغلو؟ ذلك بأن الاعتقاد درجة عالية من جزم القلب بما فيه من رأي أو فكر أو شرع، فأصعب ما يكون انتزاعها؛ لأن صاحبها يدافع عنها كما يدافع عن دمه وماله وعرضه، ومعلوم أن الغالي إنما يعتقد ما يتوهم أنه شرع الله وليس كذلك، بل إنما يعتقد فكراً أو رأياً مصدره الهوى. ومن هنا كان تحذير علماء المسلمين من أهل البدع والأهواء أكثر من تحذيرهم من أهل المعاصي والفسوق. فالضرر الحاصل بالغلو في الاعتقاد أعظم من الضرر الحاصل بالغلو في العمل. ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من الغلو: غلو الخوارج وهم الفرقة المعروفة في جسم الأمة الإسلامية منذ العصر الأول: إنهم فئة قادهم الغلو في الحكم على صاحب المعصية إلى إلحاقه بمن وقع في الكفر بالله ﷻ فكان هذا الغلو الاعتقادي دافعاً لهم إلى سلسلة من الجرائم الكبرى بحق الأمة الإسلامية:

(أ) حيث دفعهم إلى تكفير حكام المسلمين بمجرد الوقوع في المعاصي.

(ب) ثم تكفير عامة من لم يقنع بقولهم هذا من المسلمين، فكفروا المجتمعات المسلمة.

(ج) فقاتلوا المسلمين، وخرجوا على حكامهم. وهكذا صور كثيرة من الظلم والاعتداء وإيهان قوة المسلمين، ارتكبتها هؤلاء لأجل غلوهم في دين الله تعالى. وقد كشف الحديث النبوي الشريف هذا الجانب السيئ في هذا الاتجاه، ففي صحيح ابن

حبان^(١) عن جندب البجلي أن حذيفة حدثه قال: قال رسول الله ﷺ { **إِنْ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَ بِهِ حُتُّهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِذَاءًا لِلْإِسْلَامِ، غَيْرُهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشَّرْكِ** " قَالَ: **قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشَّرْكِ، الرَّامِي أَمْ الْمَرْمِي؟ قَالَ: " بَلِ الرَّامِي }**.

فهذه الصورة تكشف الغلو الاعتقادي، كيف يبدأ صاحبه؟ ومن أين يأتيه الشيطان؟ وما يترتب على غلوه من المفاسد العظيمة: حيث قتل النفس التي حرم الله، وخيانة الجار، وزعزعة أمن الدولة المسلمة. كل ذلك يشرح نظريا شؤم الغلو الاعتقادي، ويبين عموم ضرره. ومن هنا جاء كتاب الله تعالى وجاءت السنة النبوية بالتحذير الشديد من الغلو، وبيان عواقبه الوخيمة في أمور الدين وأمور الدنيا. ففي مسند الإمام أحمد^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: { **قال رسول الله ﷺ غداة جمع: هَلُمَّ الْقُطُ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: " نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ }** }^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " اقتضاء الصراط المستقيم " ^(٤) هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه مثل: الرمي بالحجارة الكبار، بناء على أنه أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا، إبعادا عن الوقوع فيما هلكوا به. وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك. اهـ وغلوا أهل الكتاب من النصارى في دينهم واضح، حيث نص الله تعالى عليه في قوله { **يَتَأْهَلُ الْكُتُبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا**

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ١ / ٢٨٢.

(٢) (١ / ٢١٥ - ٣٤٧) وصححه شيخ الإسلام في " اقتضاء الصراط المستقيم " (١ / ٢٨٩).

(٣) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٢١٥/١).

(٤) ١ / ٢٨٩ ونقله عنه الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد (ص ٢٧٥) والنقل بواسطته.

عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِنْهُ ^ط { (١) .

فهنا غلو منهم في الاعتقاد، ساقفهم إليه الشيطان، حيث زين لهم عبادة المسيح من
دون الله تعالى في هيئة محبة الأنبياء وتعظيمهم، وقد أبطل الله هذه الشبهة بأدلة متعددة،
كقوله تعالى { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ^ط } (٢) .

ومثل فعل النصارى هذا؛ فعل اليهود مع العزيز، وفعل بعض فرق هذه الأمة مع
علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ولهذا حرقهم علي رضي الله عنه واتفق الصحابة رضي
الله عنهم على قتلهم، واختار ابن عباس أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول
أكثر العلماء (٣) .

وقد قاد الغلو النصارى إلى ابتداء البدع في دينهم، والتعبد لله تعالى بها، كما قال
تعالى { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ
رِعَائِهَا ^ط } (٤) .

فكل من غلا من هذه الأمة، واتبع هواه وحكمه في دين الله، أو زاد على ما شرعه الله
ففيه شبه من أهل الكتاب، ومن تشبه بقوم فهو منهم. ومآله إلى الهلاك في الدنيا والآخرة؛
لأن الغلو هو سبب هلاك من مضى من أهل الكتاب باختلافهم وتقاتلهم وتباغضهم، وفي
الآخرة هم الأخسرون. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم { هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ " قَالَهَا ثَلَاثًا } (٥) . رواه

(١) سورة النساء ١٧١ .

(٢) سورة المائدة ٧٥ .

(٣) ينظر منهاج السنة لابن تيمية (١ / ٢٨) .

(٤) سورة الحديد آية: ٢٧ .

(٥) مسلم العلم (٢٦٧٠) ، أبو داود السنة (٤٦٠٨) ، أحمد (٣٨٦/١) .

مسلم في صحيحه عن ابن مسعود (١).

قال الخطابي في "معالم السنن" (٢) المتنطع: المتعمق في الشيء، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعينهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم. اهـ. فهذا خبر عن هلاك من وقع في التنطع الذي هو ضرب من الغلو في الكلام ونحوه، فدل على أن عقوبة الغالين من المتقدمين والمتأخرين هو: الهلاك، ولهذا لا يقوم لأهل الغلو دولة، ولا تجتمع الأمة عليهم، كما قال الإمام وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - في الخوارج كنموذج للغلو، عند مناصحته لمن وقع في رأيهم: (فوالله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج. ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج إلى بيت الله الحرام، وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية، حتى يعود الناس يستعينون برعوس الجبال كما كانوا في الجاهلية، وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر حتى يصبح الرجل المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري أين يسلك أو مع من يكون. غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة فأحسن النظر لهم، فجمعهم وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج...) الخ (٣). وكل ما ذكره هذا الإمام واقع ملموس في هذه الفئة ومن نحا نحوها في الغلو، ذلك بأن كل خير يحصل للأمة إنما هو بسبب اجتماعها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن هنا فسر جبل الله تعالى الوارد في قوله جل وعلا { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } (٤) بالجماعة في قول ابن

(١) صحيح مسلم (٢٦٧٠).

(٢) (٧ / ١٢ - ١٣).

(٣) رسالة مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج، ص ١٧.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٠٣.

مسعود رضي الله عنه وغيره (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأهل الإثبات من المتكلمين مثل الكلائية والكرامية والأشعرية أكثر اتفاقا وائتلافا من المعتزلة، فإن في المعتزلة من الاختلافات وتكفير بعضهم بعضا، حتى ليكفر التلميذ أستاذه، من جنس ما بين الخوارج، وقد ذكر من صنف في فضائح المعتزلة من ذلك ما يطول وصفه. ولست تجد اتفاقا وائتلافا إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث وما تبع ذلك، ولا تجد افتراقا واختلافا إلا عند من ترك ذلك، وقدم غيره عليه، قال تعالى: { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } (٢) فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولاً وفعلاً، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك... اهـ (٣).

ومن هذا المنطلق جعل أهل العلم: من علامات المبتدعة: الغلو، فليس مع من ركبه أي حجة، ومن عباراتهم في ذلك، ما سطره العلامة الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه الذي رفض فيه الغلو، وأنكر على أهله، وفند ما يظنون حجة لهم، وهو كتاب: "منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع" قال رحمه الله: ومن علامات صاحب البدعة: التشديد، والغلظة، والغلو في الدين، ومجاوزة الحد في الأوامر والنواهي، وطلب ما يعنت الأمة ويشق عليهم ويخرجهم ويضيق عليهم في أمر دينهم، وتكفيرهم بالذنوب والمعاصي إلى غير ذلك مما هو مشهود مذكور من أحوال أهل البدع " اهـ. وقد كشف الشيخ ابن سحمان ضلال طائفة من الغالين في كتابه هذا بما يحسن تلخيصه، إذ البلية تتكرر بمثل هذه الطائفة في كل زمن. وقد قام الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله

(١) الحزر الوجيز لابن عطية (٣ / ١٨٢).

(٢) سورة هود الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٤ / ٥٢.

يمنع هؤلاء الغالين من الذهاب إلى البادية للدعوة مما أثار حفيظة بعضهم، فذم الولاية، وذم العلماء، قال الشيخ ابن سحمان رحمه الله^(١). قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامة أن الذي منع هؤلاء من الذهاب إلى هذه الأماكن المذكورة في السؤال هو الإمام - أعزه الله بطاعته وأحاطه بجياظته - لأمرين: أحدهما: أنهم افتاتوا على منصب الإمامة، فذهبوا إلى البادية من رعيته ومن تحت يده وفي ولايته، من غير إذن منه، ولا أمر لهم بذلك. وقد كان من المعلوم أن الإمام هو الذي يبعث العمال والدعاة إلى دين الله. الثاني: ما بلغه عنهم من الغلو والمجازفة والتجاوز للحد في المأمورات والمنهيات وإحداثهم في دين الله ما لم يشرعه الله ولا رسوله، فمن ذلك: أنهم كفروا بالبدية بالعموم.. ومنها: أنهم يلزمون من دخل في هذا الدين أن يلبس عصابة على رأسه، ويسموها: العمامة، وأنها من السنة. ومنها: أنهم لا يسلمون إلا على من يعرفون وتميز بالعمامة. وهم مع ذلك يزعمون أنهم هم على السنة، وأن المشايخ يميئون السنن. ومنها: أنهم لا يدعون أحدا صلى معهم صلاة الصبح أن يخرج من المسجد إلا بعد طلوع الشمس. ومنها: أنهم أدخلوا في دين الله ما ليس منه، فزعموا أن تدوية البدو للإبل عند ورودها وصدورها بدعة. ومنهم من تجاوز الحد في التأديب عند فوات بعض الصلاة، فضربوا رجلا منهم حتى مات... فلما اشتهر هذا الأمر عنهم، وهذا الغلو والتجاوز للحد، خاف الإمام أن يسيروا بسيرة الخوارج، فيمرقون من الدين بعد أن دخلوا فيه، كما مرق منه من غلا في الدين وتجاوز الحد ممن كانوا من أعبد الناس وأزهدهم وأكثرهم تهليلة، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة... إلى أن قال الشيخ:

وأما سبهم المشايخ وتلبهم إياهم وإساءة الظن بهم، وكذلك ما نسبوه إلى ولي الأمر من الأقوال التي لا تروج على عاقل، ويغتر بها كل مغرور جاهل، فهذا كله مما يرفع الله به درجات الإمام، والمشايخ، وحسابهم على الله، وسيجازيهم بما جازى به المفتريين؛ لأن

الإمام والمشايع لم يمنعوهم إلا خوفا على من دخل هذا الدين أن يسلك مسلك الخوارج، الذين مرقوا من دين الإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وأما قول بعضهم: ما فعل المشايخ ذلك إلا حسدا منهم للإخوان في دعوتهم. فنقول: وهل يدور في عقل عاقل أن المشايخ يحسدونهم على ما أحدثوه من البدع والغلو والمجازفة والتجاوز للحد!!

وأما قولهم: إن المشايخ داهنوا في دين الله، والإخوان أمروا وأنكروا. فنقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، فلا جرم قد قالها الذين من قبلهم لما فهاهم أهل الحق عن الغلو في الدين، قالوا لمن فهاهم: يا أعداء الله قد داهنتم في الدين^(١). وهم يزعمون أنهم ما فعلوا ذلك إلا من أجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، تشابهت قلوبهم.

وأما قولهم: الإخوان علمونا ملة إبراهيم وبينوها، والمشايخ كتموها ودفنوها. فنقول: إن كان هذا حقا فسيجازيهم الله على ذلك. لكنهم مع ذلك قد سلكوا بهم مسلك أهل البدع، وتجاوزوا بهم الحد في الأقوال والأفعال، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، فإن كان هذا هو ملة إبراهيم فقد أعظموا على الله الفرية وعلى ملة إبراهيم.

وأما قولهم: ما أطاع الإمام المشايخ إلا لسكوتهم عنه للمآكل والأغراض. فنقول: هذا - أيضا - من جنس ما قبله من الطعن على الإمام وعلى المشايخ بالزور والبهتان... اهـ.

(١) مقولة الخوارج لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فصل في الغلو في العمل

والغلو في العمل: تشديد المسلم على نفسه في عمل طاعة من غير ورود الشرع بذلك: كالذي يجعل حبلا يتعلق به إذا فتر عن قيام الليل، ونحوه، فإن هذا العمل غير ناتج عن عقيدة فاسدة، وإنما قد يظن المكلف أن ذلك زيادة خير. فإن صاحب هذا العمل عقيدة فاسدة فهو الغلو الاعتقادي الذي تقدم ذكره، كحالة بعض المنتسبين إلى التصوف، ممن يعتقد أن تعذيب النفس في الطاعة مطلقاً من أفعال الخير والهدى. ولما كان هذا النوع من الغلو قد يدخل في نفس بعض المجتهدين في العبادة، عالجهم صلى الله عليه وسلم بأساليب متعددة، تارة بالعموم، وتارة بتوجيه من وقع فيه إلى خطأ فعله، وما كان من الصحابة رضي الله عنهم إلا التسليم المطلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي سنن الترمذي (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: { **إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ لِلنِّسَاءِ، وَأَخَذْتَنِي شَهْوَتِي، فَحَرَمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ } (٢)** قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.. اهـ. وحسنه الشاطبي في " الاعتصام " (٣). ومثل هذه الحادثة كثير، فيوجه النبي صلى الله عليه وسلم من وقع منه ذلك إلى البعد عنه، والحذر منه. وقد روى ابن جرير الطبري في " تفسيره " (٤) عن أبي قلابة قال: { **أَرَادَ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَرْفُضُوا الدُّنْيَا، وَيَتْرَكُوا النِّسَاءَ وَيَتْرَهُبُوا. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَلَّظَ فِيهِمُ الْمَقَالََةَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالتَّشْدِيدِ، شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَوْلَيْتَكَ بَقَايَاهُمْ فِي الدِّيَارِ وَالصَّوَامِعِ، اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحُجُّوا وَاعْتَمَرُوا، وَأَسْتَقِيمُوا يَسْتَقِمَ لَكُمْ** قال: ونزلت

(١) أبواب التفسير، باب في تفسير سورة المائدة ٥ / ٢٥٥.

(٢) سورة المائدة آية: ٨٧.

(٣) ٢ / ١٩٦.

(٤) ٨ / ٦٠٨ ط دار هجر.

فيهم } يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ } (١) . قال الشاطبي رحمه الله في " الاعتصام " (٢) الاقتصار على البشع في المأكول من غير عذر تنطع. والاقتصار في الملبوس على الخشن من غير ضرورة، من قبيل التشديد والتنطع المذموم، وفيه أيضا من قصد الشهرة ما فيه. وقد روي عن الربيع بن زياد الحارثي: أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام اعِدني على أخي عاصم. قال: ما باله؟ قال: لبس العباء يريد النسك. فقال علي عليه السلام علي به. فأتى به مؤتزرا بعباءة، مرتديا بالأخرى، شعث الرأس واللحية. فعبس في وجهه، وقال: ويحك! أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أباح لك الطيبات، وهو يكره أن تنال منها شيئا؟ بل أنت أهون على الله من ذلك، أما سمعت الله يقول في كتابه { وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ } (٣) إلى قوله { تَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } (٤) أفترى الله أباح لعباده إلا ليتدلوه، ويحمدوا الله عليه، فيشبههم عليه؟ وإن ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول. اهـ.

وأدلة الشرع في النهي عن الغلو العملي كثيرة جدا، فالوقوع فيه: ارتكاب للنهي، ومعارضة لمقاصد الشريعة التي بنيت على التيسير والتخفيف. وإذا تأمل المسلم ما جرى في حادثة الإسراء والمعراج من فرضية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعته ربه جل وعلا في تخفيف عدد الصلوات من خمسين إلى أن بلغ خمس صلوات؛ علم يقينا أن الشارع الحكيم لا يقصد في تكاليفه المشقة على العباد وإلحاق العنت بهم. فلم يبق لمن ألزم نفسه بالغلو في جزئيات الشريعة حجة. وكل ما تقدم في ذم من غلا في جزئية أو جزئيتين، أما من كثر غلوه في الجزئيات فلا ريب أن غلوه هذا يلحق بالغلو الاعتقادي.

(١) سورة المائدة آية: ٨٧.

(٢) ٢ / ٢٢٨.

(٣) سورة الرحمن آية: ١٠.

(٤) سورة الرحمن آية: ٢٢.

وقد جرت سنة الله تعالى في هؤلاء الغالية في العمل: أن ينقطعوا عن العمل بالكلية، إلا من أراد هدايته فوفقه للرجوع إلى الطريق المستقيم. وهذا بينه ﷺ فيما أخرجه البخاري (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه { إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا } (٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في "الفتح" (٣) المشادة بالتشديد المغالبة، والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع؛ فيغلب. قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع.. اهـ. وتلافيا للوقوع في هذا المزلق الخطير: أمر الشارع الحكيم بالقصد وهو الوسط في العمل. فقد بوب البخاري - رحمه الله - في صحيحه (٤) باب القصد والمداومة على العمل، في كتاب الرقاق. وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: { سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ؟ قَالَ: "أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ" وَقَالَ: "اكَفُّوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ } (٥).

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب الدين يسر ١ / ١٥.

(٢) النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤).

(٣) ١ / ٩٤.

(٤) ٧ / ١١٤.

(٥) البخاري الرقاق (٦١٠٠)، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٣)، النسائي القبلة (٧٦٢)، أحمد (٢٧٣/٦).

فصل في الغلو في الحكم على الناس

وأما الغلو في الحكم على الناس: فهو مجاوزة الحد في إلحاق الحكم عليهم بالكفر أو البدعة أو الفسوق. فإن الحكم بهذه الأمور على أحد من الناس إنما هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فمن دل الدليل القاطع على إلحاق هذه الأحكام به؛ ألحقت به، ومن لم يدل الدليل على لحوقها به؛ فإن تزييلها عليه من تعدي حدود الله تعالى، والقول عليه بغير علم، وهو الغلو الفاحش الذي أوردى الأمة ونخر في جسمها، وفرق جماعتها. بل إن أول الغلو في الأمة إنما هو هذا، يوم غلا الخوارج في الحكم على المسلمين، وحكام المسلمين بالكفر والخروج من الإسلام، فترتب على فعلهم هذا: إراقة دماء طاهرة مسلمة، وتمزق الجماعة، وانتشار التباغض والشحناء بين أهل الإسلام.

ومثل هذا يقال في التبديع بغير حق، والتفسيق بغير حق، فإنه يقود إلى التقاطع والتباغض، وهو سبيل إلى التكفير بغير حق. وإذا كان النبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري - منع من تزييل الحكم العام على شارب الخمر بأن تحل عليه لعنة الله، على الشخص المعين لما قام به من إيمان بالله ورسوله، فكيف يتسارع الغالون إلى تزييل أحكام الكفر والفسق العامة على الأشخاص المعينين دونما روية وتؤدة؟! ونص الحديث كما في صحيح البخاري (١) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ { أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ، فَجُلِدَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } (٢).

فتزييل هذه الأحكام على الشخص المعين لا بد لها من شروط تتوفر، وموانع تنتفي، كما أجمع على ذلك علماء أهل السنة والجماعة. ومن هذا المنطلق تتابعت نصوص العلماء

(١) كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة (١٢ / ٧٥) "فتح".

(٢) البخاري الحدود (٦٣٩٨).

على أن المتصدي للأحكام على الناس في عقائدهم أو عدالتهم لا بد أن يكون من العلماء وأهل الورع: من ذلك قول الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى -: والكلام في الرجال لا يجوز إلا لتام المعرفة تام الورع. اهـ (١).

وقد بلينا في هذه الأزمان ببعض المنتسبين إلى السلفية ممن يغلون في الحكم على الناس بالبدعة، حتى بلغ الأمر إلى التعميم في التبديع على كل المجتمع، وأن الأصل في غيرهم البدعة حتى يتبينوا في شأنهم. وهؤلاء جهال بالشرعية، جهال بفهم عبارات العلماء في البدع وأهلها، فلا عبرة بقولهم، بل هو هباء لا وزن له. وقد أجاد العلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد في نصحهم والتحذير من منهجهم في كتابه: رفقاً يا أهل السنة بأهل السنة. نسأل الله تعالى السلامة من الغلو كله. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) ميزان الاعتدال ٣ / ٤٦.

المحور الثالث

الغلو: مظاهره وأسبابه

أسباب الغلو العلمية والمنهجية

وعلاجها

(الخوارج أنموذجا)

للدكتور

عبد الرحمن بن معلا اللويحق

أسباب الغلو العلمية والمنهجية وعلاجها

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فقد تفاوتت استجابات الناس لدعوات الرسل:

- فمنهم المستقيم المتمسك بالحق.

- ومنهم المفرط الزائغ المضيع لحدود الله.

- ومنهم الغالي المتجاوز لحدود الله. وكل أولئك وجدوا فيمن سبق أمة محمد ﷺ وهم في أمته متوافرون، فجاءت النصوص ناهية عن سلوك سبل أهل الزيغ، كما جاءت ناهية عن الغلو، ولست بصدد بيان ذلك، وإنما تمحضت هذه الورقة للكلام عن: أسباب الغلو العلمية والمنهجية (الخوارج أنموذجاً) وفتحة القول في ذلك أن أقدم بمقدمة حول الأسباب: معناها، ومنهج استخراجها، وملاحظ عامة حول أسباب الغلو. لقد جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل الظواهر والمشكلات التي يقع فيها الناس راجعة إلى أسباب سائقة إليها، وهذه سنة من سنن الله ﷻ في الخلق والكون. ومشكلة الغلو ليست بدعا من المشكلات إذ لها أسباب لإيجادها، وأسباب لإمدادها.

والأسباب هي: العوامل المؤدية إلى الوقوع في الغلو سواء أكانت متعلقة بالجانب الذاتي للغالي أو الجماعة الغالية، أم كانت متعلقة بالبيئة المحيطة به. وهذه الأسباب قد يكون تأثيرها في إحداث الغلو ابتداءً، وقد يكون تأثيرها في إمداده واستمراره ونشر مظاهره. ولقد اجتهدت في دراسة أسباب الغلو العلمية والمنهجية عند الخوارج عبر عدة وسائل أهمها:

١ - قراءة آراء الخوارج العقدية، ومحاولة استنتاج الأسباب التي دفعتهم إلى غلوهم، والمداخل المنهجية التي أدت بهم إلى الغلو.

٢- دراسة تاريخ الخوارج، وذلك بتتبع أحوالهم منذ بداية التكوين ثم دراسة تطور عقائدهم، وتتبع حالات المد والجزر في تاريخهم، ومعرفة التحولات والافتراق في تاريخهم؛ إذ من شأن تلك الدراسة أن توقف على الأسباب والمواقف الدافعة للغلو.

٣- قراءة المؤلفات التي درست الخوارج: تاريخاً ومعتقداً؛ لمعرفة أسباب غلو الخوارج من وجهة نظر أصحاب تلك المؤلفات، وتلك الاستفادة لا تعني أن ذكر الأسباب نابع من رأي الآخرين، بل هو جهد شخصي ناتج عن تتبع واستقراء، وإنما وقع الاستثناس بآراء الآخرين وتحليلاتهم فهي مؤكدة، لا مؤسسة. وليس المراد هنا حصر الأسباب إذ الإحاطة الشاملة بجميع الأسباب غير ممكنة إذ طرق الشر والانحراف غير منحصرة في الأصل، قال أبو بكر الطرطوشي - رحمه الله -:

(والخطأ لا تنحصر سبله، ولا تتحصل طرقه، فاحظ كيف شئت، وإنما الذي تنحصر مداركه وتنضبط مآخذه فهو الحق؛ لأنه أمر واحد مقصود يمكن إعمال الفكر والخواطر في استخراجها، وما مثل هذا إلا كالرامي للهدف، فإن طرق الإصابة تنحصر، وتتوصل من إحكام الآلات، وأسباب الترع وتسديد السهم. فأما من أراد أن يخطئ الهدف فجهات الأخطاء لا تنحصر ولا تنضبط إلا أن نذكر من ذلك حسب الإمكان) (١).

وهنا أنبه على أن دراسة الأسباب يجب ألا تتجه إلى أن تكون تبريراً للغلو، وإيجاداً للعذر عند الغلاة، فهذا المنهج التبريري لا يولد في المآل إلا مزيداً من الغلو؛ ويجعل الغالي يسقط غلوه وجرمه على الناس. وكم من متكلم في بعض قضايا الغلو يذكر بعض الأسباب ويجعلها مبرراً للغلو، وهذا يهون الأمر في النفوس بل قد يجمع بعض الناس بذلك مزيداً من الأدلة ووسائل الإقناع للغلاة أو الجمهور المتلقين.

إن الغلو قد يوجد في البيئة السليمة لكن لأن وجهة النظر المبنية على الجهل والظلم تجعل ما ليس بخطأ خطأ وقد وقع ذلك في عهد النبي ﷺ. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال

(١) الحوادث والبدع: (٢٢).

{ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ - يَعْنِي الْعَنَائِمَ - جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: اَعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: وَيَلِكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: دَعُّهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ } (١) (٢) فهذا ظن لسوء طويته أن النبي ﷺ قد جار فقال قولته الشنيعة، وكذلك فعل الخوارج حين رفعوا دعوى إبطال التحكيم، فاستدلوا بقوله سبحانه { إِنْ أَلْحَمَّكُمْ إِلَّا اللَّهُ } (٣).

فالقول الذي قالوه حق، ولكن زعمهم أن عليا حكم بغير شرع الله باطل. ولذلك قال علي رضي الله عنه (كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ) (٤) قال الحافظ ابن حجر: (وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: لا حكم إلا لله، انتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محلها) (٥) فنحن وإن ذكرنا بعض الأسباب وأنها من العوامل التي أوقعت في الغلو لا نفتح بابا للعدر للخوارج وإنما نشخص الواقع؛ لتكون المعالجة على أصل قوي.

* * *

- (١) البخاري استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم (٦٥٣٤)، مسلم الزكاة (١٠٦٤)، النسائي الزكاة (٢٥٧٨)، أبو داود السنة (٤٧٦٤)، أحمد (٦٥/٣).
- (٢) رواه البخاري (٦ / ٢٥٤٠) برقم: (٦٥٣٢) باب قتال الخوارج والملحدين كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، ومسلم (٢ / ٧٤١) كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم.
- (٣) سورة الأنعام آية: ٥٧.
- (٤) رواه مسلم: (٢ / ٧٤٩) برقم: (١٠٦٦) كتاب: الزكاة باب: التحريض على قتل الخوارج.
- (٥) فتح الباري: (٦ / ٦١٩).

أسباب غلو الخوارج العلمية

إن أظهر أسباب غلو الخوارج هو: (الجهل) وفي الحديث أن النبي ﷺ قال عن الخوارج: { يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ }^(١). أي: أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقراءه وهم لا يتفقهون فيه ولا يعرفون معانيه ومقاصده^(٢). قال الإمام النووي - رحمه الله -: (المراد أنهم ليس لهم فيه حظ إلا مروره على لسانهم [هكذا] لا يصل إلى حلوقهم فضلا عن أن يصل إلى قلوبهم؛ لأن المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب)^(٣). وألوان جهل الخوارج كثيرة، منها:

أولاً: الجهل بالقرآن:

فلقد كان عدم فهمهم للكتاب العزيز سببا في انحرافهم، فقد أخذوا آيات نزلت في الكفار فحملوها على المسلمين، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - في الخوارج: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)^(٤) ومن عدم فهمهم للقرآن استشهادهم على إبطال التحكيم بقوله تعالى: { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ }^(٥) [الأنعام: ٥٧، ويوسف: ٤٠، و٦٧] فالعنى المأخوذ من الآية صحيح في الجملة، وأما على التفصيل فيحتاج إلى بيان؛ ولذلك رد عليهم علي رضي الله عنه فقال: (كلمة حق أريد بها باطل)^(٦). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: لا

(١) البخاري استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم (٦٥٣٢) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، أحمد (٣٣/٣).

(٢) ينظر الشاطبي: الاعتصام (٢ / ٢٢٦).

(٣) نقلا عن ابن حجر: فتح الباري (١٢ / ٢٩٣).

(٤) ذكره البخاري معلقا (٩ / ٢٠) كتاب: استتابة المرتدين وقتلهم: باب: قتل الخوارج والملحدنين بعد إقامة الحجة عليهم ، وأفاد الحافظ في الفتح (١ / ٢٨٢) أن الطبري وصله في تهذيب الآثار من مسند علي بإسناد صحيح.

(٥) سورة الأنعام آية: ٥٧.

(٦) رواه مسلم (٢ / ٧٤٩) كتاب: الزكاة ، باب: التحريض على قتل الخوارج.

حكم إلا لله انتزعوها من القرآن وحملوها على غير محلها) ^(١) يقول الشاطبي - رحمه الله - : (ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؛ لأن رسول الله ﷺ وصفهم بأنهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يعني - والله أعلم - أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم؛ لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل به فهم على حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف المسموعة فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم) ^(٢).

ومن أظهر دلالات جهلهم بالقرآن أنهم أخذوا عمومات الوعيد فقالوا: إن معصية واحدة كافية للخلود في النار؛ استدلالاً بمثل قوله تعالى: { وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } ^(٣) [سورة النساء: آية ١٤].

ثانياً: الجهل بالسنة: فلقد أتى الخوارج من جهة جهلهم بالسنة بل وإعراضهم عنها وزعمهم الاقتصار على الكتاب مع اطراح أدلة السنة، فأداهم ذلك إلى جعل ما ليس بسيئة سيئة، وما ليس بحسنة حسنة، فهم إنما يصدقون الرسول فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف بزعمهم ظاهر القرآن ^(٤). وما كان اعتراض الرجل على قسمة النبي ﷺ إلا من هذا القبيل فقد خرج عن السنة، وجعل ما ليس بسيئة سيئة (وهذا القدر [أي تحسين القبيح وتقبيح الحسن] قد يقع فيه بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل؛ لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة) ^(٥) ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحض على إلزام المبتدعة والغلاة وأخذهم بالسنة؛ لأنها قاطعة في الدلالة على زيف

(١) فتح الباري (٦ / ٦١٩).

(٢) الاعتصام (٢ / ٦٩١).

(٣) سورة النساء آية: ١٤.

(٤) ينظر ابن تيمية: (الفتاوى ١٩ / ٧٣).

(٥) المصدر نفسه (١٩ / ٧٢).

أقوالهم وآرائهم فقد قال: (سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله) (١).

ولقد بين عبد القاهر البغدادي أن الخوارج ينكرون السنة وذلك من أسباب انحرافهم فقال: (والثاني مع الخوارج في إنكارها حجية الإجماع والسنن الشرعية، وقد زعمت أنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن، ولذلك أنكروا الرجم والمسح على الحفين، لأنهما ليسا في القرآن، وقطعوا السارق في القليل والكثير؛ لأن الأمر بقطع السارق في القرآن ومطلق ولم يقبلوا الرواية في نصاب القطع ولا الرواية في اعتبار الحرز فيه (٢) ولقد أتوا من ظنهم مناقضة هذه الأحاديث الصحيحة للقرآن، أو مناقضة بعضها لبعض، أو فساد معانيها، أو مخالفتها للمعقول (٣).

ومن أمثلة ذلك: استدلال الخوارج بعمومات الوعيد من القرآن على تكفير العصاة وأنهم مخلدون في النار، فقد أخذوا تلك العمومات، وقطعوها عن نصوص السنة المبينة لها من مثل:

١- قول الله ﷻ في الحديث القدسي الذي يرويه نبينا محمد ﷺ { يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً } (٤) (٥)

٢- وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: { أتيت النبي ﷺ وهو نائم ثم أتيتُه وقد استيقظ فجلست

(١) رواه الدارمي في سننه: المقدمة (١ / ٤٧) باب: التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة.

(٢) أصول الدين (١٩).

(٣) ينظر الشاطبي: الاعتصام: (١ / ٣١٣).

(٤) الترمذي الدعوات (٣٥٤٠).

(٥) رواه الترمذي (٣٥٤٠) كتاب الدعوات: باب فضل التوبة والاستغفار ، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من

هذا الوجه ، وله شاهد من حديث أبي ذر رواه أحمد (٥ / ١٧٢) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:

.١٢٧

إليه، فقال: " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ: " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ " ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: " عَلَى رَعْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ { (١)، وفي رواية البخاري: { أَنْ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؛ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ } (٢) (٣)

ثالثا: الجهل بقدر السلف وأهل العلم: إن من أصول الدين رعاية قدر الصحابة -

رضي الله عنهم - والافتداء بهديهم والاستئناس بسنتهم فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ } (٤) (٥) والاهتداء رهن

بالافتداء بهم - رضي الله عنهم - يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) (٦) ولقد كان من الأسباب الرئيسة لانحراف الخوارج اعتدادهم بأهوائهم في مقابل النصوص، واعتدادهم

(١) البخاري اللباس (٥٤٨٩)، مسلم الإيمان (٩٤)، الترمذي الإيمان (٢٦٤٤)، أحمد (١٥٢/٥).

(٢) البخاري الرقاق (٦٠٧٨)، مسلم الزكاة (٩٤)، الترمذي الإيمان (٢٦٤٤)، أحمد (١٥٢/٥).

(٣) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منه (٢ / ٨٩، ٩٠)، كتاب الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، و(٨ / ١١٦) كتاب الرقاق: باب المكثرون هم المقلون، و(٩ / ١٧٤) كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، ومسلم (١ / ٩٤) كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، والترمذي (٤ / ١٦٤)، كتاب الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٤) الترمذي العلم (٢٦٧٦)، ابن ماجه المقدمة (٤٤)، أحمد (١٢٦/٤)، الدارمي المقدمة (٩٥).

(٥) رواه أبو داود (٥ / ١٠ - ١١) رقم (٤٦٠٤) كتاب السنة، باب في لزوم السنة، والترمذي (٥ / ٣٧ -

٣٨) رقم (٢٦٦٣)، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي وأحمد (٤ / ١٣١، ١٣٢).

(٦) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٩٧).

بأنفسهم في مقابل الأجلة من أهل العلم أصحاب رسول الله ﷺ بل كان أول خارج ذو الخويصرة المعترض على قسمة النبي ﷺ القائل: (اعدل يا رسول الله!) ثم تتابع سير الخوارج على هذا النهج، فكانوا يعترضون على أجلة العلماء صحابة النبي ﷺ ويرفضون أقوالهم بل ويتبرعون منهم ويكفروهم، ويستحلون دماءهم؛ لما رأوا من مخالفتهم إياهم فيما يعتقدون وعلى ذات المنهج ساروا في معاملة أهل العلم من التابعين. لقد دخل الخوارج قرية فخرج عبد الله بن حباب - رحمه الله - ذعرا يجرداءه، فقالوا: لم ترع؟ قال: والله لقد رعتموني، قالوا: أنت عبد الله بن حباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه؟ قال: نعم سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه { ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، " قال: فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول ". قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال " : ولا تكن عبد الله القاتل } (١). قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فقدموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما أبدق، وبقروا أم ولده عما في بطنها (٢).

رابعاً: الجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال:

لقد عرف أهل السنة والجماعة الإيمان بأنه: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح (٣). قال الإمام البخاري - رحمه الله -: (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أن أحدا منهم يختلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) (٤). وقد عقد الإمام الآجري - رحمه الله - باباً سماه: (القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث). ثم قال

(١) البخاري المناقب (٣٤٠٧)، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٦)، أحمد (٢٨٢/٢).

(٢) رواه أحمد (١١٠ / ٥).

(٣) ينظر ابن تيمية: العقيدة الواسطية بشرح المهراس: (١٦١).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (١ / ٤٧).

- رحمه الله -: (اعلموا - رحمنا الله وإياكم -: أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الحاصل كان مؤمناً. دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين...) (١). وهذا الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد جاءت الآيات والأحاديث دالة دلالة صريحة على زيادة الإيمان: (وكل نص يدل على زيادة الإيمان فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس؛ لأن الزيادة والنقصان متلازمان لا يفعل أحدهما بدون الآخر) (٢).

وقد ضل الضالون الغالون من الخوارج وغيرهم في أبواب الأسماء والأحكام بأسباب من جهلتها: جهلهم بحقيقة الإيمان، وعلاقته بالأعمال، فقد (قالت الخوارج والمعتزلة: قد علمنا يقينا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار، إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء) (٣).

ومنشأ ضلالهم: (أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: الإيمان هو الطاعة، فيزول بزوال بعض الطاعة) (٤). وقد زعموا أن الإيمان إذا كان مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها كما يزول اسم العشرة عنها إذا زال أحد أفرادها (وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله) (٥).

(١) الشريعة (١١٩).

(٢) الشيخ: محمد بن عثيمين: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (١١٣).

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفتاوى (١٣ / ٤٨).

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية (١٣٧ - ١٣٨).

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفتاوى (٧ / ٢٢٣).

والصحيح أنه (ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافرا الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته، وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله **وَعَبَّكَ { لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ الشُّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ }** (١) (٢) وبين كفر منكر الإثبات) (٣). وقد رد شيخ الإسلام على شبهة الخوارج - هذه - بما ملخصه: أن الحقيقة الجامعة لأمر - سواء كانت في الأعيان أو الأعراض - إذا زال بعض تلك الأمور فقد - يزول سائرهما وقد لا يزول، ولا يلزم في زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرهما، سواء سميت مركبة أو مؤلفة، أو غير ذلك وما مثل به الخوارج من العشرة مطابق لهذا، فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة، فإذا زال أحد جزئي المركب فلا يلزم زوال الجزء الآخر، ولكن أكثر ما يقولون: إنه قد زالت الهيئة الاجتماعية، وزال الاسم الذي استحقته الهيئة لذلك الاجتماع والتركيب.

فالمركبات على قسمين:

القسم الأول: ما يكون التركيب شرطا لإطلاق الاسم مثل: العشرة، فإن الواحد المكمل لعدد عشرة شرط في إطلاق اسم العشرة على هذه الأعداد. والقسم الثاني: ما لا يكون التركيب شرطا لإطلاق الاسم ومثاله: البحر والنهر، فإن التركيب ليس شرطا في إطلاق الاسم، ولذلك لو نقص جزء من البحر لا يزول الاسم بل هو باق. ومعظم المركبات من هذا النوع:

ومعلوم أن اسم الإيمان من هذا الباب؛ فإن النبي ﷺ قال: **{ الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ**

(١) مسلم الإيمان (٨٢)، النسائي الصلاة (٤٦٤).

(٢) رواه مسلم (١ / ٨٨ رقم ١٣٥) كتاب الإيمان: باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة.

(٣) شيخ الإسلام: الاقتضاء (١ / ٧٠).

مِنَ الْإِيمَانِ { (١) ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإماطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان (٢).

ولكن قد يزول اسم الإيمان بزوال جزء أساسي تزول به حقيقة الإيمان كما إذا زالت الشهاداتتان، أو تركت الصلاة على الراجح من أقوال العلماء. فإذا زال اسم الإيمان زال وصف الإيمان، واعتبار جزء من الأجزاء يزول به حقيقة الإيمان يختلف باختلاف الأحوال، فليس للإيمان حقيقة واحدة مثل حقيقة مسمى مسلم في حق جميع المكلفين في جميع الأزمان بهذا الاعتبار، مثل حقيقة السواد والبياض؛ بل الإيمان والكفر يختلف باختلاف المكلف، وبلوغ التكليف له وبزوال الخطاب الذي به التكليف ونحو ذلك (٣).

خامسا: الجهل بمراتب الأحكام:

يظهر لكل من نال قدرا من الفقه في الدين أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل أحكاما لأفعال العباد، تتدرج هذه الأحكام وتتنوع، فمنها ما هو طلب للفعل المسمى بـ (المأمورات) ومنها ما هو طلب للترك وذلك المسمى بـ (المنهيات) ومنها ما المكلف مخير فيه بين الفعل والترك وهي (المباحات) ومن جهل الخوارج الجهل بمراتب الأحكام، وأمثلة من ذلك على مراتب المنهيات. فالمنهيات على مرتبتين: فالله عَزَّ وَجَلَّ إما أن ينهى عن الفعل على سبيل الحتم والإلزام فذلك الحرام، وإما أن ينهى عن الفعل لا على سبيل الحتم والإلزام فذلك المكروه. والحرام درجات في ذاته، إذ يختلف باعتبارات عدة منها: درجة التحريم فإن أعظم المحرمات: الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ والشرك والكفر متفاوت المراتب فهو على نوعين:

(١) كفر اعتقادي.

(٢) كفر عملي.

ويعبر عنهما بالكفر الأكبر والكفر الأصغر أو بالشرك الأكبر والشرك الأصغر. فالكفر

(١) البخاري الإيمان (٩)، مسلم الإيمان (٣٥)، الترمذي الإيمان (٢٦١٤)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥)،

أبو داود السنة (٤٦٧٦)، ابن ماجه المقدمة (٥٧)، أحمد (٤١٤/٢).

(٢) ينظر الفتاوى (٧ / ٥١٤ - ٥١٧).

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفتاوى (٧ / ٩٨).

الاعتقادي هو: الموجب للخلود في النار، ويأتي في النصوص مقابلاً للإيمان، من مثل قوله تعالى { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ }^(١) (آل عمران: ٨٦).

والكفر العملي هو: الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود في النار، وهذا النوع يتناول جميع المعاصي؛ لأنها من خصال الكفر وشعبه وخصوصاً ما سمي من المعاصي في النصوص كفراً، من مثل قول النبي ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود: { سباب المسلم فسوق وقتاله كفر }^(٢) (٣). فإن الكفر هنا ليس مراداً به الكفر المخرج من الملة بدليل

قوله تعالى: { وَإِنْ طَافَتَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا }^(٤) [الحجرات: آية: ٩] فسامهم مؤمنين مع كونهم متقاتلين^(٥). ثم بعد الكفر تأتي المحرمات، وقد قسمها العلماء على سبيل الإجمال إلى كبائر وصغائر، ودلت بعض النصوص على هذا التقسيم من مثل قوله تعالى: { الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعَمَ }^(٦) [النجم: آية ٣٢]. وقد أجمع على ذلك السلف: قال ابن القيم - رحمه الله - : (والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار)^(٧).

وكل واحد من هذه المحرمات يتفاوت؟ فالكفر يتفاوت وبعضه أغلظ من بعض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (اعلم أن الكفر بعضه أغلظ من بعض؛ فالكافر

(١) سورة آل عمران آية: ٨٦.

(٢) البخاري الإيمان (٤٨) ، مسلم الإيمان (٦٤) ، الترمذي البر والصلة (١٩٨٣) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٦٩) ، أحمد (٣٨٥/١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧ / ٨٤) كتاب الأدب: باب ما ينهى عن السباب واللعن ، وفي (٨ / ٩١) كتاب الفتن: باب قول النبي لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ومسلم في صحيحه (١ / ٨١ رقم ٦٤) ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

(٤) سورة الحجرات آية: ٩.

(٥) ينظر البخاري: صحيح البخاري مع الفتح (١ / ٨٥).

(٦) سورة النجم آية: ٣٢.

(٧) مدارج السالكين (١ / ٣١٥).

المكذب أعظم جرماً من الكافر غير المكذب، فإنه جمع بين ترك الإيمان المأمور به وبين التكذيب المنهي عنه، ومن كفر وكذب وحارب الله ورسوله والمؤمنين بيده أو لسانه أعظم جرماً ممن اقتصر على مجرد الكفر والتكذيب، ومن كفر وقتل وزنى وسرق وصد وحارب كان أعظم جرماً (١).

وللعلم بمراتب الأحكام أثره في الحكم على الناس فالمنهيات مراتب، ومرتكب الحرام ليس كمرتكب المكروه لتفاوت مرتبتي هذين الحكمين، والكافر ليس كالعاصي؛ لتفاوت ما بين حكم العمل الذي هو كفر، والعمل الذي هو معصية، فقد دلت النصوص - مثلاً - على أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار، وأنهم تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم حتى يمحصون، ومن تلك النصوص قول الله **وَعَلَىٰ** { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** } (٢) [النساء: آية ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (فجعل ما دون ذلك الشرك معلقاً بمشيئته، ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب؛ فإن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره، كما قال سبحانه: { **قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** } (٣) [الزمر: ٥٣] فهنا عمم وأطلق؛ لأن المراد به التائب، وهناك خص وعلق) (٤).

وأما الخوارج فقد جهلوا هذا، وأعرضوا عن النصوص المبينة لمراتب الأحكام فكفروا مرتكب الكبيرة، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - : (إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج؛

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٨٧).

(٢) سورة النساء آية: ٤٨.

(٣) سورة الزمر آية: ٥٣.

(٤) رسالة الحسبية: (٧٧).

إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقه وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين) (١)

سادسا: الجهل بمراتب الناس

لقد اختلف الناس في موقفهم من دعوة سيد المرسلين ﷺ فكانوا فرقا شتى، فانقسم الناس في الجملة إلى:

(١) مؤمن.

(٢) منافق.

(٣) كافر.

وفي كل فرقة تتفاوت مراتب الناس باعتبارات مختلفة. يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - مبينا بعضها: (إن المؤمنين صنفان: مقربون وأبرار، وإن الكافرين صنفان: دعاة ومقلدون، وإن المنافقين أيضا صنفان: منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من النفاق) (٢). ولو ذهبت أتبع طبقات المكلفين، ومراتب كل طبقة وأحوالها لطال الأمر ولكني أقتصر على: مرتبة الفسق (الفساق) ذلك أن جهل الخوارج بهذه المرتبة أفضى بهم إلى ألوان من الغلو في التكفير.

إن الفسق هو: العصيان ومخالفة أمر الله ﷻ بما لا يصل إلى الكفر والمروق من الدين. ولقد أمر الله ﷻ بأوامر هي من شعب الإيمان، ونهى عن أمور هي من شعب الكفر، وليس كل من ترك شعبة من شعب الإيمان زال إيمانه و(ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢ / ٤٤٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٩٨).

قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا، حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته^(١). ففي الناس إذا قوم تركوا شيئا من شعب الإيمان أو فعلوا شيئا من شعب الكفر (الكبائر) ومعهم من الإيمان ما يمنع خلودهم في النار، فليسوا من المنافقين أو المرتدين وليسوا من المؤمنين حقا، فصاروا في مرتبة الفسق أو ما يسميه بعض العلماء: الفاسق الملي^(٢). وأما الخوارج فإنهم يكفرونه بالمعصية، ويحكمون عليه بالخلود في النار لجهلهم بمراتب الناس ومسائل الأسماء والأحكام في ضوء نصوص الشريعة.

* * *

(١) شيخ الإسلام: الاقتضاء (١ / ٢٠٨).

(٢) ينظر شيخ الإسلام: الفتاوى: (٧ / ٤٧٨ - ٤٧٩).

أسباب غلو الخوارج المنهجية

وأما في الجانب المنهجي فقد ضل الخوارج لأسباب منها:

أولاً: **عدم الجمع بين الأدلة:** إن من سمات هذا الدين التي أبان عنها القرآن الكريم: اتساقه وتصديق بعضه بعضاً، وعدم تناقضه؛ لأنه واحد المصدر: { **أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** ^ع **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** } (١) [النساء: ٨٢].

والنظر في آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة وفقهها وتدبر ما فيها يظهر القارئ على ذلك الاتساق، فالتدبر إذا وقع صدق القرآن بعضه بعضاً في فهم القارئ كما هو مصدق بعضه بعضاً في واقع الأمر. وإذا أعرض الإنسان عن التدبر ولم يأخذ بالقرآن كله وضرب الأدلة بعضها ببعض اختلفت عليه فكان ذلك سبباً في انحرافه عن الحق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مبيناً أصلاً جامعاً في رد ما تنازع فيه الناس من فهم النصوص: (والمقصود هنا ذكر أصل جامع تبني عليه معرفة النصوص، ورد ما تنازع فيه الناس إلى الكتاب والسنة، فإن الناس كثر نزاعهم في مواضع في مسمى الإيمان والإسلام لكثرة ذكرهما، وكثرة كلام الناس فيهما، والاسم كلما كثر التكلم فيه فتكلم به مطلقاً، ومقيداً بقيد آخر في موضع آخر كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه، ثم كلما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك).

ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضه، ويكون ما سمعه مقيداً بقيد أوجبه اختصاصه بمعنى، فيظن معناه في سائر موارده كذلك، فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلم مأخذ الشبه أعطى كل ذي حق حقه، وعلم أن خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتم من بيانه، وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف ما تنازعوا فيه (٢). ولقد كان عدم الجمع بين الأدلة،

(١) سورة النساء آية: ٨٢.

(٢) الفتاوى (٧ / ٣٥٦ - ٣٥٧).

والاقتصار على بعضها وضرب القرآن بعضه ببعض سببا من أسباب انحراف الفرق ومنهم الخوارج. يتضح هذا من النظر في استدلالاتهم. واعتبر ذلك بالنظر إلى هاتين المجموعتين من النصوص:

١- يقول الله **وَعَجَلَ** { **وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** } ^(١) [النساء: آية ١٤] وقال: { **وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا** } ^(٢) [الجن: آية ٢٣].

٢- يقول الله تعالى: { **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } ^(٣) [النساء: آية ١٣] ويقول سبحانه: { **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** } ^(٤) [الأحزاب: آية ٧١] فهاتان مجموعتان من النصوص يلحق بهما ما في معناهما: تسمى الأولى: نصوص الوعيد. وتسمى الثانية: نصوص الوعد. وقد صار فهم هذه النصوص سببا لانحراف طائفتين: الخوارج والمرجئة. فالخوارج أخذوا بعموم آيات الوعيد وقالوا: المعصية الواحدة كافية للخلود في النار.

والمرجئة أخذوا بعموم نصوص الوعد وقالوا: الإيمان هو التصديق، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وبهذا المنهج يتعارض القرآن وينقض بعضه بعضا، والحق جمع هذه النصوص وفهمها بمجموعها .

و: (لا ريب أن الكتاب والسنة فيهما وعد ووعد... والعبد عليه أن يصدق بهذا وبهذا، لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فهؤلاء (المشركون) أرادوا أن يصدقوا بالوعد،

(١) سورة النساء آية: ١٤.

(٢) سورة الجن آية: ٢٣.

(٣) سورة النساء آية: ١٣.

(٤) سورة الأحزاب آية: ٧١.

ويكذبوا بالوعيد. والحرورية والمعتزلة: أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعد، وكلاهما أخطأ. والذي عليه أهل السنة والجماعة: الإيمان بالوعد والوعيد فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه بشروط: بأن لا يتوب، فإن تاب تاب الله عليه، وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وبأن لا يشاء الله أن يغفر له: فـ { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** } (١)

[النساء: الآية ٤٨].

فهكذا الوعد له تفسير وبيان، فمن قال بلسانه: لا إله إلا الله وكذب الرسول فهو كافر باتفاق المسلمين، وكذلك إن جحد شيئاً مما أنزل الله. فلا بد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول، ثم إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، فإن ارتد عن الإسلام ومات مرتداً كان في النار، فالسيئات تحبطها الردة، ومن كان له حسنات وسيئات فإن الله لا يظلمه، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مقال ذرة شراً يره، والله قد يتفضل عليه ويحسن إليه بمغفرته ورحمته. ومن مات على الإيمان فإنه لا يخلد في النار (٢).

ومن الجمع بين النصوص الرد إلى النصوص المحكمة والأصول الجامعة التي ترد إليها النصوص العامة، وهناك أصل جامع محكم ترد إليه نصوص الوعيد، وبالرجوع إليه يندفع التعارض المتوهم، فالقرآن ليس فيه تناقض ولا اختلاف: { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** } (٣) [النساء: الآية ٤٨].

ثانياً: اتباع المتشابه: يقول الله **عَلَيْكَ** { **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ**

(١) سورة النساء آية: ٤٨.

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (٨ / ٢٧٠ - ٢٧١).

(٣) سورة النساء آية: ٤٨.

أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ^٤ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ^٥ { (١) [آل عمران: آية ٧] فربط

سبحانه بين أهل الزيغ واتباع المتشابه، وجعل اتباع المتشابه من شأن أهل الزيغ والابتداع، وهم إنما يفعلون ذلك ابتغاء إحداث الفتنة وتتبعها لما لا يمكنهم العلم به، مما استأثر الله عز وجل بعلمه أو خص بعلمه أهل العلم البصراء بدين الله. ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتباع المتشابه ومن متبعي المتشابه، فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ^٤ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ^٥ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ٧ } (٢)

[آل عمران: الآية ٧] قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاخَذَرُوهُمْ } (٣) (٤). وخطورة اتباع المتشابه كان السلف

يردعون متبعه، ويؤدبونه تأديبا بليغا، فعن سليمان بن يسار - رحمه الله - أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر، وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر: وأنا عبد الله عمر، ثم أخذ عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه (٥). وما وصف متبعو المتشابه

(١) سورة آل عمران آية: ٧.

(٢) سورة آل عمران آية: ٧.

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٢٧٣)، مسلم العلم (٢٦٦٥)، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٩٤)، أبو داود السنة (٤٥٩٨)، ابن ماجه المقدمة (٤٧)، أحمد (٤٨/٦)، الدارمي المقدمة (١٤٥).

(٤) رواه البخاري (١٦٦ / ٥) كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات، ومسلم (٣ / ٢٠٥٣) رقم ٢٦٦٥ كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.

(٥) رواه الآجري في الشريعة (٧٣) والدارمي في السنن (١ / ٥١) رقم (١٤٦) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤ / ٦٣٤) وذكر له الحافظ ابن حجر إسنادا صحيحا عن ابن الأنباري: الإصابة (٣ / ٤٥٨ - ٤٦٠).

بالزيع، والتحذير منهم وتأديبهم إلا لما يجره اتباع المتشابه من انحراف عن الحق وضلال، واعتبر ذلك بالخوارج؛ لتعلم كيف انحرفوا؟ بسبب اتباع المتشابه، فقد أخذوا - مثلاً - قوله تعالى: **{ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ }** ^(١) [يوسف: الآية ٤٠] على ظاهره، وقطعوه عن بيانه، وزعموا أن ذلك يعني ألا يحكم البشر وألا يطلب منهم الحكم بشرع الله بين المتخاصمين فنقموا على علي بن أبي طالب عليه السلام أنه حكّم الحكمين، وهذا - بزعمهم - حكم بغير ما أنزل الله، وقد رد عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام بجملة آيات منها: قوله تعالى: **{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا }** ^(٢) [النساء: آية ٣٥] فأمر الله عز وجل بتحكيم حكمين في أمر امرأة ورجل، قال علي عليه السلام (فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل) ^(٣). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في بيان أول زيع الخوارج: (كان أول كلمة خرجوا بها قولهم: **{ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ }** ^(٤) انتزعوها من القرآن وحملوها على غير محلها) ^(٥).

ثالثاً: التعامل المباشر مع النص والفهم الحرفي له: إن فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة يحتاج إلى أمرين: الأول: معرفة اللغة التي تكلم بها الشارع. الثاني: معرفة مقصوده من اللفظ. وهذا متقرر حتى في فهم كلام الناس أنفسهم؛ فلا بد من معرفة ما عناه المتكلم وقصده. ويعرف مقصود الشارع سبحانه بمعرفة سنته في الخطاب فتجمع النصوص ليخرج من مجملها بفهم مراد الشارع كما يفهم أيضاً المقصود بالرجوع إلى السنة وأقوال الصحابة.

والألفاظ الشرعية وإن كانت عربية في الأصل إلا أنه لا بد من معرفة مراد الشارع

(١) سورة يوسف آية: ٤٠.

(٢) سورة النساء آية: ٣٥.

(٣) رواه أحمد (١ / ٨٦ - ٨٧).

(٤) سورة يوسف آية: ٤٠.

(٥) الفتح (٦ / ٦١٩) وينظر في هذا الموضوع الشاطبي: الاعتصام (١ / ٣٠٣).

الذي نقل تلك الألفاظ عن مدلولاتها الأصلية إلى معان بينها وبين المعنى الأصلي نوع اشتراك إذ (جنس ما دل عليه القرآن ليس من جنس ما يتخاطب به الناس، وإن كان بينهما قدر مشترك فإن الرسول ﷺ جاءهم بمعان غيبية لم يكونوا يعرفونها، فإذا عبر عنها بلغتهم كان بين معناه وبين معاني تلك الألفاظ قدر مشترك ولم تكن مساوية بها، بل تلك الزيادة التي هي من خصائص النبوة لا تعرف إلا منه) (١).

ولقد أعرض الخوارج عن هذا المنهج الرشيد فصاروا إلى الأخذ بظواهر النصوص من غير تدبر ولا نظر في مقاصدها ومعاقدها، فبادروا إلى تفسيرها بمجرد ظاهر اللغة وفهم العربية وبهذا يكثر غلطهم في فهم التزيل. ومن أمثلة ذلك: اعتمادهم على قول الله ﷻ { بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة: آية ٨١) ولو جمع هؤلاء النصوص لفقهوا معنى (السيئة) و(الخطيئة) ذلك أنه عند التأمل في الكتاب العزيز نجد أن السيئة والخطيئة تطلقان على الشرك فما دونه من السيئات والخطايا. فمن إطلاقها على الشرك قوله تعالى: { مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } (نوح: الآية: ٢٥). وقوله سبحانه: { بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة: آية ٨١). ومن إطلاقها على ما دون الشرك قوله سبحانه: { إِنْ جَحْتَبُوا كَبَابِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ

(١) ابن القيم: مختصر الصواعق: (٢ / ٣٤٧).

(٢) سورة البقرة آية: ٨١.

(٣) سورة نوح آية: ٢٥.

(٤) سورة البقرة آية: ٨١.

مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٦٦﴾ { (١) [النساء: آية ٣١].

وقوله سبحانه على لسان إبراهيم: { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

الَّذِينَ ﴿٨٢﴾ [سورة الشعراء: آية ٨٢]. وعليه فليست الآية كما يظهر لأول

وهلة من ظاهرها أنها دالة على أن مرتكب السيئة كافر، خصوصاً إذا رجعنا إلى الآية

المحكمة من مثل قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ ﴿٤٨﴾ [النساء: آية ٤٨].

(١) سورة النساء آية: ٣١.

(٢) سورة الشعراء آية: ٨٢.

(٣) سورة النساء آية: ٤٨.

المحور الرابع

استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو

لمحات عن منهج القرآن الكريم

في

البناء التربوي ومعالجته

للدكتور

إبراهيم بن سعيد الدوسري

المحور الرابع استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو

لمحات عن منهج القرآن الكريم في البناء التربوي ومعالجته

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم بالحق نورا وهدى للعالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وصفوته من خلقه أجمعين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإن القرآن الكريم هداية الله للعالمين، وهو منهج كريم يسمو بالإنسان وينظم حياته من جميع أبعادها، سواء أكان من جهة صلته بربه، أم من جهة علاقته بالكون وما حواه ونفسه التي بين جنبيه ومجتمعه وأمتة والناس أجمعين. ومن ثم كان القرآن الكريم المصدر الأساس للتربية لدى المسلمين، حيث كان خلق رسول الله ﷺ القرآن، يتخلق بأخلاقه، ويؤدب أمته بآدابه.

فكتاب الله العظيم قد تضمن منهجا كاملا وشافيا في الوسطية، والكشف عن معالمه يعد من الأمور الضرورية والملحة، ولا سيما في الظروف الراهنة التي بلغت خطورة بالغة طالت الأمة الإسلامية والعالم بأسره، بسبب خروج بعض الناس عن منهج القرآن الكريم أو البعد عنه، والتأثر بالأفكار المنحرفة والهدامة، والسير وراء كل ناعق، فأفرز ذلك خروجاً عن طاعة ولي الأمر، وسعيًا في الأرض فسادا وقتل النفس المعصومة، وغير ذلك من التبعات المخالفة لمنهج الوسطية منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وإذا كان من عادة القرآن في روافد البناء التحذير مما يعوقه، وحمايته مما يهدمه، وصيانته مما يقلل من قيمته فإن معالجة القرآن لما يخرج ذلكم البناء عن حد الاعتدال قد حوت حيزا كبيرا من آياته. ويأتي هذا البحث إسهاما يسيرا من أجل إبراز لمحات موجزة عن منهج القرآن الكريم في بعض الجوانب التربوية والاجتماعية وسبل معالجتها، راجيا من الله العلي القدير العون والتسديد. ولا يفوتني أن أرفع جزيل الشكر إلى صاحب المعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على عنايته بهذه الموضوعات الحيوية، وعلى إتاحتها الفرصة لي للمشاركة بهذا البحث في الندوة

العلمية التي تعقدتها الوزارة عن (أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو).

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى الإشارة إلى إبراز بعض لمحات منهج القرآن الكريم في البناء التربوي الأخلاقي والاجتماعي، والتنويه بالوسائل الكفيلة، بتفعيل التعاليم التربوية ذات الطابع الإصلاحية من خلال القرآن الكريم.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من تمهيد ومقصد وخاتمة، وذلك على النحو التالي: المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع - كما تقدم - وهدفه وخطته. التمهيد: منهج التربية في القرآن الكريم. المقصد: البناء التربوي الأخلاقي والاجتماعي، وفيه مطلبان: المطلب الأول: الجانب التربوي الأخلاقي. المطلب الثاني: الجانب التربوي الاجتماعي. الخاتمة: تتضمن خلاصة البحث وأهم النتائج التي انتهى إليها.

نبذة موجزة عن منهج التربية في القرآن الكريم

التمهيد

التربية في اللغة: إصلاح الشيء والقيام عليه حالاً فحالا إلى حد التمام، ويقال: تربيته وارْتَبَّه، ورباه تربية^(١) وهي في الاصطلاح تؤول إلى هذا المعنى وهو الرعاية والتنمية، إذ التربية وسيلة إصلاحية بناءة.

ولقد حوى القرآن الكريم منهاجا فريدا في إصلاح الأمور والقيام عليها بالرعاية والتنمية، على أحسن وجه وأكمل حالة، فتلك هي التربية الربانية التي من صنع الله الذي أتقن كل شيء، وهو الذي خلق كل شيء، فهو أعلم بما يصلحه، وهو سبحانه أحق من يرعاه، قال الله تعالى: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }^(٢) (سورة الملك: ١٤). ومفردات التربية في القرآن كثيرة جدا، تشكل قاعدة تشمل الإنسان وسائر الكائنات، فصفة الشمول والكمال تحيط بهذه التربية من كل جانب، وفي كل مفردة منظومة عجيبة من الكمال التربوي الذي أودعه الله جل وعلا في كتابه الكريم. فلو نظرنا إلى تربية الإنسان في القرآن الكريم لوجدنا نظاما محكما يبدأ مع الإنسان منذ أول خلقه حتى يلقي الله جل وعلا ويواجه مصيره الذي ينتظره. إن منهج التربية في القرآن الكريم ينبثق من كمال هذا الدين ومعجزة هذا الكتاب المجيد، فتربيته تسع كل المجالات، كما أنها باقية وصالحة لكل عصر وجيل، حيث إن إعجاز القرآن الكريم لا ينحصر في ألفاظه ومبانيه، ولكنه يمتد إلى معانيه ومناهجه الحياتية والحيوية.

(١) انظر مادة (رب) في معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٨١ وبصائر ذوي التمييز ٢ / ٢٩ ومادة (رب) في لسان العرب ١ / ٤٠١.

(٢) سورة الملك آية: ١٤.

الجانب التربوي الأخلاقي

حقيقة التربية الأخلاقية في نظر الإسلام تنشئة الإنسان وتكوينه متكاملًا من الجانب الخلقى، بحيث يصبح مفتاحًا للخير ومغلاقًا للشر في كل الظروف والأحوال^(١). وهي تستهدف ملكة استعداد النفس لتهدئتها وتنمية نزعات الخير لديها، فهي من الأهمية بمكان، لأنها ترجمة عملية للأخلاق النظرية المتمثلة في الإلزام والمسئولية والجزاء ((ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسئولية، وإذا عدت المسئولية فلا يمكن أن تكون العدالة، وحينئذ تنفشى الفوضى ويفسد النظام))^(٢). حقا إن التربية الأخلاقية أحد الدعائم الأساسية في بناء الفرد المسلم، إذ هي عملية تؤدي إلى بناء فكر وفعل أخلاقي بما حوته من وسائل كفيلة يمكن من خلالها تطبيق دستور الأخلاق في القرآن الكريم، وهذه الوسائل تؤول إلى مجموعتين: وسائل دافعة ووسائل مانعة، أما الوسائل الدافعة فهي التي تنمي الاستعداد النفسي لفعل الخيرات مثل القدوة الصالحة والموعظة والصحبة، والمجموعة الثانية هي الوسائل المانعة وهي التي تحول بين المرء ورغبته في سبب الأخلاق، وتعطل إرادته واستعداده من الوقوع فيها ومن بين تلك الوسائل المانعة الاعتبار والترهيب والعقوبة^(٣).

إن التربية الأخلاقية في نظرة الإسلام تتسم بالعمق والشمول، حيث إنها تتناول جميع الجوانب الإيجابية للتربية المتكاملة، من أهمها تكوين البصيرة عند المرء ليميز بين سلوكي الخير والشر وتلقي المبادئ التربوية — افعل ولا تفعل وتطهير النفس من نوازع الشر وتحذير الغير منها، وتحليلها بفضائل الخير، والدلالة إليها^(٤).

والحق أن القرآن العظيم قد زود نظامه الأخلاقي بقاعدة تربوية غاية في الكمال^(٥) وقد انتظم في هذه القاعدة جملة من الوسائل الكفيلة بتفعيل التعاليم الأخلاقية، وإيجاد

(١) انظر دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسلامية ص ٢٢.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن الكريم ص ٢١.

(٣) انظر الأخلاق بين النظرية والتطبيق ص ٧٩.

(٤) انظر دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسلامية ص ٢٩.

(٥) انظر دستور الأخلاق ٦٧٧.

العلاج والحلول المناسبة لكل انحراف أو تسيب في الأخلاق، ومعنى هذا أنها ذات طابع إصلاحي ودعوي، فالحاجة إلى إبرازها وإعمالها ضرورة اجتماعية.

أولا - الوسائل الدافعة:

وهي الوسائل التي تنمي الاستعداد لفعل الخيرات والمداومة عليها والترقي في معارج الفضيلة، ومنها:

الموعظة: وهي التذكير بالخير فيما يرق له القلب ^(١) وتعد الموعظة من أقوى الأساليب وأنفع الوسائل، ولهذا سمي الله القرآن الكريم موعظة كما في قوله تعالى: { يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ } ^(٢)

(سورة يونس: ٥٧) وقد استعمل القرآن الكريم الموعظة في السياق التربوي في كثير من

المناسبات، ويظهر ذلك جليا في مواعظ الحكيم لقمان لابنه: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ

هُوَ يَعْظُمُكَ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلْتُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن

جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا

مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ

إِنهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ

ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا

أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا

ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ

الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ } ^(٣) (سورة لقمان: ١٣ - ١٩).

(١) انظر مادة (وعظ) في العين للخليل ٢ / ٢٢٨ والمفردات للراغب ص ٥٢٧.

(٢) سورة يونس آية: ٥٧.

(٣) سورة لقمان الآيات: ١٣ - ١٩.

والموعظة تأتي في القرآن الكريم صريحة كما في الآيات السابقة، وتأتي من خلال الاعتبار. من سبق، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

((وقوله { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ }^(١) (سورة النساء: ١٧١) وقوله { فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا }^(٢) (سورة الحديد: ٢٧) فإن ذلك متعلق بأهل الكتاب ابتداء، ومراد منه موعظة هذه الأمة لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة وسقوطها))^(٣) وتصديق ذلك في القرآن الكريم حيث يقول الحق تبارك وتعالى: { وَلَقَدْ عَامَتْهُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلُقْنَا لَهُمْ كُنُوزًا فَرَدَّةً خَسِيبًا ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ }^(٤) (سورة البقرة: ٦٥ - ٦٦).

الصحة: لا يخفى ما للصحة من أثر فاعل في اكتساب الأخلاق سلبيًا أو إيجابًا، ومسارقة الطبع تؤدي في ذلك دورا كبيرا، ((إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا))^(٥).

وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم شاهد حي على ما للصحة من أهمية في استمداد القرناء بعضهم من بعض الطاقات الأخلاقية حيث يقول الله تبارك وتعالى: { إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٤﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١٥﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٦﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٧﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿١٨﴾ أَنْ ائْتِنَا بِعِزَّةٍ مِّن رَّبِّكَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ فَانطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٠﴾ أَنْ لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢١﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَدَرِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٣﴾ بَلْ

(١) سورة النساء آية: ١٧١.

(٢) سورة الحديد آية: ٢٧.

(٣) مقاصد الشريعة ص ٢٦٨.

(٤) سورة البقرة الآيات: ٦٥ ، ٦٦.

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٦٠.

خُنْ مَحْرُومُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنْ كُنَّا طَافِينَ ﴿٢١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِمَّا إِنْآ إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۗ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ { (سورة القلم: ١٧ - ٣٣) .

أوسطهم أي: ((أعد لهم قولا وعقلا وخلقا)) (٢) والآية تدل على أن هذا الأوسط حذرهم من الوقوع في المعصية قبل وقوع العذاب فلم يطيعوه، فلما رأوا العذاب ذكرهم ذلك الكلام (٣) { قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١﴾ } (٤)، فكان تذكير أوسطهم أحد أسباب توبتهم، ولو استجابوا له أولا لانتفعوا ببستانهم، بيد أنهم استطاعوا أن يؤثروا عليه، حتى أزرى به بخله فأصابه ما أصابهم.

وقد جاء التنويه بالصحة وما لها من أثر فاعل في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ } (٥) (سورة الفرقان: ٢٧)، وقوله تعالى: { قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ } (سورة الأنعام: ٧١) .

القدوة الحسنة: وهي وسيلة عملية في البناء الخلقي، ((ولن تصلح التربية إلا إذا

(١) سورة القلم الآيات: ١٧ - ٣٣ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥ / ٤٢ .

(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي ٢٩ / ٩٠ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨ / ٢٤٤ .

(٤) سورة القلم آية: ٢٩ .

(٥) سورة الفرقان آية: ٢٧ .

(٦) سورة الأنعام آية: ٧١ .

اعتمدت على الأسوة الحسنة))^(١) والقرآن الكريم حافل بنماذج حية للشخصيات الأخلاقية الكريمة، للترغيب في أخلاقهم، ومحاكاة الحسن منها، قال تعالى: { **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدِ** }^(٢) (الأنعام: ٩٠)، كما حفل بنماذج أخرى ضدها للتنفير من محاكاتها، قال ابن حزم: ((ولهذا يجب أن تؤرخ الفضائل والردائل، لينفر سامعها من القبيح الماثور عن غيره، ويرغب في الحسن المنقول عن تقدمه ويتعظ بما سلف))^(٣).
ومن ثم سيق في القرآن الكريم تجارب الأنبياء الأخيار لينتفع منها النبي محمد ﷺ ((فلما أمر محمد عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بالكل، فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرقا فيهم، ولما كان ذلك درجة عالية لم تيسر لأحد من الأنبياء قبله لا جرم وصف الله خلقه بأنه عظيم))^(٤) وبهذا يتضح مفاد التعبير بحرف الاستعلاء في قوله تعالى { **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** }^(٥) (القلم: ٤) إذ دل على استعلاء الرسول ﷺ على جميع الأخلاق الجميلة وتمكنه منها^(٦) ولا سيما أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وفي الحديث الشريف: { **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** }^(٧) (٧) (٨).

وإذا كانت طريقة القرآن فيما يذكره الله عن أهل العلم والأنبياء والمرسلين على وجه المدح للتأسي^(٩) بهم، فلا جرم أن ما امتدح الله به رسوله ﷺ من عظيم الخلق يقتضي

(١) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي ص ١٦.

(٢) سورة الأنعام آية: ٩٠.

(٣) الأخلاق والسير ١٩٥.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٢٩ / ٨٠.

(٥) سورة القلم آية: ٤.

(٦) انظر المصدر السابق ٢٩ / ٨١ والتحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ٢٩ / ٦٤.

(٧) أحمد (٣٨١/٢).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده ١٤ / ٥١٣ رقم الحديث ٨٩٥٢ وصححه محققوه.

(٩) انظر مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٥ / ٣٣٨.

اتخاذها مثلاً أعلى، ثم إنه قد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: **{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }** ^(١) (الأحزاب: ٢١)، قال ابن حزم: ((من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ وليستعمل أخلاق سيرته ما أمكنه)) ^(٢).

ثانياً - الوسائل المانعة: ((وهي الوسائل التي تحول دون فاعلية الرغبة في الأخلاق السيئة وتعطل الإرادة والاستعداد لفعلها)) ^(٣) فهي طرق وقاية وعلاج لما يطرأ على الأخلاق من عوامل الانحراف والانحلال الخلقي الذي يعتور النفس بسبب الهوى أو الشيطان أو غيرهما. ولا ريب أن تلك الوسائل من الأساليب الناجعة في مجال التربية الأخلاقية، لما لها من سلطة على كبح الجرم الخلقي، وتهذيب السلوك، فإن كان ثمة مكنة من التوبة من قبل الفاعل فذلك مقصد أسمى من مقاصد العقوبة في الإسلام مهما كانت ضخامة الذنب، وإن لم يكن فإن العبرة قائمة لمن بعدها. وإذا كنا بصدد ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو؛ فمن المناسب التنبيه إلى أن معاقبة الغلاة والمبتدعة إحدى وسائل العلاج التي تضمنتها آيات الحدود والقصاص والتعزير، وهي كثيرة جداً، والعقوبة لهذا الصنف من الناس تختلف بحسب نوع الجرم الذي ربما يصل بغلوه إلى حد الكفر، وقد يعاقب بالقصاص حين يقتل مسلماً معصوماً الدم ^(٤) وبهذا يتبين أن الغلو قد يصل إلى درجة الإفساد في الأرض، فحينئذ ينطبق عليه قول الله تعالى: **{ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ**

(١) سورة الأحزاب آية: ٢١.

(٢) الأخلاق والسير ص ١٠٩.

(٣) انظر الأخلاق بين النظرية والتطبيق ص ٨٤.

(٤) مشكلة الغلو في الدين للدكتور عبد الرحمن اللويحي.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ { (١) [سورة المائدة: ٣٣] ويلحظ في هذه الآية أنها تناولت أنواعا من العقوبات، فمنها ما يقع على الجسد، وذلك في أول الآية وهو التقتيل أو الصلب أو التقطيع، ومنها عقوبات نفسية وذلك بالخزي الذي يلحق بهم، ومنها عقوبات اجتماعية تأديبية وذلك بالنفي، ومنها عقوبات أخروية { وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ } (٢)، نسأل الله العافية، ولما كانت العقوبة أحد المقاصد الأخلاقية التي جاء القرآن الكريم ليؤكد عليها ضمن أجزئته الإصلاحية لذلك نجد أن الدعوة إلى التوبة تعقب ذكر تلك العقوبات لتفتح طريقا إلى العودة، وذلك ما نجده عقب هذه الآية وأمثالها، حيث يقول الله تعالى بعد آية الحراة المذكورة آنفا { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ } (٣) [سورة المائدة: ٣٤].

(١) سورة المائدة آية: ٣٣.

(٢) سورة المائدة آية: ٣٣.

(٣) سورة المائدة آية: ٣٤.

الجانب التربوي الاجتماعي

جعل الإسلام رابطة الدين الجامعة المعتمدة، ودعا الناس لاتباعها ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح، فأمر بإقامة الدين كما في قوله تعالى:

{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }^(١) [سورة الشورى ١٣]، وقد أبان الله تبارك وتعالى أن مراده الاجتماع تحت شريعة الإسلام^(٢) إذ يقول تعالى:

{ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }^(٣) [سورة آل عمران: ١٠٣] وحبل الله هو الإسلام^(٤). وكما عني الإسلام بتأسيس هذه الجامعة وتسهيل الدخول إليها وتكثير سواد أتباعها - حاطها بسياح منيع من أن يجد معول الهدم إليها سبيلا، فجعل لها نظاما تضبط تصرفات الناس في معاملاتهم وتدابير تدود عنهم أسباب الاختلال وتقيها من الانحلال^(٥) وذلك ما سنشير إلى شيء من ملامحه - على وجه الإيجاز - فيما يلي:

إرساء قواعد التسامح:

عني القرآن الكريم بموضوع التسامح عناية فائقة، فنوه به ليمثله أهل الإسلام ولينبذوا ما ينافيه، وعده من خصائص دين الإسلام، فقال جل شأنه: { وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }^(٦) [سورة الحج ٧٨]، وقال في صاحب الرسالة وخاتم النبيين ﷺ { وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى }^(٧) [سورة الأعلى ٨]، وقال في أصحابه وأتباعه: { وَأَلْفَ

(١) سورة الشورى آية: ١٣ .

(٢) انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ص ١٧٦ ، ١٧٩ .

(٣) سورة آل عمران آية: ١٠٣ .

(٤) وهو قول ابن زيد ، انظر المحرر الوجيز ٣ / ٢٤٨ والمرجع السابق ص ١٧٩ .

(٥) انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص ١٨٤ .

(٦) سورة الحج آية: ٧٨ .

(٧) سورة الأعلى آية: ٨ .

بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ { (١) [سورة الأنفال ٦٣]. ولذلك اعتبر القرآن المؤمنين إخوة، ووصفهم بهذا الوصف إشاعة لخلق التسامح فيما بينهم، فقال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (٢) [سورة الحجرات ١٠] ((ثم إن وصف الأخوة يستدعي أن تبت بين الموصوفين به خلال الاتحاد والإنصاف والمواساة والمحبة والصلة والنصح وحسن المعاملة فیتقبلها جميع الأمة بالصدر الرحب، سواء في ذلك الشريف والمشروف والقوي والضعيف، فإذا ارتاضت نفوس الأمة على التخلق بالأخوة بينهم سهلت على الشريعة سياستهم، وإنما ترضاض النفوس على الأخوة بتكرير غرسها فيها، وتأكيد الدعوة إليها واجتثاث ما ينافيها)) (٣).

ولم يقتصر القرآن الكريم على إشاعة هذا الخلق فيما بين المسلمين، بل جعله عاما بين الناس جميعا، ((فلذلك يحق لنا أن نقول إن التسامح من خصائص دين الإسلام وهو أشهر مميزاته، وإنه من النعم التي أنعم بها على أصداده وأعدائه، وأدل حجة على رحمة الرسالة الإسلامية المقررة بقوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ } [سورة الأنبياء ١٠٧]) (٤).

وشواهد القرآن الكريم على ذلك كثيرة جدا، منها قوله تعالى { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ } (٦)

(١) سورة الأنفال آية: ٦٣.

(٢) سورة الحجرات آية: ١٠.

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٩٧.

(٤) سورة الأنبياء آية: ١٠٧.

(٥) انظر المرجع السابق ص ١٩٧.

(٦) سورة لقمان آية: ١٥.

[سورة لقمان ١٥]، وقوله سبحانه: { لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ

وَلَمْ تُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (١)

[سورة الممتحنة. ٨]، وقد تمثل هذه الآية الإمام الجليل إسماعيل بن إسحاق القاضي، إذ ((دخل عليه ذمي فأكرمه، فوجد عليه الحاضرون فتلا هذه الآية عليهم)) (٢) وخلق

التسامح أحد الأخلاق التي حرص القرآن الكريم على ترسيخها، فلذلك نجد تقريره في الآيات المكية والمدنية، ومن الآيات المكية قوله تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

عَنِ الْجَاهِلِينَ } (٣) [سورة الأعراف ١٩٩]، وفيها يقول الإمام الكبير جعفر

الصادق: ((أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق

من هذه الآية)) (٤) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهذه الآية فيها جماع الأخلاق

الكريمة، فإن الإنسان مع الناس إما أن يفعلوا معه غير ما يجب أو ما يكره، فأمر أن يأخذ

منهم ما يجب ما سمحوا به، ولا يطالبهم بزيادة، وإذا فعلوا معه. ما يكره أعرض عنهم،

وأما هو فيأمرهم بالمعروف، وهذا باب واسع)) (٥).

ومن الآيات المدنية قوله تعالى: { فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً

تُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^ط وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ^ط وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ

مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ^ط فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (٦) [سورة

المائدة ١٣]. فلا جرم أن التسامح وما يدور في فلكه من الاتحاد والإنصاف والمواساة

(١) سورة الممتحنة آية: ٨.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤ / ١٧٨٦.

(٣) سورة الأعراف آية: ١٩٩.

(٤) معالم التنزيل للبغوي ٣ / ٣١٦.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٠ / ٣٧٠.

(٦) سورة المائدة آية: ١٣.

والحبة والصلة والنصح وحسن المعاملة من الأخلاق الاجتماعية التي تحتاج إلى تربية وتنشئة، ولقد تكفل القرآن الكريم ببيانها بيانا شافيا أوضح الله فيه المحجة للأمة، وجعله نظاما اجتماعيا حضاريا للعالمين.

ترسيخ مفاهيم السلام الاجتماعي: أرسى القرآن الكريم مفاهيم السلام في سور عديدة وآيات كثيرة، حتى أصبح السلام السمة البارزة لهذا الدين ليس في حال السلم فحسب، بل وفي الحرب ومع الأعداء، لأن هذا الدين يحرص على كسب أعدائه ودعوتهم إلى السلم بدلا من محاصمتهم، ولأن دين الإسلام جاء لهداية الناس كافة إلى سبيل الله تعالى، فمقصده التآلف ودفع التنازع ونشر السلام في أرجاء العالم، وذلك ما دلت عليه الآيات الكثيرة التي تضمنت مادة (سلم) وما في معناه من الأمن والإصلاح، قال تعالى:

{ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۗ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ } ^(١) (سورة البقرة: ٢٠٨)، وقال عن منهج هذا القرآن العظيم

ورسوله الكريم ﷺ { يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾ } ^(٢) (سورة المائدة: ١٥ - ١٦)، وقال

جل شأنه في سياق آيات القتال: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ

هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ } ^(٣) (سورة الأنفال: ٦١) ((فأمر الله المسلمين بأن لا يأنفوا من

السلم، وأن يوافقوا من سأله منهم)) ^(٤) لأنه أصل منهج الرسالة الخاتمة.

(١) سورة البقرة آية: ٢٠٨.

(٢) سورة المائدة الآيات: ١٥، ١٦.

(٣) سورة الأنفال آية: ٦١.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٠ / ٥٨.

نبد مظاهر الفرقة والخروج على الجماعة:

عادة القرآن في روافد البناء التحذير مما يهدمه، لذلك جاءت الآيات الكثيرة موجهة إلى لزوم الجماعة وطاعة ولاة الأمر ومشددة النهي عن الاختلاف ومفارقة الجماعة، ومن الآيات الواردة في ذلك قول الله تعالى: { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩ } (١) (سورة النساء: ٥٩) ، وقوله سبحانه: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً ۗ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٣ } (٢) (سورة آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥).

وقوله سبحانه (وَلَا تَفَرَّقُوا) في الآية المذكورة تأكيد لما تضمنه الأمر بالاعتصام، والتذكير بنعمة الله فيها اشتمل على تصوير لحالة الناس التي كانوا عليها قبل الرسالة المحمدية، وفيه تنفير من العودة إلى تلك الحالة الشنيعة بعد أن أفاء الله عليهم بنعمة الإسلام الذي كان سبب نجاحهم من تلك الحالة، وذلك حث على إجابة أمره تعالى إياهم بالاتفاق (٣).

(١) سورة النساء آية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران الآيات: ١٠٣ - ١٠٥.

(٣) انظر المرجع السابق ٤ / ٣٢.

الخاتمة

بعون من الله وتوفيق تم إنجاز هذا البحث المختصر، المتضمن الإشارة إلى إبراز بعض لمحات منهج القرآن الكريم في البناء التربوي الأخلاقي والاجتماعي، والتنويه بالوسائل الكفيلة بتفعيل التعاليم التربوية ذات الطابع الإصلاحية من خلال القرآن الكريم. وقد اشتمل على دراسة موجزة تناولت مفهوم التربية القرآنية، والتربية الأخلاقية التي تهتم بتنشئة الإنسان وتكوينه متكاملًا من الجانب الخلقى، بحيث يصبح مفتاحًا للخير ومغلافاً للشّر في كل الظروف والأحوال، وقد وكد أن التربية الأخلاقية إحدى الدعائم الأساسية في بناء الفرد المسلم، إذ هي عملية تؤدي إلى بناء فكر وفعل أخلاقي بما حوته من وسائل كفيلة يمكن من خلالها تطبيق دستور الأخلاق في القرآن الكريم، وهذه الوسائل تقول إلى مجموعتين: وسائل دافعة ووسائل مانعة، أما الوسائل الدافعة فهي التي تنمي الاستعداد النفسي لفعل الخيرات مثل القدوة الصالحة والموعظة والصحة، والمجموعة الثانية هي الوسائل المانعة وهي التي تحول بين المرء ورغبته في سيئ الأخلاق، وتعطل إرادته واستعداده من الوقوع فيها ومن بين تلك الوسائل المانعة الاعتبار والترهيب والعقوبة، ولقد عني هذا البحث ببيان بعض تلك الوسائل من خلال القرآن الكريم. كما تضمن هذا البحث دراسة عن شيء من لمحات الجانب التربوي الاجتماعي في القرآن الكريم، وتناول بيان بعض تلك الملامح على وجه الإيجاز، ومنها ركيزة التسامح، إحدى خصائص دين الإسلام، وبين أن التسامح وما يدور في فلكه من الاتحاد والإنصاف والمواساة والمحبة والصلة والنصح وحسن المعاملة، من الأخلاق الاجتماعية التي تحتاج إلى تربية وتنشئة، ولقد تكفل القرآن الكريم ببيانها بيانا شافيا أوضح الله فيه المحجة للأمة، وجعله نظاما اجتماعيا حضاريا للعالمين. ومن تلك الركائز ترسيخ مفاهيم السلام الاجتماعي وهو السمة البارزة لهذا الدين، ومنها نبذ مظاهر الفرقة والخروج على الجماعة، فكل ذلك مما جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد في الجانب التربوي الاجتماعي. ومن ثم انتهى البحث إلى جملة من النتائج، ومن أهمها ما يلي:

- * القرآن الكريم يحوي منهجا تربويا كاملا صالحا لكل عصر وجيل، ومنهج التربية القرآنية هو أكمل المناهج وأصلحها للبشرية ولا توازن تربيته بغيره من التربيّات.
- * أن علاج الانحرافات البشرية يكمن في منهج القرآن الكريم وحده، وما عداه من المناهج البشرية مهما بلغت من العمق والإبداع، فستظل عاجزة عن معالجة يصدق عليها وصف الكمال، لأن ذلك ليس إلا لله سبحانه خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم.
- * دراسة القيم التربوية في القرآن الكريم، وإبراز منهج الوسطية فيه، بحاجة إلى بحوث كثيرة جدا في جميع مجالات الحياة.
- * أن القرآن العظيم قد زود نظامه الأخلاقي بقاعدة تربوية غاية في الكمال، وقد انتظم في هذه القاعدة جملة من الوسائل الكفيلة بتفعيل التعاليم الأخلاقية، وإيجاد العلاج والحلول المناسبة لكل انحراف أو تسيب في الأخلاق، ومعنى هذا أنها ذات طابع إصلاحي ودعوي، فالحاجة إلى إبرازها وإعمالها ضرورة اجتماعية.
- * العقوبة أحد المقاصد التي جاء القرآن الكريم ليؤكد عليها ضمن أجزيته الإصلاحية، لذلك نجد أن الدعوة إلى التوبة تعقب ذكر تلك العقوبات لتفتح طريقا إلى العودة.
- * أن معاقبة الغلاة والمبتدعة، إحدى وسائل العلاج التي تضمنتها آيات الحدود والقصاص والتعزير. وبعد، فما كان في هذا البحث من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ أو خلل فأستغفر الله.

مراجع البحث

- * أحكام القرآن، ابن العربي، محمد بن عبد الله، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة.
- * إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد، دار المعرفة.
- * الأخلاق بين النظرية والتطبيق، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، القاهرة، كلية دار العلوم، ١٤١٧ هـ.
- * الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ابن حزم، علي بن أحمد، تحقيق د. الطاهر أحمد مكّي، مصر، دار المعارف، ١٩٨١ م.
- * أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، عناية محمد الطاهر المساوي، الأردن، دار النفائس، ١٤٢١ هـ.
- * بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق الأستاذ محمد النجار، بيروت، المكتبة العلمية، تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤ م.
- * الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- * خلق المسلم، محمد الغزالي، دمشق، دار القلم، الطبعة (٣) ١٤٠٣ هـ.
- * دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، تعريب د. عبد الصبور شاهين، بيروت، الطبعة (٦) مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ.
- * دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، د. مقداد يالجن، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٣ هـ.
- * العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨ هـ.
- * لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر.
- * مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،

- مكة المكرمة، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، ١٤٠٤ هـ.
- * المحرر الوجيز، ابن عطية، عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله الأنصاري وزملائه، الدوحة ١٣٩٨ هـ. المسند، أحمد بن حنبل، محقق بإشراف د. عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ
- * مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، د. عبد الرحمن بن معلا اللويح، ١٤١٩ هـ.
- * معالم التتزيل، البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق محمد النمر وزملائه، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٩ هـ.
- * معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الخانجي، الطبعة (٣) ١٤٠٢ هـ.
- * مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، محمد ضياء الدين عمر، دار الفكر، الطبعة (٣) ١٤٠٥ هـ.
- * المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.
- * مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، عناية محمد الطاهر الميساوي، الأردن، دار النفائس، ١٤٢١ هـ.

المحور الرابع

استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو

أثر معلم القرآن في تربية طلابه على الاعتدال

للدكتور

عبد الله بن علي بصفر

أثر معلم القرآن في تربية طلابه على الاعتدال

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد من الله علينا سبحانه وأكرمنا بأن جعلنا مسلمين، وأكرمنا بالهداية إلى منهاجه المستقيم، ووعد من تمسك به منا بالفوز والفلاح دنيا وأخرى. قال سبحانه: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٧﴾ } (المائدة: ١٥ - ١٦). وقد جعل الله ﷺ هذه الأمة خير الأمم، وآتاها من المناهج والشرائع خيرها وأبقاها، فكانت هي الأمة الوسط من بين الأمم. قال سبحانه: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة: ١٤٣).

وجاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ تأمرنا بالاستقامة على هذا المنهج الوسط، والذي لا انحراف فيه ولا شطط، وتنهانا عن الجنوح عنه، أو الميل عنه لسواه، سواء كان ذلك بغلو أو جفاء. وفي عصرنا الحاضر فشت ظاهرة الغلو في الدين، والفهم السقيم لنصوصه وتعاليمه، وتطايير شرر ذلك، واستفحل خطره وضرره؛ فكان لزاما على رجالات الأمة كلهم؛ علماء ودعاة، ومفكرين وأدباء، وأئمة وخطباء. وغيرهم؛ كان لزاما على الجميع أن يتكاتفوا، لدراسة هذه الظاهرة، ومعرفة أسبابها ودوافعها؛ ثم المشاركة في علاجها وقلع جذورها من بيننا.

وقد دعيت للمشاركة في ندوة بعنوان (أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع

(١) سورة المائدة الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة البقرة آية: ١٤٣.

الغلو)، وكان الفرع الذي طلب مني الكتابة فيه هو: (أثر معلم القرآن في تربية طلابه على الاعتدال)، ولم يكن بد من الاستجابة لذلك على الرغم من كثرة الأشغال، وضيق الوقت؟ فكانت هذه الأوراق، التي أسأل الله أن ينفع بها، وأن تكون فاتحة الباب لدراسات أشمل وأعمق في الموضوع ذاته. والحمد لله أولاً وآخراً.

أثر معلم القرآن في تربية طلابه على الاعتدال

إن للمعلم عموماً، ومعلم القرآن خصوصاً؛ الأثر البالغ في توجيه طلابه، والتأثير عليهم سلبياً كان أو إيجاباً، فالطالب إذا أحب معلمه جعله قدوته الحية، ومثله الأعلى، وقلده في كل ما يأتي ويذر من الأقوال والأفعال، بل: والأفكار والاعتقادات... وهذا واقع ملموس مشاهد بما يعني عن إيراد أمثلة وشواهد عليه، ولذا أدخل مباشرة في موضوع بحثنا وهو: (أثر معلم القرآن في تربية طلابه على الاعتدال) فأقول:

أولاً: المعلم القدوة

من البدهيات المعروفة للجميع، أن: (فاقد الشيء لا يعطيه)، وأن: (كل إناء بما فيه ينضح)، فإذا أردنا من المعلم أن يربي طلابه على الاعتدال فكراً وسلوكاً، فلا بد أن يكون المعلم نفسه كذلك؛ وأن يكون هو نفسه قدوة لطلابيه، ومثلاً حياً لمظاهر الوسطية والاعتدال في دينه ودنياه. ومما يدل على أهمية كون المعلم قدوة ما يأتي:

(١) أن المثال الحي، والقدوة الحسنة، يثيران في نفس الطالب قدراً كبيراً من الإعجاب والاستحسان والتقدير والمحبة، فيميل إلى الخير، ويتطلع لمراتب الكمال، ويسعى لتقليد ذلك المثال، والعمل بمثل عمله ليرتقي في درجات الكمال.

(٢) أن القدوة الحية، المتصفة بالوسطية والاعتدال؛ تعطي الطلاب قناعة بأن التوسط والاعتدال، وعدم الغلو والإفراط، أو الجفاء والتفريط؛ كل ذلك من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى وأبلغ من شاهد المقال.

(٣) أن الطلاب بالنسبة لمعلمهم؛ بل: والمدعويين بالنسبة للداعية، والمرعوسين بالنسبة لرئيسهم، كل أولئك ينظرون إلى معلمهم أو رئيسهم أو الداعية فيهم نظرة دقيقة

متفحصة، هي أشبه بالرقابة المجهرية، وهم في ذلك يجعلونه محلا للاتباع والاحتجاج في جليل أمره وحقيقه، مما يحتم عليه أن يكون - ولو في الظاهر - قدوة حسنة، ومثالا للكمال والوسطية والاعتدال.

(٤) أن مستويات الفهم للكلام عند الناس متفاوتة، ولكنهم يستوون أمام الرؤية بالعين المجردة، فإيصال المعلومة عن طريق الفعل أبلغ بكثير، وأقوى في التأثير من مجرد القول.. ومما يدل على ذلك ما أورده البخاري في صحيحه باب: الاقتداء بأفعال النبي ﷺ، ثم ساق الحديث: { **أَتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ،** فقال النبي ﷺ **إِنِّي أَتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ وَقَالَ: (إِنِّي لَنْ أَلْبَسُهُ أَبَدًا)، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ** } (١).

قال ابن بطال: (فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول) (٢). وتأمل ما حصل في غزوة الحديبية عندما كان النبي ﷺ وأصحابه محرمين بالعمرة، وردهم المشركون عن البيت، وأمر النبي ﷺ أصحابه بالتحلل من عمرتهم، وتأخر الصحابة في تنفيذ الأمر رجاء أن يؤذن لهم في القتال، وينصروا على المشركين، ومن ثم يكملوا عمرتهم. فدخل النبي ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها، وعليه أمارات الحزن والغضب، بسبب تأخر الصحابة عن الاستجابة لأمره، فأشارت عليه أم سلمة رضي الله عنها بقولها: اخرج إليهم، واذبح واحلق. وما أن فعل الرسول ﷺ ذلك ورآه الصحابة؛ إلا وتتابعوا مسرعين في تنفيذ أمره، والاقتداء بفعله. فهذا المثال وغيره كثير في السنة يدل على أهمية القدوة الحسنة، وكيف أن لها أعظم الأثر في الاستقامة وسلوك طريق الجادة.

(٥) أنه ورد في الحديث بيان العقوبة الشديدة التي تلحق من يأمر الناس بالخير وينسى

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٦٨)، مسلم اللباس والزينة (٢٠٩١)، الترمذي اللباس (١٧٤١)،

النسائي الزينة (٥٢٩٠)، أحمد (١١٩/٢)، مالك الجامع (١٧٤٣).

(٢) البخاري مع الفتح (١٣ / ٢٧٤، ٢٧٥).

نفسه؛ ففي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: (. { أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا حبريل! من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به } (١) (٢). وهذا مما يدل على خطورة القدوة وعظيم أثرها، فإن انحراف الداعية والمعلم وغيرهما - من الذين هم موضع قدوة - سبب في انحراف كل من تأثروا بهم، أو سمعوا منهم، وتلقوا عنهم.

(٦) أن جميع الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه، كانوا قدوة حسنة لأقوامهم، ولهذا قال شعيب رضي الله عنه لقومه: { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (٣) (هود: ٨٨). ولأجل هذا الذي تقدم وغيره، ينبغي على المعلم - إن أراد أن يؤثر في طلابه حقاً أن يكون هو نفسه قدوة حية لهم في الوسطية والاعتدال، والرحمة واللين، والحكمة وجمال الأخلاق والطباع.

ثانياً: التوجيه المباشر وغير مباشر

(١) التوجيه المباشر: وهو ما يقوم به المعلم من النصيحة المباشرة لطلابه، وشرح وسطية هذا الدين لهم، وتحذيرهم من الغلو أو الإجحاف... ووعظهم بسلوك الطريق المستقيم... إلخ. وهنا ينبغي على المعلم أن يستغل المناسبات والفرص، ويوجه طلابه من خلالها ففي أثناء التسميع مثلاً؛ أو تصحيح مقرر الحفظ أو المراجعة.. وكما مر الطالب على آية من الآيات التي تدعو للوسطية والاعتدال، وتنهى عن الجنوح والغلو - وما أكثرها -؛ فإن على المعلم أن يستغل ذلك الموقف، ببيان معنى الآية، والانطلاق من خلالها

(١) أحمد (١٨٠/٣).

(٢) رواه البيهقي عن أنس مرفوعاً، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) (١٢٨).

(٣) سورة هود آية: ٨٨.

لعرض سماحة الإسلام، ووسطيته، وكمال منهجه وتمامه، ورحمته بالناس وحرصه عليهم.... إلخ .

ومن أمثلة تلك الآيات: قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }^(١) (البقرة: ١٤٣). وقوله تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }^(٢) (الأنعام: ١٥٣). وقوله سبحانه: { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي }^(٣) (طه: ٨١). وقوله سبحانه: { يَتَأَهَّلَ الْكُتَّابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ }^(٤) (النساء: ١٧١). وقوله سبحانه: { قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكُتَّابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ }^(٥) (المائدة: ٧٧). وقوله تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }^(٦) (البقرة: ١٨٥). وقوله تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا }^(٧) (النساء: ٢٨). وقوله تعالى: { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ }^(٨) (الحج: ٧٨). إلى غير ذلك من الآيات.

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

(٣) سورة طه آية: ٨١.

(٤) سورة النساء آية: ١٧١.

(٥) سورة المائدة آية: ٧٧.

(٦) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٧) سورة النساء آية: ٢٨.

(٨) سورة الحج آية: ٧٨.

(٢) التوجيه غير المباشر: ويكون بوسائل وأساليب يصعب حصرها؛ فليس هو الخطاب المباشر للطالب من أستاذه ومعلمه؛ سواء بوعظ أو نصيحة أو تعليم، لا؛ وإنما هو أسلوب مختلف تماما: فقد يكون عن طريق الصحبة والمخالطة، وقد يكون عن طريق قصة تذكر فيها إشارة لموضع الخلل وعلاج له، وقد تكون عن طريق التعريض والتلميح من بعيد: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)، وقد يكون بالكناية أو المداراة أو غيرها من أساليب لا حصر لها. والتوجيه غير المباشر أبلغ بكثير جدا من التوجيه المباشر، إذا أحسن استغلاله وتطبيقه؛ وسبب ذلك: أن الطالب يشعر أنه اكتسب هذه المعلومة أو هذه الخبرات أو المعارف باستقلالية تامة، من غير إلزام من أحد أو إكراه، إنه يشعر بحريته التامة في التعلم والاكتشاف؛ فلا يشعر باستعلاء من أحد بفضل علم أو تقدم خبرة عليه. فالتوجيه غير المباشر يتخطى ويتفادى التصادم مع كثير من العقبات النفسية المختلفة، وذلك أن إحساس النفس بالاستقلالية والاستعلاء، لا تسمح في كثير من الأحيان بقبول توجيه مباشر آت من الآخرين. ولنأخذ أمثلة لذلك من العهد النبوي، فقد كان النبي ﷺ كثيرا ما يعالج بعض الأخطاء عن طريق التعريض دون التصريح بفاعل الخطأ، أو النصح المباشر له.. فمثلا: عندما جاء نفر الثلاثة وسألوا عن عبادة النبي ﷺ فكأنهم تقالوها، وقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل ولا أنام، وقال الآخر: لا أتزوج النساء، وقال الثالث: أصوم ولا أفطر، أو: لا أكل اللحم. وعلم النبي ﷺ بمقاتلهم، فقام ﷺ وخطب الناس وقال: { ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أما إني أتقاكم لله وأخشاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني } (١) (٢).

فانظر كيف عالج النبي صلى الله عليه وسلم؛ المعلم الأول هذا الجنوح إلى الغلو، بذلك الأسلوب الحكيم، والتوجيه غير المباشر، وفيه من الفوائد إضافة إلى ما تقدم ذكره: أنه

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦)، مسلم النكاح (١٤٠١)، النسائي النكاح (٣٢١٧)، أحمد (٢٤١/٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح.

علاج ليس لأولئك النفر الثلاثة فحسب، وإنما علاج لظاهرة الغلو التي قد تكون موجودة عند آخرين، لكنهم لم يأتوا لبيت النبوة، ولم يتحدثوا بما في نفوسهم كما فعل أولئك النفر الثلاثة؛ فكون التوجيه جاء عاما، وعلى الملاء، وتوجيه غير مباشر دون تعرض للأشخاص؛ كل ذلك جعله من أبلغ وسائل العلاج وأفضله، وأعلاه وأتمه.

ومن أمثلة ذلك: وصاله - ﷺ الصيام في رمضان، ولشدة محبة أصحابه له وتأسيسهم بفعله، واصل بعضهم الصيام كذلك. فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: { ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي. أما والله! لو تمالى الشهر لواصلته وصلا يدع المتعمقون تعمقهم } (١) (٢). ومن أمثلة ذلك أيضا: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: رخص رسول الله ﷺ في أمر فتره عنه ناس من الناس. فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب، حتى بان الغضب في وجهه ثم قال: { ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه؛ فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية } (٣) (٤). والأمثلة من السنة غير هذا كثيرة جدا، وفيما ذكرناه كفاية لكل عاقل لبيب أريب.

ثالثا: اليقظة والمتابعة

فالمعلم يجلس مع طلابه لفترات ليست قليلة كل يوم، لا سيما في المراكز الصباحية لتحفيظ القرآن، والتي قد تصل ساعات جلوس المعلم فيها مع طلابه إلى ٦ أو ٧ ساعات، وهنا يجب على المعلم أن يكون ملما بأحوال طلابه، عارفا لطباعهم وسلوكياتهم، مراقبا لما يصدر منهم من أقوال وأفعال؛ يقظا لكل ما قد يطرأ عليهم من تغيرات سواء في أقوالهم أو أفعالهم أو سلوكياتهم. فالغلو أو التفريط لا يحصل للطالب فجأة، وإنما يتدرج معه بسبب

(١) مسلم الصيام (١١٠٤)، أحمد (١٩٣/٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصوم، باب النهي عن الوصال في الصوم (٢ / ٧٧٥).

(٣) البخاري الأدب (٥٧٥٠)، مسلم الفضائل (٢٣٥٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته (٤ / ١٨٢٩).

مفاهيم خاطئة ترد على ذلك الطالب تبعاً؛ فعلى المعلم أن يتابع طلابه ويراقبهم.. وعندما يرى أي جنوح عن الوسطية والاعتدال، سواء إلى الغلو والإفراط أو حتى إلى الجفاء والتفريط.. فعندها عليه أن يبادر بالعلاج المناسب.. سواء بتوجيه غير مباشر كما تقدم، أو بالنصح والتوجيه المباشر، وبيان الخطأ وعلاجه.. أو حتى بعزل ذلك الطالب عن بقية زملائه في حال تعذر العلاج، وكونه مؤثراً على باقي زملائه.

رابعا: صفات ينبغي للمعلم أن يتصف بها

وهذه الصفات لا بد من التحلي والاتصاف بها، من قبل المعلم؛ إذا أراد أن يكون له تأثير على طلابه في تربيتهم على الوسطية والاعتدال؛ وكذا علاجه لأي جنوح إلى الغلو أو التفريط من قبلهم. وبقدر اتصافه بتلك الصفات، أو إهماله لذلك، يكون نجاحه أو إخفاقه في مهمته، وأهم هذه الصفات هي:

(١) الإخلاص لله تعالى: فالإخلاص هو رأس الأمر وعموده وأساسه، وهو روح الأعمال، وسر قبولها، وبه يكون عون الله وتوفيقه للعبد، وقد قال الله ﷻ { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } (١) (المائدة: ٢٧). وقال سبحانه: { وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (٢) (البينة: ٥). وقد جرت عادة الله التي لا تبدل، وسنته التي لا تحول، أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويلبس المرئي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة، وللآخر المقت والبغضاء (٣).

(١) سورة المائدة آية: ٢٧.

(٢) سورة البينة آية: ٥.

(٣) إعلام الموقعين (٤ / ٢٠٠).

(٢) الصبر وسعة الصدر: وذلك يحتاجه كل مسلم في علاقاته مع الناس كل الناس؛ لكن حاجة المعلم الذي يريد تربية طلابه على الاعتدال، وعلاج الغلو فيهم، حاجته إليه أكد وأشد. وذلك أن تغيير الأفكار أصعب من نحت الأحجار، وهذا واقع ملموس ومشاهد، فعلى من يعالج أي انحراف أن يصبر على المُعالج؛ وما قد يصدر عنه من اجتهادات غريبة، وآراء عجيبة؛ ربما يستاء من مجرد سماعها؛ فعليه أن يصبر، ويتمالك نفسه، ويوسع صدره، ثم يفند تلك الآراء والاجتهادات بالحجج الدامغة، والأدلة القاطعة، في هدوء لا انفعال فيه، وسكينة لا حدة معها ولا غضب. ثم إنه من الممكن أن يمتد لسان ذلك الغالي المنحرف بالسوء - حتى على معلمه وأستاذه -، فعندها يتأكد الصبر، حتى لا يضيع علاجه سدى؛ فينبغي للمعلم أن يصبر ولا يقابل الإساءة بمثلها، لأنه إنما يعمل للعلاج وإزالة الداء، لا للصراع والهجاء.

قال تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٤﴾ } (١) (فصلت ٣٤، ٣٥). وقال سبحانه على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: { يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلٰى مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ } (٢) (لقمان ١٧).

(٣) الرفق والحلم والأناة: قال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ } (٣) (آل عمران: ١٥٩). وقال ﷺ

(١) سورة فصلت الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة لقمان آية: ١٧.

(٣) سورة آل عمران آية: ١٥٩.

{ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ** } (١) (٢) وقال أنه أيضا: { **إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ** } (٣) (٤). وقال ﷺ { **مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ** } (٥) (٦) فعلى المعلم أن يتحلى بالرفق والأناة والحلم، فلا يعنف ما وجد للرفق سبيلا؛ وذلك أن من ابتلي بانحراف؛ غلو أو غيره من الأمراض الفكرية، إنما هم جزء من مجتمعنا، وعلى المعلم أن يأخذ بأيديهم بكل رفق وحلم، وأناة ولين. وليتأمل قوله سبحانه لموسى وهارون: { **أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾** } (٧) (طه ٤٣، ٤٤).

ولئن كان مثل ذلك في حق الطاغية الكافر، الذي ادعى لنفسه الربوبية والإلهية من دون الله؛ فلأن يكون الحلم والخطاب اللين مع إخواننا من باب أولى، وهذا هو منهج النبي ﷺ وتلك هي طريقته في دعوته وعلاجه للمشكلات، وتقويمه لكل انحراف أو اعوجاج.

(٤) **التعامل بروح الأبوة والأخوة:** وينبغي للمعلم كذلك أن يتصف في علاجه لظاهرة الغلو خصوصا، وتعامله مع طلابه عموما، بروح الأبوة المشفقة، والأخوة الحانية، إذ ظاهرة الغلو غالبا ما تستشري بين الشباب خاصة، وهم يتسمون بالحماسة والاندفاع. فعلى من يتصدى لعلاجهم وتوجيههم أن يكون رقيقا في معاملته، لطيفا في أسلوبه

(١) البخاري الأدب (٥٦٧٨) ، مسلم السلام (٢١٦٥) ، أحمد (١٩٩/٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٩٤).

(٢) رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥).

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٠٨) ، أحمد (٢٢٢/٦).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩٢) ، أبو داود الأدب (٤٨٠٩) ، ابن ماجه الأدب (٣٦٨٧) ، أحمد

(٣٦٦/٤).

(٦) رواه مسلم (٢٥٩٢).

(٧) سورة طه الآيتان : ٤٣ ، ٤٤.

وكلامه، فلا يعنف، ولا يتهكم، ولا يسخر، ولا يسفه، بل يوضح الحقائق، ويزيل اللبس، ويجيب عن الشبهة والإشكال، على ذلك بالحسنى؛ بل: بالتي هي أحسن. فلا يهجم هجوم عدو، ولا يطعن طعنات مبغض، بل يسعى سعي الوالد المحب والأخ الشفيق؛ لإنقاذ ابنه أو أخيه من الغرق.

(٥) المعاشية للأحداث، وفقه الواقع: وعلى المعلم إن أراد أن يكون ذا تأثير إيجابي على طلابه؛ أن يكون فقيها بواقعه، مدركا لأحداثه الجارية ووقائعه، متحركا مع الناس في الميدان، مخالطا للشباب ومحتكا بهم؛ عارفا بآمالهم وآلامهم، مشاهدا لأفعالهم وتصرفاتهم. فإنه من خلال ذلك الاحتكاك وتلك المعاشية؛ يدرك المحاسن والفضائل فيزيدها وينميها، ويشجع أصحابها، ويدرك الأخطاء والسلبيات، فيصلحها ويقومها، ويوجه أصحابها وينصحهم بتركها. فلا يكفي أن يتعرف المعلم على المشكلة من الصحف أو المجلات، أو الإذاعة أو التلفاز، أو غير ذلك من وسائل الإعلام؛ أو حتى سماعها من فلان وفلان من الناس، ثم يقوم بإسقاط ما سمعه على طلابه، ومعاملتهم بحسبه؛ إن هذا خطأ فاحش في معالجة الأمور. بل لا يكفي أن يراقب مشكلة ما ظهرت له عن بعد، لا؛ بل لا بد من معاشية أصحاب المشكلة، والاحتكاك بهم، ومن ثم معرفة حقيقة ما هم عليه من أخطاء، وما استحدثوه من سلبيات، ثم علاجها بالطريق الأمثل.

(٦) الإنصاف والعدل: قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ ۚ إِن تَعَدِلُوا وَإِن تَلُودُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ ﴾ (النساء: ١٣٥). وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّتْكُمْ بِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۗ ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

(١) سورة النساء آية: ١٣٥.

(٢) سورة الأنعام آية: ١٥٢.

فعلى المعلم أن يكون عادلا فيما يقرره ويحكم به. أما إن لم يكن المعلم عادلا ومنصفا، وتحامل على طرف دون طرف، ومال مع المائلين، وتأثر بسلطان الترغيب أو التهيب؛ فعندها: لن يجدي علاجه، ولن يكون له أي تأثير على من انحرف أو جنح إلى الغلو. وقد قال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ اِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (١) (المائدة: ٨).

(٧) أن يكون محلا للثقة: وعلى المعلم أن يكون محل ثقة طلابه، واطمئنانهم إليه؛ وإذا لم تتوافر الثقة في المتصدي للعلاج فلن يصغي إليه أحد، ولن يجدي كلامه، ولن يكون له أي تأثير يذكر على طلابه.

ومن أهم الأمور التي تستدعي الثقة فيه ما يلي:

- أن يكون سليم العقيدة نقياً من البدع والخرافات.
- أن يكون حسن الخلق، متواضعا لطلابيه.
- أن يكون قوي الشخصية؛ لا تقعه رهبة، ولا تغريه رغبة.
- أن يكون قدوة حسنة في بيته وعمله وشأنه كله؛ عاملا بما يدعو إليه.
- أن يكون عالما حسن الفهم ورعا تقيا. وعندما يستجمع المعلم دواعي الثقة، ينشأ عند طلابه الاطمئنان إليه، وإلى ما يقوله ويدعو إليه، فيتأثرون حينئذ به، ويستجيبون لما يدعوهم إليه بقوله أو بفعله.

خامسا: أمور أخرى تعين المعلم في تربية طلابه على الاعتدال

وثمة أمور أخرى ينبغي على المعلم مراعاتها، إن أراد أن يكون له الأثر البالغ في تربية طلابه على الوسطية والاعتدال، وعلاج ما قد يطرأ عليهم من غلو أو إجحاف.

ومن هذه الأمور:

- التدرج في العلاج، وتقديم الحلول والبدائل، وإزالة الشبهات.
- بيان محاذير وعيوب الغلو، ومنها: التقصير في حقوق أخرى، وأن الفطرة البشرية لا تطيق الاستمرار على هذا الغلو. - الدعوة للاتعاض بمن سبق من الأمم.
- الزجر عن سبيل الغلو والبراءة منه: { فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }^(١).
- تصحيح المفاهيم، وبيان السبيل القويم، والصراط المستقيم؛ فالخشية والتقوى تحصل بالتوازن، لا بالمبالغة في أمر وإهمال أمور. هذا ما يسر الله لي، والله أسأله أن يرزقني وكل مسلم الإخلاص والمتابعة في كل أمورنا؛ وأن نكون من أهل الوسطية والاعتدال.. آمين.

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦)، مسلم النكاح (١٤٠١)، النسائي النكاح (٣٢١٧)، أحمد (٢٨٥/٣).

المحور الرابع

استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو

مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية

للدكتور

أحمد بن موسى السهلي

مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن خلق الإنسان في أحسن تقويم، وزينه بحلية التكريم وميزه بالعقل، فتأهل لحمل الأمانة، واضطلع بالأعباء التكليفية، لأنها علة خلقه على ظهر الأرض، ليعبد الله وحده ويقوم بأمره، فسبحانه تقدست أسماؤه أنقذ البشرية من دركات الشقاء، وأوحى إلى عبده ما أوحى، أنزل عليه الفرقان فيه تبيان كل شيء، فهو منهج ينتظم شؤون الحياة، وله الحكمة البالغة، وهو أهل الثناء الحسن. وصلاة وسلاما على من حلى التزويل جيده، بعقد المدح في قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }^(١) وتحدث هو عن رسالته فقال: { إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ }^(٢) ^(٣) فهو الرحمة المهداة، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الأطهار، وصحابته الغر الميامين الأبرار، ومن اقتفى أثرهم بإحسان ما ارتفع إلى السماء أذان، وما لهج بكلمة التوحيد مسلم.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم إن هذه العجالة تجري في ميدان الوسطية في الإسلام، وتميط اللثام عن أثر مؤسسات تعليم القرآن في نشر الوسطية. كما اقتضى المقام افتتاحها بتبيان معنى الوسطية، ومدلولات أضدادها، ولحمة عجلى عن الغلو، متوخيا طريقة الإيجاز، متنكبا عن منهج الإطناب، وإلى المولى سبحانه أضرع أن يهدينا لأقوم سبيل.

هذا وإن من تمام الإفادة أن نقدم بين يدي ذلك خطة موجزة للبحث وتشتمل على

فصلين:

(١) سورة القلم آية: ٤ .

(٢) أحمد (٣٨١/٢).

(٣) صحيح الجامع الصغير رقم (٢٣٤٩) ، والصحيحة (٤٠).

فصل تمهيدي ويشتمل على ما يلي:

* بين يدي البحث.

* التعريف بالقرآن.

* الحياة مع القرآن.

* من مقاصد القرآن.

الفصل الثاني: موضوع البحث

الفرع الرابع: (مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية) منبثق من المحور الرابع (استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو).

* أهمية البحث.

* أهل القرآن وصفاتهم.

* أهداف البحث.

* وقفة مع عنوان البحث.

* الواقع يتحدث.

* المدلول اللغوي والشرعي للوسطية.

* مؤسسات تعليم القرآن وأثرها في نشر الوسطية.

* الإسلام وسط بين جميع الملل.

* تفاقم ظاهرة الغلو في الدين في عصرنا الحاضر.

* من مظاهر الغلو والتكفير.

* نتائج التكفير.

* لمحة عن علاج الغلو.

* الالتزام بمذهب السلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي البحث

التعريف بالقرآن

* القرآن هو كلام الله تعالى تكلم به حقيقة بحروفه ومعانيه، منزل غير مخلوق، سمعه جبريل من رب العزة والجلال، وسمعه الرسول ﷺ من جبريل عليه السلام، وسمعه الصحابة من رسول الله ﷺ.

* القرآن كتاب هذا الدين الخالد الدين الإسلامي - الدين الحق الذي ارتضاه الله ولا يقبل غيره: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }^(١) [آل عمران ١٩]: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }^(٢) [آل عمران ٨٥].

* القرآن هو روح هذا الدين وباعثه وحارسه وراعيه، هو بيانه وترجمانه، هو دستوره ومنهجه، هو المرجع للأمة الإسلامية أولاً وآخرًا.

* القرآن يستمد المسلم منه التوجيه في هذه الحياة.

* القرآن هو زاد المسلم في هذه الحياة وهو حياة الإنسان.

* القرآن هو النور الذي يضيء للمسلم ويبين له كيف يسير في الحياة الدنيـا:

{ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ

لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا } كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }^(٣) [الأنعام: ١٢٢].

{ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ }^(٤) [النور: ٤٠].

* القرآن برهان ونور ونبراس ودستور ومنهج حياة: { يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءُكُمْ بُرْهَانٌ

(١) سورة آل عمران آية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران آية: ٨٥.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٢٢.

(٤) سورة النور آية: ٤٠.

مِن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ { (١) [النساء: ١٧٤].

* القرآن نزل ليكون بصائر تهدي، ورحمة تفيض لمن آمن به: { هَذَا بَصَائِرُ مِنْ

رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ { (٢) [الأعراف: ٢٠٣] القرآن نزل شفاء

ورحمة للمؤمنين: { وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ { (٣) [الإسراء: ٨٢].

* القرآن كتاب هداية وبشارة: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ { (٤) [الإسراء: ٩].

* القرآن روح من أمر الله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ

تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ

لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ { (٥) [الشورى: ٥٢].

(١) سورة النساء آية: ١٧٤.

(٢) سورة الأعراف آية: ٢٠٣.

(٣) سورة الإسراء آية: ٨٢.

(٤) سورة الإسراء آية: ٩.

(٥) سورة الشورى آية: ٥٢.

الحياة مع القرآن

* الحياة مع القرآن، هي حياة مع الله سبحانه وتعالى يناجي القارئ ربه جل جلاله ويردد كلامه وهو لا يخلق على كثرة الرد ويتدبر يقوى الإيمان ويزداد ويفتح الله للمتدبر آفاقا رحبة ورؤية صادقة في التعامل مع الكون والحياة وخالفهما. الحياة مع القرآن حياة راقية، ومعية خاصة: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } (١) [النحل: ١٢٨].

* الحياة مع القرآن نعمة من أعظم النعم، ينعم بها الله جل جلاله على عبد من عباده - لا يعرف هذه النعمة حق المعرفة إلا من ذاقها.

* الحياة مع القرآن هي السعادة المنشودة والكثر المفقود والفيض الإلهي الغامر، والسكينة والطمأنينة: { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (٢) [الرعد: ٢٨].

* تلاوة القرآن وتدبره ومصاحبته تري العبد حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية في آن واحد: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } (٣)، { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَتُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ } (٤) الحياة مع القرآن تعرف من خلالها قيمة الإنسان وتكريم الله له وأنه مخلوق مهم في هذا الوجود، كيف خلقه؟ ولماذا خلقه؟ وما هي مهمته على الأرض؟ ولماذا كرمه؟

* الحياة مع القرآن تصل المؤمن بنسبه العريق ورابطته الإيمانية بذلك الموكب الإيمانى الفريد، أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

(١) سورة النحل آية: ١٢٨.

(٢) سورة الرعد آية: ٢٨.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٨.

(٤) سورة الزمر آية: ٣٦.

وموسى وعيسى ومحمد ﷺ.

* الحياة مع القرآن حياة مع الكون كله، حياة مع النفس الإنسانية ومسارها وأدغالها، كنودها وضعفها وعجلتها ونسيانها وجحودها وجزعها: { سُنِّيهِمْ ءَأَيَّتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ } (١) [فصلت: ٥٣].

* الحياة مع القرآن حياة مع الإيمان، مع العلم تعلمك أن لكل شيء حكمة، وقد تنكشف لك وقد تغيب عنك ولكل شيء قدر: { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ ۖ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ } (٢) [الفرقان: ٢].

* الحياة مع القرآن تعلم العبد أن الخير كله فيما يختاره الله، لا فيما يختاره الإنسان لنفسه، وأن مشيئة الله فوق كل مشيئة: { وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ } (٣) [البقرة: ٢١٦]. { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ } (٤) [الإنسان: ٣٠].

* الحياة مع القرآن - حياة مع الله يزداد بها التالي إيماناً وخشوعاً وثقة بالله وحسن توكل عليه، ويفوز المتقي بمعية الله: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ } (٥) [النحل: ١٢٨].

وقوله: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

(١) سورة فصلت آية: ٥٣.

(٢) سورة الفرقان آية: ٢.

(٣) سورة البقرة آية: ٢١٦.

(٤) سورة الإنسان آية: ٣٠.

(٥) سورة النحل آية: ١٢٨.

ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ { (١) [الأنفال: ٢].

* الحياة مع القرآن تربية وتزكية وتهذيب أخلاق، وسلامة صدر، وطمأنينة نفس

وقرب من الله ومناجاة له: { أَمَّنْ تَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } (٢)

[النمل: ٦٢]. { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٦٢﴾ } (٣) [الأنعام:

١٨] { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ۗ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ } (٤)

[يوسف: ٢١] { قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾ تُولِجُ

الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ

الْحَيِّ ۗ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١﴾ } (٥) [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

(١) سورة الأنفال آية: ٢.

(٢) سورة النمل آية: ٦٢.

(٣) سورة الأنعام آية: ١٨.

(٤) سورة يوسف آية: ٢١.

(٥) سورة آل عمران الآيتان: ٢٦ ، ٢٧.

مقاصد القرآن

إن للتزليل الحكيم مقاصد وأهدافا ومن أهمها:

- ١ - تحقيق العبودية لله سبحانه وحده لا شريك له.
- ٢ - ثبوت رسالة الرسول ﷺ وأنها امتداد للرسالات السابقة والدعوة واحدة فكلهم يقول { **أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** }^(١).

- ٣ - أن الدين عند الله الإسلام، ولا يقبل الله ديناً غيره: { **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** }^(٢) [آل عمران: ٨٥]. ٤ - ثبوت اليوم الآخر والجزاء والحساب والثواب والعقاب بالأدلة والبراهين فيجب الإيمان بذلك.
- ٥ - يهدي الخلق ويخرجهم من الظلمات إلى النور: { **الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** }^(٣) [إبراهيم: ١] ، { **أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }^(٤) [الأنعام: ١٢٢].

* من مقاصد القرآن وجوب تحكيمه في جميع شؤون الحياة: { **وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّنَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُنُوهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** }^(٥) أفحكّم

(١) سورة الأعراف آية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران آية: ٨٥.

(٣) سورة إبراهيم آية: ١.

(٤) سورة الأنعام آية: ١٢٢.

- الْجَهْلِيَّةِ يَبْعُونَ^ج وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤٩﴾ { (١) [المائدة: ٤٩ - ٥٠].
- { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٤﴾ } (٢) { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
- بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ } (٣) { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
- فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ } (٤) { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ
- بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ } (٥) [النساء: ٦٥].
- * التوجيه المتكرر إلى عدم متابعة اليهود والنصارى ومحاولة إرضائهم: { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ
- الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ^{هـ} قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الَّذِي هُوَ أَلْهَدَى^{هـ} وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ
- بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ^ص مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ } (٦) [البقرة: ١٢٠].

(١) سورة المائدة الآيتان: ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) سورة المائدة آية: ٤٥ .

(٣) سورة المائدة آية: ٤٧ .

(٤) سورة المائدة آية: ٤٤ .

(٥) سورة النساء آية: ٦٥ .

(٦) سورة البقرة آية: ١٢٠ .

أهمية البحث

إن مكانة القرآن الكريم من الأمة المحمدية - أمة الإسلام - مكانة الرأس من الجسد فهو عزها ومجدها ورمز شخصيتها وسر بقائها أمر الله أمة الإسلام على لسان رسولها أن تتمسك بالقرآن لأنه شرفها وذكرها بين الأمم، فقال تعالى: { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۗ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ } (١)

[الزخرف: ٤٣ - ٤٤]. هذا القرآن يتضمن التكاليف الإلهية فيجب تنفيذها حسب الاستطاعة: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } (٢) ويجب البعد عن المنهيات جميعها لقول الرسول ﷺ { وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } (٣). لقد سعدت الإنسانية كلها وليس المسلمون فقط بهذا الكتاب، بل أصبح العرب رعاة الشاة والبعير قادة البشرية وساستها، ولما ضعف الأخذ بالقرآن في أمة القرآن واستسلموا لتهديد العدو وذابوا في المجتمعات والسياسات غير الإسلامية نخر الفساد في جسم الأمة الإسلامية وأصبحت على شفا جرف على حافة الهاوية. نحتاج إلى دعوة صادقة إلى القرآن بحذافيره لنعيد للعالم كله الأمن والطمأنينة والسعادة والسكينة النفسية، فالقرآن هو القرآن، وسنة الرسول ﷺ وسيرته العطرة بين أيدينا ولم يغيب عنا سوى شخصية الرسول ﷺ والله يعلم ما كان وما سيكون، فقد أكمل الدين وهو يعلم أن بقاء شخصية الرسول ﷺ ليست شرطا لنشر الدين والتمسك به - لأن الله كتب في أزله أن للرسول أجلا محدودا وأن على أمة القرآن أن تأخذ الراية بعد نبيها بالحكمة والموعظة الحسنة، وتسير على نهج المعلم الأول ﷺ.

(١) سورة الزخرف الآيتان: ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة التغابن آية: ١٦ .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٦٠٤) ، مسلم اللباس والزينة (٢١٢٥) ، أبو داود الترجل (٤١٦٩) ، ابن ماجه النكاح (١٩٨٩) ، أحمد (٤١٦/١) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٤٧).

أهل القرآن صفاتهم وأخلاقهم

* أهل القرآن لهم أخلاق راقية وعقول مستنيرة ونفوس أبية ووجوه وضيئة خاشعة راکعة ساجدة هم عباد الرحمن: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٩﴾ يُضَعَّفَ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِعَائِتِ رَبِّهِمْ لَمْ سَخِرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٥﴾ أُولَئِكَ تُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٦﴾ خَلَائِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٧﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ط فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ } (١) [الفرقان ٦٣ - ٧٧].

* أهل القرآن هم خير أمة أخرجت للناس: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ط } (٢) [آل عمران: ١١٠].

* أهل القرآن هم المصطفون من خير أمة - اصطفاهم رسول الله ﷺ بقوله:

(١) سورة الفرقان الآيات : ٦٣ - ٧٧.

(٢) سورة آل عمران آية: ١١٠.

{ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ } ^(١) رواه البخاري. هذه الخيرية باقية بالشرط

المذكور في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ

أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } ^(٢) [الأعراف: ١٧٠].

* أهل القرآن هم أهل الله وخاصته كما وصفهم رسول الله ﷺ - هم الأمة

الوسط الشهداء على الناس: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ } ^(٣) [البقرة: ١٤٣].

* أهل القرآن وصفهم الله: (أنهم رحماء بينهم).

* أهل القرآن هم من شرح الله صدره للإسلام فهم على نور من ربه: { أَفَمَنْ

شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ - فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } ^(٤) [الزمر: ٢٢].

* أهل القرآن: هم الذين يتغنون به ويتلونه حق تلاوته، هم أصحاب التجارة

الراحة يوم القيامة: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ } لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن

فَضْلِهِ - إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ } ^(٥) [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما - مبينا أخلاق أهل القرآن - : (من

جمع القرآن فقد حمل أمرا عظيما، لقد أدرجت النبوة بين كتفيه إلا أنه لا يوحى إليه،

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٣٩) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٧) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٢) ، ابن ماجه

المقدمة (٢١١) ، أحمد (٦٩/١) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣٨).

(٢) سورة الأعراف آية: ١٧٠.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٤) سورة الزمر آية: ٢٢.

(٥) سورة فاطر الآيتان : ٢٩ ، ٣٠.

فلا ينبغي لحامل القرآن أن يغضب مع من يغضب، ولا يجهل مع من يجهل لأن القرآن في خوفه^(١) قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبتواضعه إذا الناس يختالون، وبجزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون)^(٢) ويتحدث الآجري في كتابه القيم أخلاق أهل القرآن فيقول^(٣):

(فأول ما ينبغي له: أن يستعمل تقوى الله في السر والعلانية، باستعمال الورع في مطعمه ومشربه ومسكنه وملبسه. وأن يكون بصيرا بزمانه وفساد أهله فهو يحذرهم على دينه، وأن يكون مقبلا على شأنه مهموما بإصلاح ما فسد من أمره حافظا للسانه مميزا لكلامه إن تكلم تكلم بعلم إذا رأى الكلام صوابا وإن سكت سكت بعلم إذا كان السكوت صوابا. قليل الخوض فيما لا يعنيه يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه يحبس لسانه كحبسه لعدوه ليأمن من شره وشر عاقبته. قليل الضحك مما يضحك منه الناس إن مر بشيء مما يوافق الحق تبسم. يكره المزاح خوفا من اللعب، فإن مزح قال حقا، باسط الوجه طيب الكلام، لا يمدح نفسه بما فيه، فكيف بما ليس فيه، يحذر نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يسخط مولاه. لا يغتاب أحدا، ولا يحقر أحدا ولا يسب أحدا ولا يشتم بمصيبة، ولا يبغى على أحد ولا يحسده ولا يسيء الظن بأحد إلا لمن يستحق. قد جعل القرآن والسنة والفقهاء دليله إلى كل خلق حسن جميل، حافظا لجميع حوارحه عما نهى عنه. إن مشى مشى بعلم وإن قعد قعد بعلم، يجتهد ليسلم الناس من لسانه ويده ولا يجهل، وإن جهل عليه حلم، لا يظلم وإن ظلم عفا، لا يبغى وإن بغى عليه صبر، يكظم غيظه، ليرضى ربه ويغيب عدوه متواضع في نفسه إذا قيل له الحق قبله، من صغير أو كبير، يطلب الرفعة

(١) أخلاق أهل القرآن للآجري - المتوفى سنة ٣٦٠ هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ص ٥٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٣.

من الله لا من المخلوقين، ماقت للكبر، خائف على نفسه منه) اهـ.

هذه هي أخلاق أهل القرآن استقوها من كتاب ربهم الفرقان وسنة نبيهم المأمور بالبيان، صاحب الخلق العظيم والسيرة العطرة والشمائل الكريمة والصفات الحميدة ﷺ قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (١) [النحل: ٩٠].

العدل ضد الظلم، والإحسان ضد الإساءة، وإيتاء ذي القربى ضد القطيعة، والمنكر ضد المعروف، والفحشاء ضد العفة، والبغي ضد طاعة ولي الأمر المسلم، وهي تشير إلى حرمة الخروج على ولي الأمر المسلم، فأهل القرآن أصحاب رسالة في الحياة، هي رسالة رسولهم محمد ﷺ يتأسون به في دعوته فهو أسوتهم وقائدهم كتاب ربهم الذي حفظوه بقوله لهم: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (٢) [فصلت: ٣٤]. وقوله: { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (٣) وقوله: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } (٤) منهجهم الصبر ويدفعون السيئة بالحسنة { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۗ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } (٥) هذا مع الكفار لا المناوئين للدعوة فكيف مع المسلم !!!.

(١) سورة النحل آية: ٩٠.

(٢) سورة فصلت آية: ٣٤.

(٣) سورة الإسراء آية: ٥٣.

(٤) سورة البقرة آية: ٨٣.

(٥) سورة المؤمنون آية: ٩٦.

والرسول ﷺ القدوة يقول: { الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }^(١) ويقول: { الْمُسْلِمُ

أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ }^(٢). إذا إحافة المسلمين

ليست من أخلاق أهل القرآن، فمن هنا جاء هذا البحث للتذكير بأهمية هذا الأمر ووسطية أهل القرآن.

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٨٢٧) ، مسلم الزكاة (١٠٠٩) ، أحمد (٣١٢/٢).

(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) ، أحمد (٢٧٧/٢).

أهداف البحث

١- تذكير أهل الصحوة الإسلامية بأخلاق أهل القرآن وأن أهل القرآن هم أتباع الأنبياء، هم الأمة الوسط، هم أصحاب العدل والرحمة والرفق واليسير والتسامح والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحرص على هداية الناس والبعد عن الخروج على أئمة المسلمين وعدم تكفير المسلمين، وهم أهل الإيمان يعلمون علم اليقين أنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فيجب أن يتحلوا بعقائد السلف الصالح من الصحابة الكرام، وتابعيهم بإحسان.

٢- بيان صفات أهل القرآن وأخلاقهم.

٣- أن أهل القرآن أمة متميزة ميزها رسول الله ﷺ بقوله: { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ

الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ }^(١) ومما لا شك فيه أن أهل القرآن متميزون بسمتهم وسلوكهم، متميزون في دراستهم وتفوقهم على أقرانهم هم الأمة الوسط ليس بين بقية الأمم فحسب بل هم النخبة في الأمة الإسلامية عموماً وهم أهل العدل والقسط.

٤- إبراز محاسن أهل القرآن على غيرهم لأنهم هم المنفذون لقول الله تعالى:

{ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ^ط إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٠﴾ }^(٢) وبقوله:

{ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿١٧١﴾ }^(٣) فهم الفائزون بالتلاوة والتطبيق.

٥- إجلال أهل القرآن وإكرامهم أن الله أكرمهم في الآخرة بدخولهم ودخول

والديهم الجنة، فهم أهل الله وخاصته فيجب إجلالهم واحترامهم.

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٣٩)، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٧)، أبو داود الصلاة (١٤٥٢)، ابن ماجه المقدمة (٢١١)، أحمد (٦٩/١)، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣٨).

(٢) سورة الزخرف آية: ٤٣.

(٣) سورة المزمل آية: ٤.

وقفة مع عنوان البحث

مؤسسات تعليم القرآن الكريم هي: تلك المؤسسات القرآنية والمعامل الإيمانية والصروح الإسلامية التي يلتقي فيها المؤمنون الصادقون لحفظ كلام الله تعالى وكتابه الفرقان، سواء أكان اللقاء في المسجد أم في تلك الدور المخصصة لحفظ كتاب الله تعالى - كمدارس تحفيظ القرآن والمعاهد العلمية والكليات القرآنية.

مؤسسات تعليم القرآن

١- المسجد: هو مشرق الإيمان ومأرزاه وينبوع الهدى والرحمة ومنارة الحق ومكان ذكر الله تعالى، ومأوى الصالحين وجامعة المؤمنين الموحدين، يلتقي فيه المؤمنون على مختلف أعمارهم لتلاوة كتاب ربهم ومناجاته وعبادته بشتى أنواع العبادات من تلاوة وصلاة وحفظ للقرآن ودعاء، فالمسجد الركيزة الأولى لبناء مجتمع مؤمن راسخ الإيمان، قد هدبه القرآن وأثر في سلوكه جعله معتدل الطبع والمزاج، قوي الإيمان بربه ملتزما بشرعه مترسما خلق نبيه - صاحب الخلق العظيم - حلما وأناة ورحمة وعدم فظاظة، فالحلقات القرآنية المنتشرة في المساجد دليل ساطع على العناية بكتاب الله تعالى، والمسجد هو المحضن الإيماني لهذه الحلقات بعد محضن الوالدين في البيت فهو المدرسة الأولى، لما قدم رسول الله المدينة كان أول شيء قام به هو بناء المسجد لما للمسجد من أهمية في تعليم القرآن مصدر التشريع والهداية، ومحضن التربية الإيمانية ومكان التلقي والقدوة - وموضع الذكر بجميع صنوفه من صلاة وتسييح وتلاوة قرآن: { فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ سَخِفُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ }^(١) [النور: ٣٦ - ٣٧].

بل كان المسجد وسيظل جامعة إيمانية ومعهدا علميا ومدرسة تربية وصالة اجتماعات ومجلس شورى تخرج منه جيل فريد في تاريخ الإسلام جيل الوسطية، أدى المسجد رسالته في عهد النبوة وقام بدور شمولي لجميع جوانب الحياة الإسلامية ومنه ظهرت الوسطية وعقيدة الإسلام الصافية وأخلاقه العظيمة.

٢- من المؤسسات التعليمية مدارس تحفيظ القرآن الكريم والمعاهد العلمية والكليات الشرعية الدعوية، فهي بيئة تربية متخصصة مختارة، الأصل فيها أن تقوم بدور تعليمي وتربوي فهي مكمله لرسالة المسجد وما تقوم به من التربية والتعليم لا يستطيع الأبوان أن يقوموا به.

(١) سورة النور الآيتان: ٣٦ ، ٣٧.

الواقع يتحدث

قامت الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية بدور بناء في إكمال المسيرة التعليمية بل في تأسيسها حيث ربطت الناشئة بكتاب ربها الذي هو سر بقائها وقد وصفه السلف بقولهم: { فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۝ }^(١) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم }^(٢). أعادت حلقات القرآن الكريم في المسجد إلى الأذهان حياة الرعيل الأول في حب القرآن وتعلمه ونفذت قول الرسول ﷺ { (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) }^(٣) رواه البخاري. فحققت الخيرية في هذه الأمة وجددت رسالة المسجد في الإسلام بفتح أبوابه للذاكرين بشتى صنوفهم لكي تنجو الأمة من الوعيد: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۗ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ }^(٤) [البقرة: ١١٤].

فكانت الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المملكة مؤهلا مهما لإكمال

(١) سورة الجن الآيتان : ١ ، ٢ .

(٢) الترمذي - كتاب ثواب القرآن باب فضل القرآن رقم ٢٩٠٨ .

(٣) البخاري فضائل القرآن (٤٧٣٩) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٧) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٢١١) ، أحمد (٦٩/١) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣٨) .

(٤) سورة البقرة آية: ١١٤ .

الرسالة التعليمية تأهيلا علميا للمعاهد والمدارس والجامعة، ومدخلا واسعا لتحقيق الخيرية التي وعد بها الرسول ﷺ ووسيلة عظمى تشرح رسالة الإسلام وتحقيق الوسطية عمليا بالسلوك العملي والخلق الإسلامي والالتزام الشرعي، والبعد عن الغلو والتنطع، وبالمقابل البعد عن الذوبان في الحياة الغربية بحيث يمثل الوسطية لا إفراط ولا تفريط، قال ﷺ {

إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ { (١) (٢) { بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا {

(٣) (٤) { إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ { (٥) (٦). ثم جاءت مدارس وزارة التربية والتعليم والمعاهد

العلمية لتحقيق أهداف التعليم العام وذلك ضمن برامجها وسياستها التعليمية، وأنظمتها التربوية ليتحقق من خلالها تحقيق الوسطية لهذه الأمة وقد أشار إلى هذا ما جاء في السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية عن أهدافها من خلال نظرتها للحياة وانطلاقا من تصوراتها التعليمية المنبثقة من عقيدتها السلفية التي تعتقدها ودينها الإسلامي الذي تدين الله به عقيدة وعبادة وخلقاً وشرعية وحكما ونظام حياة شامل. فالسياسة التعليمية جزء من هذا المبدأ حيث جاء في الباب الأول من السياسة التعليمية في المملكة - كما نص عليه في الباب الأول: الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم: (تضمن هذا الباب أن السياسة العامة التي تقوم عليها التربية والتعليم تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وتشريعاً ونظاماً متكاملًا للحياة).

الباب الثاني: اشتمل على غاية التعليم وأهدافه العامة، فهم الإسلام فهما صحيحا

(١) أحمد (٣٨١/٢).

(٢) فيض القدير على الجامع الصغير ج ٢ / ٥٧٢ دار المعرفة.

(٣) البخاري العلم (٦٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤) ، أحمد (٢٠٩/٣).

(٤) صحيح البخاري ١ / ١٦.

(٥) البخاري الوضوء (٢١٧) ، الترمذي الطهارة (١٤٧) ، النسائي الطهارة (٥٦) ، أبو داود الطهارة (٣٨٠) ،

أحمد (٢٣٩/٢).

(٦) فيض القدير ٢ / ٥٧٣.

متكاملا وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية، وبالمثل العليا واكتساب المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السلوكية لبناء وتطوير المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وهيئة الفرد ليكون عضوا نافعا في بناء مجتمعه^(١) فمن هنا يأتي التلاحم والتأهيل بين الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم لإكمال رسالة التعليم العام بصقل الشباب وتربيته على الفضيلة والقيم والمثل العليا وصياغته صياغة إيمانية ليكون مؤمنا مسلما مواطنا صالحا مصلحا في أمته ومجتمعه وهذا هو الغرض من الحلقات القرآنية لتحقيق الوسطية المنشودة^(٢).

(١) آفاق التربية وأفياء التعليم ص ٨ عبد الله بن حمد الحقييل الطبعة الأولى قارن إن شئت بكتاب التربية والتعليم العام في المملكة بين السياسة النظرية والتطبيق للدكتور حمد بن إبراهيم السلوم ص ١٩ وما بعدها.

(٢) بحث لكاتب هذه الأسطر من ندوة جمعيات تعليم القرآن الكريم ودورها في إكمال مسيرة المؤسسات التعليمية بالمملكة العربية السعودية والتي أقيمت على هامش حفل تكريم الحفاظ بجمعية تحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الطائف ١٤٢٤ هـ.

الغرض من مؤسسات تعليم القرآن الكريم

إن الغرض من هذه المؤسسات تحقيق الغاية التي من أجلها خلقت البشرية - ألا وهي العبودية الحقة لله تعالى وحده لا شريك له - فهي غاية الوجود الإنساني على ظهر هذه الأرض المشار إليها بقول الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً }^ط (١) [البقرة: ٣٠].

وحقيقة الاستخلاف أن يكون هناك عبد يعبد الله تعالى وحده لا شريك له على وفق ما شرع الله يتقرب إليه بكل قول وعمل، ينظم للعبد حياته، فمن هذه الغاية الشريفة وبهذا يعرف الإنسان مكانته في الكون وعلاقته به، فإذا خرج مقصد العلم عن هذه الغاية فالتعلم والعالم على خطر. فرسالة الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم مكملة لرسالة المؤسسات التعليمية الأخرى في المملكة، وبذلك تحقق أهداف رسالة الإسلام من العلم وإخراج جيل مسلم ناصح لربه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم - وهو ما يطلق عليه بلغة العصر - المواطن الصالح - والإنسان الصالح. والمؤسسات التعليمية تعمل لهذا الغرض كما جاء في مواد نظام السياسة التعليمية في المملكة - ولا يمكن أن يتحقق الهدف من التعليم في نوعية واحدة من نوعيات التعليم لكن بالتنوع والتعاون في تنفيذ المهمات التعليمية يستطيع أهل العلم والفكر والثقافة تحقيق الغرض من العلم ومن أهمه تربية الناشئة على الإيمان بالله والشعور براقبته وهذا ما يسمى بالوازع الديني، فسيكون رادعا عظيما لهذا الشاب عن الشرور والآثام والجرائم والتفجيرات والمخدرات والسرقات والخطف والزنا والاعتقالات... إلخ، لأنه عندما يربي من خلال كتاب الله تعالى على أن يعلم كيف جاء إلى هذه الدنيا وما الغاية من ذلك وإلى أين المصير وماذا بعد المصير حينما يربي الناشئ أن الله يراه ومطلع عليه ويراقب حركاته وسكناته وأنه غدا سيحاسبه على مثاقيل الذر إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وأن الله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض،

(١) سورة البقرة آية: ٣٠.

ولا تخفى عليه خافية لأنه يعلم الجهر وما يخفى وأنه يراه أينما حل وأينما ذهب يتوقف عن الفساد في الأرض، فمن لم يؤمن هذا الإيمان فلن يردعه عن ارتكاب الجرائم والتعدي على حقوق الناس وحرماهم وإخافتهم رادع: { أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ^ع إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ }^ع [هود: ٥]. هذه بعض مقاصد المؤسسات القرآنية.

(١) سورة هود آية: ٥.

المدلول اللغوي والشرعي للوسطية

(الوسطية) من المصادر الصناعية صار بعد زيادة الياء المشددة والتاء المربوطة دالا على مجموع السمات الخاصة بهذا اللفظ ^(١). ويطلق الوسط في لغة العرب على معان: فوسط الشيء ما بين طرفيه قال الشاعر: ويطلق الوسط في لغة العرب على معان: فوسط الشيء ما بين طرفيه قال الشاعر:

إذا رحلت فاجعلوني وسطا إني كبير لا أطيّق العندا ^(٢)

والوسط الخيار، ومنه قول زهير بن أبي سلمى: والوسط الخيار، ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

وهم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي العظام

أي هم خيار، فلذا كانت أحكامهم محل الرضى. ومنه قول أبي بكر في وصف المهاجرين يوم السقيفة: (هم أوسط العرب دارا) ^(٣) يقصد بذلك بيان خيريتهم وفضلهم. وبهذا المعنى جاء تفسير الآية: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } ^(٤). ففي صحيح

البخاري وغيره ^(٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: { يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون ثم يقرأ رسول الله ﷺ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } ^(٦) قال: عدلا { لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

(١) موسوعة النحو والصرف والإعراب ص (٦٢٦) ط دار العلم للملايين.

(٢) ابن منظور: لسان العرب (٧ / ٤٢٦) ط دار الفكر.

(٣) رواه البخاري (٥ / ٨) كتاب فضائل أصحاب النبي باب فضل أبي بكر.

(٤) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٥) رواه البخاري (٦ / ٢٦) كتاب التفسير وفي (٦ / ١٣٢) كتاب الاعتصام والترمذي رقم (٢٩٦١) وأحمد في المسند.

(٦) سورة البقرة آية: ١٤٣.

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^١ } (١) { . ووسطية الإسلام من أبرز السمات التي يلوح فضلها في سائر تشريعاته الحكيمة، فقد كرم الله أمة محمد ﷺ أنهم وسط في الملل والنحل جعل الله دينهم - الدين الإسلامي وسطا بين الإفراط والتفريط، أو بين الغلو والتقصير، وتظهر وسطية أمة الإسلام فيما يلي: - في عقيدة المسلمين في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين - فهم لم يغلوا فيهم غلو النصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - والمسيح ابن مريم، ولم يجفوا فيهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا. أما أمة محمد ﷺ - فآمنوا برسل الله جميعا، وعزروهم ووقروهم، وأحبوهم، ولم يعبدوهم، ولم يتخذوهم أربابا، وآمنوا بجميع الكتب المتزلة على الرسل والأنبياء فكانوا بذلك وسطا.

* والدين الإسلامي وسط أيضا في الموقف من الإنسان فمقام الإنسان الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه فهم يكرمون الإنسان لكنهم لم يؤلوه كما صنعت بعض المذاهب والمعتقدات والتصورات ولم يحقروه ويهينوه - فالإسلام وسط بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وبين خصائص الألوهية وخصائص العبودية. بينما تقول الكنيسة بألوهية المسيح عليه السلام - على اختلاف المذاهب الكنسية - كما أن المذاهب والفلسفات الأوربية وما قام عليها من مناهج التفكير لما أعلنت رفعة الإنسان ومقامه جعلت ذلك على حساب إيمانها بألوهية الرب سبحانه وتعالى.

* والإسلام وسط في العمل للدنيا والآخرة، وفي عقيدة الإسلام يعتقد أن كلا منهما عبادة لله تعالى وتحقيق لغاية الوجود الإنساني ضمن شروط معينة، بينما تأرجحت المذاهب الأخرى بين الاهتمام بالنواحي المادية الذي يظهر في المدنية الغربية الحديثة، وأصبح معبودها هو المال والقوة والرفاهية والرقي المادي - وبين الإزراء بهذا الرقي المادي والمتاع

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

الديني كما هو الشأن في المذاهب التي تدعو إلى الرهينة وتعذيب الجسد من أجل الروح وتهذيبها للوصول إلى مرحلة الفناء، أما الإسلام فيقول الله تعالى { رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠٦﴾ } (١) [البقرة: ٢٠١]، وقوله: { وَأَتَّبِعِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ } (٢) [القصص: ٧٧].

* الإسلام وسط في التشريع بين اليهودية والنصرانية - اليهود الذين حرّموا على الله تعالى أن ينسخ ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء... وبين النصراني الذي أجازوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يشرعوا بالتحليل والتحريم من دون الله تعالى.

* الإسلام وسط في الأخلاق والسلوك فقد جاءت الشريعة الإسلامية وسطاً بين الإفراط والتفريط في الالتزام الأخلاقي، وبين الجنوح إلى المثالية الخيالية، فهي لا تترك الحياة كلها للمشاعر والضماير ولا للترف والميوعة والهوى والشهوة المحرمة فيعصف بها في تيارات الشهوات المحرمة والخلاعة والمجون، ولكن الدين الإسلامي يهذب السلوك ويرفع الضمير ويرتقي بالمشاعر ويعمر القلب بالتقوى والشعور برقابة الله تعالى تأسيًا بالنبي ﷺ الذي وصفه ربه بأنه على خلق عظيم، وهكذا نجد الإسلام وسطاً في جميع العلاقات الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية بل جميع المصالح الذاتية والاجتماعية (٣).

* الإسلام وسط في أعمال الخير والمصالح يقول العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: (فصل في الاقتصاد في المصالح والخير..... والاقتصاد رتبة بين رتبتين ومترلة بين مترلتين والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح، والإسراف في جلبها، والاقتصاد بينهما

(١) سورة البقرة آية: ٢٠١.

(٢) سورة القصص آية: ٧٧.

(٣) أباطيل وأسمار لمحمود شاكر ص ٥٢٢ ومدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. عثمان ضميرية ص ٥٧ وما بعدها.

قال تعالى: **{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا**

مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ **{** (١) [الإسراء: ٢٩]. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (الحسنة بين السيئتين)

ومعناه: إن التقصير سيئة والإسراف سيئة والحسنة ما توسط بين الإسراف والتقصير، وخير الأمور أوسطها. فلا يكلف الإنسان نفسه من الطاعات إلا ما يطيق مداومة عليه، ولا يؤدي إلى الملالة والسامة، ومن تكلف من العبادة مالا يطيق فقد تسبب إلى تبغيض عبادة الله إليه ومن قصر عما يطيق فقد ضيع حظه مما ندبه الله إليه وحته عليه... وقد نهي

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنطع في الدين وقال: **{ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ }** (٢) إلى أن قال: (وعلى

الجملة فالأولى بالمرء أن لا يأتي من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلب مصلحة أو درء مفسدة مع الاقتصاد المتوسط بين الغلو والتقصير) (٣) فالإسلام يصطفي المنهج الوسط في معالجة

شؤون الحياة كلها، لذلك فهو وسط بين انحرافين، وخيار بين اتجاهين، بريء من وصمة الغلو الذي ما خالط شيئاً إلا شأنه، وما دخل أمراً إلا أفسده. وصفت مشاربه من كدر التفريط ووباء التقصير الذي هو مستنقع آسن وهذا ما أشارت إليه سورة الفاتحة في قوله

سبحانه: **{ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ**

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾ } (٤) فأمرنا بالابتهاج إليه، واستمناع النهج السوي منه سبحانه

والهداية إليه. وهذا الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، هو الوسط بين طرفي الإفراط

والتفريط في كل الأخلاق وفي كل الأعمال) (٥) فاقتضت حكمة التشريع أن نكرر هذا

الدعاء المشير إلى الوسطية في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، لنستمسك بهدي الله تعالى،

(١) سورة الإسراء آية: ٢٩.

(٢) مسلم العلم (٢٦٧٠)، أبو داود السنة (٤٦٠٨)، أحمد (٣٨٦/١).

(٣) القواعد الكبرى ٢ / ٣٤٠ وما بعد بتحقيق د. نزيه حماد ود. عثمان ضميرية.

(٤) سورة الفاتحة الآيتان: ٦، ٧.

(٥) الألويسي: روح المعاني (١ / ٩٢) ط دار الفكر.

وتكون أعمالنا وفق قوانين الوسطية، السليمة من داء الابتداع والاختراع، فالسنن الشرعية نجوم تهدي في ظلمات التحير، والمبتدعات ظلمات تحير معتنقها فاقتضت حكمة التشريع أن نكرر هذا الدعاء المشير إلى الوسطية في اليوم واللييلة سبع عشرة مرة، لنستمسك بهدي الله تعالى، وتكون أعمالنا وفق قوانين الوسطية، السليمة من داء الابتداع والاختراع، فالسنن الشرعية نجوم تهدي في ظلمات التحير، والمبتدعات ظلمات تحير معتنقها

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

وكما كانت الوسطية من أبرز خصائص أمة الاستجابة جعلت علة لتكليف الأمة بالشهادة على الأمم { لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ }^(١) [البقرة: ١٤٣]. والشهادة لا تقوم إلا بالعدل ولا تقبل إلا من عدل^(٢) ويسر الإسلام وسماحته ورفع الحرج عن أتباعه ودعوته إلى مكارم الأخلاق من الظهور بحيث لا تحتاج إلى مزيد بيان، بل إن صاحب الخلق العظيم ﷺ قال: { إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ }^(٣) (٤) وإنما الوسطية في الإسلام قطب رحي العدل لأنها متمخضة عن الاعتصام بالكتاب والسنة والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة قولاً وعملاً واعتقاداً ذلك لأن جميع التشريعات الإلهية المنتظمة لكافة شؤون الحياة تتجلى فيها مظاهر الوسطية في أسمى حللها وأسمى معانيها. ومن جانب الإفراط والتفريط فقد اهتدى لأن الحق وسط بين هذين وهو حسنة بين سيئتين. ولذا حارب الدين الإسلامي الغلو فأمر بالاستقامة وحذر من تعدي الحدود وتجاوز الوسطية، فمتعدي الحدود ظالم والمنحرف عن نهج الاستقامة طاغ والغلو في الدين نهج الضالين من النصارى ومن حذا حذوهم. والمتنطعون من الهالكين، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) فتح الباري (١٣ / ٦١٣) ط دار الفكر.

(٣) أحمد (٣٨١/٢).

(٤) حديث صحيح.

رسول الله ﷺ { هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ } (١) قَالَهَا ثَلَاثًا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ (٢).
 والمتنطعون هم المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (٣) وعندما لقط ابن
 عباس لرسول الله ﷺ حصيات مثل حصى الخذف لرمي الجمار وضعهن في يده وقال: {
 نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ }
 (٤) (٥) وهو حديث صحيح صححه الأئمة. ولما كان التشديد على النفس حتى في أمور
 العبادات ضربا من ضروب الغلو نمت عنه السنة النبوية لأن عاقبة صاحبه إلى الانقطاع،
 ففي حديث أبي هريرة مرفوعا: { إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ
 فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ } (٦) رواه
 البخاري وغيره (٧) { وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة } (٨) كما في البخاري
 أيضا تعليقا. فلا مكانة في الإسلام للغلو ولا للتطرف فإن المتطرف أيضا مجاوز حد
 الاعتدال متنكب عن الوسطية، فهو وصف لصيق بالغلو ممتزج به، وإن لم يدر ذكره في
 نصوص الشرع ولا محل في الحنيفية السمحة للتنتعع ولا للعنف الذي اتخذ في عصرنا
 الحاضر ظاهرة ذات طابع ديني مصطبغة بالشرعية فيما يزعمون. فكل هذه السمات مبينة

-
- (١) مسلم العلم (٢٦٧٠)، أبو داود السنة (٤٦٠٨)، أحمد (٣٨٦/١).
 (٢) رواه مسلم (٤ / ٢٠٥٥) في العلم: باب هلك المتنطعون: وأبو داود رقم (٤٦٠٨) من كتاب السنة: باب في لزوم السنة وأحمد في المسند (١ / ٣٨٦).
 (٣) النووي شرح صحيح مسلم (١٦ / ٢٢٠).
 (٤) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٧).
 (٥) رواه أحمد (١ / ٣٤٧ - ٢١٥) وابن خزيمة ٤ رقم (٢٨٦٨، ٢٨٦٧) والنسائي في الحج (٥ / ٢٦٨) باب التقاط الحصى وابن ماجه رقم (٣٠٢٩) في المناسك باب قدر حصى الرمي وصححه الحاكم (١ / ٤٤٦) ووافقه الذهبي كما صححه الإمامان ابن تيمية في الاقتضاء (١ / ٢٨٩) والنووي في المجموع (٨ / ١٣٨).
 (٦) البخاري الإيمان (٣٩)، النسائي الإيمان وشرايعه (٥٠٣٤).
 (٧) صحيح البخاري (١ / ١٦) كتاب الإيمان باب الدين يسر.
 (٨) أحمد (١ / ٢٣٦).

لوسطية الإسلام خارجة عن دائرة القصد والاعتدال والناس في القديم والحاضر:

١ - إما مستمسك بالحق، قائم على أمر الله تعالى فهو من أهل الوسط الذين تأهلوا لأن يكونوا شهداء على الناس.

٢ - وإما مفرط زائغ، متجاوز لحدود الله مستهين بأمر الله تعالى.

٣ - وصنف ثالث غال في الدين متتبع للأهواء متجاوز للحق ضال عن سواء السبيل.

مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية

مما لا مرأى فيه أن كتاب الله الفرقان هو ينبوع الهدى، والعاصم من القواصم من تمسك به فقد هدي إلى صراط مستقيم، عالج مشكلات الإنسان علاجا حكيما؛ لأن راسم المنهج هو خالق الإنسان { **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** }^(١). فقد تناولت أسسه العامة مظاهر الحياة جميعها لشمولية نصوصه، وتبيانه لكل شيء، فهو البلسم الشافي من أدواء الإفراط والتفريط، يهتدي به الإنسان الحائر ويغلب كل بهرج زائف ويقود صاحبه إلى رياض السعادة الحقيقية، حين ينهل من منهله الروي، وتستجيب جوارحه لتعاليم الحنيفة السمحة، والإنسانية اليوم تترنح في سلوكها، وتضطرب في أنظمتها، عراها القلق المعنت، وعصفت بها ريح الانحرافات وركد الضمير الأخلاقي فاستحجرت القلوب، وجفت منابع الإيمان من الأفتدة، حين انتشرت أدواء الشهوات في نفوسهم، وعمهم القلق، وتغشاهم الاضطراب النفسي ولا منجاة من العذاب المؤلم إلا إذا حمل المسلمون مشعل الهداية (القرآن الكريم) إلى الإنسانية الحائرة في متاهات الجهال، فلا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا بالتزليل الحكيم، كما قال جل وعلا: { **قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** }^(٢) { **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** }^(٣) [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

وأهل الله وخاصته قراؤنا الذين يتغنون بآيات الله تعالى في محاريب الإيمان بذلك الانتصاب الخاشع بين يدي رب العالمين، هم الفائزون بالوسطية الحائزون السبق في ميدان الفضائل. لا سيما إذا تعانق القول والفعل، وتطابق الظاهر والباطن، واستوى السر

(١) سورة الملك آية: ١٤.

(٢) سورة طه آية: ١٢٣.

(٣) سورة طه آية: ١٢٤.

والعلانية . (والواقع أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يحتلوا في الإيمان مكان القمة ولم يغيروا التاريخ الإنساني وقيموا حكما مكان حكم وأخلاقا مكان أخلاق إلا لقرهم من حياة الرسول ﷺ واقتباسهم من سناه وسريان الإخلاص من قلبه إلى قلوبهم، وحب الله من فؤاده إلى أفئدتهم) (١) وأقول: نعم إن الصحب الكرام هم الرعيل الأول الذين أدهم صاحب الخلق العظيم، وهداهم إلى الصراط المستقيم، وهذب طباعهم التزليل الحكيم، وأنجبتهم مدرسة النبوة كما قال بعضهم: وأقول: نعم إن الصحب الكرام هم الرعيل الأول الذين أدهم صاحب الخلق العظيم، وهداهم إلى الصراط المستقيم، وهذب طباعهم التزليل الحكيم، وأنجبتهم مدرسة النبوة كما قال بعضهم:

أنتج المسجد الكريم أناسا أنجبتهم مدارس القرآن
صقلتهم يد الرسول فأضحوا غرة الدهر في جبين الزمان

نعم أهل القرآن هم الفائزون بالوسطية.

* القرآن الكريم كتاب هداية فهو نور، وشفاء لما في الصدور، وهو الهادي إلى الحق، فالإعراض عنه ضلال وخسران، وزيف وطغيان ويظل المعرض عنه في الدنيا في ضنك واضطراب، ويحشر أعمى في يوم المآب كما ورد في النص في (طه) قال ابن عباس رضي الله عنه (تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة) (٢) يشير إلى قوله سبحانه: { فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } (٣) وهذا المعنى هو الذي نقصده والبراعة نحوه تسعى ويرحم الله تعالى من قال: وهذا المعنى هو الذي نقصده والبراعة نحوه تسعى ويرحم الله تعالى من قال:

(١) فن الذكر والدعاء: ص ٢٦ ط دار الاعتصام.

(٢) أخرجه الطبري (١٦ / ٢٢٥).

(٣) سورة طه آية: ١٢٣.

فأدنى البرايا من إلى البدع اعتزى وأعلى البرايا من إلى السنن انتمى
ومن ترك القرآن قد ضل سعيه وهل يترك القرآن من كان مسلماً؟

وحملة التزويل الحكيم الذين أنار الله تعالى بصائرهم ومنحهم تقواه فهدوا إلى الحق
وتفتحت لهم أبواب المعرفة، وامتزجت أفئدتهم بآيه وتعاليمه ورتلوه في الغدو والآصال
فانقادت جوارحهم لطاعة ربهم، واطمأنت قلوبهم بذكره، وكانوا من عباد الرحمن فهم
يمشون على نور، وتتجلى مظاهر الوسطية في سلوكهم، لأنهم يعتصمون بأشرف الذكر
من مضلات الفتن، وحينما ربطت مؤسسات تعليم القرآن الناشئة بكتاب الله العزيز،
وربتهم على ترتيله وتدبير نصوصه أنجبت جيلاً من المتخلقين بأخلاق القرآن وأنتجت هذه
الدور المباركة مجموعة من كنوز المستقبل مؤهلة لحمل الأمانة محصنة من الأهواء والزيغ
يحملون مشعل الوسطية ويطبقون منهج الله سبحانه، فهم يتجاوزون مرحلة الإيمان النظري
إلى مرحلة أركى وأرقى، فهم من المجتمع غرته وخياره، يهدون إلى الرشد، ويحاربون كل
بدعة، وينشرون التوجيهات الربانية بين الناس، تلاوة وعملاً دون القصد على أحدهما.
فلذلك كانت هذه الفئة من مجتمعنا المسلم بمنأى عن مظاهر الغلو في الدين في عصرنا
الحاضر، وتشكل سدا منيعاً من التهاوي في دركات أهل الأهواء ويرفض التشدد في
الدين والتنطع الذي يعتبر من المهلكات { وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ

تَقْوَاهُمْ } (١)

(١) سورة محمد آية: ١٧.

تفاقم ظاهرة الغلو في الدين في عصرنا الحاضر

والغلو في الدين ليس وليد اليوم على الساحة الإسلامية، بل هو مغرق في القدم له جذوره وتاريخه ودوافعه. فقد كانت بذرة التغالي بادئة في النمو في العصر النبوي، وأشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: { **إِنْ مِنْ ضَيْضِيْ هَذَا قَوْمًا يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ** } (١) أخرج الشيخان (٢) فكان الرجل المشار إليه في الحديث بذرة الخوارج الذين استحلوا دماء المسلمين وكفروا أهل القبلة، وقتلهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وإنما ضل هؤلاء لعدم فهمهم القرآن الكريم، فهم وإن كانوا يقرعون إلا أن تلك القراءة عرية عن الفهم الصحيح، فلذلك كانوا يأخذون آيات نزلت في الكفار فيحملونها على أهل القبلة، فيكفروهم، كما قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في الخوارج (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين) (٣).

وما دام هؤلاء كفروا مجتمعهم، فإن هذا يقضي باستحلال دمائهم، وهذا الذي كان كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فكان من أعلام نبوته. قال أبو قلابة: (ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف) (٤) وهذه عامة المبتدعة الغالبة، والعلامة التي يشترك فيها جمهورهم. والله در شيخ الإسلام ابن تيمية حين يقول: (طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعهم) (٥) اهـ.

(١) البخاري المغازي (٤٠٩٤)، مسلم الزكاة (١٠٦٤)، النسائي الزكاة (٢٥٧٨)، أبو داود السنة (٤٧٦٤)، ابن ماجة المقدمة (١٦٩)، أحمد (٥/٣)، مالك النداء للصلاة (٤٧٧).

(٢) البخاري (٨ / ٥٢) كتاب استتابة المرتدين: باب قتل الخوارج والملحدون ومسلم (١ / ٧٤٠) رقم (١٠٦٣) في الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٣) أخرجه البخاري تعليقا في (٨ / ٥١) كتاب استتابة المرتدين: باب قتل الخوارج والملحدون، ووصله الطبري في تفسيره بإسناد صحيح، وانظر أيضا فتح الباري (١ / ٢٨٢).

(٤) رواه الدارمي (١ / ٤٤) رقم (١٠٠) المقدمة: باب اتباع السنة.

(٥) الرد على البكري (٢ / ٢٥٥) ط المطبعة السلفية بمصر.

وقال ابن القيم في المدارج (١) (ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان إما إلى تفریط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد) اهـ. وهذا النص كالشرح لقول الإمام الحسن البصري: (سننكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما، بين الغالي والجافي) (٢) وهو نحو قول مطرف بن عبد الله: (خير الأمور أوسطها: الحسنة بين السيئتين، وشر الأمور المحققة) (٣).

ومما أوردنا من النصوص عن هؤلاء الأئمة الأعلام ندرك أن هؤلاء المبتدعة من الخوارج ومن دار في فلکهم إنما وقعوا في براثن الزيغ والضللال بسبب ركونهم إلى ما أملتة عليهم أفهامهم السقيمة، وأفكارهم الموبوءة. الزيغ والضللال بسبب ركونهم إلى ما أملتة عليهم أفهامهم السقيمة، وأفكارهم الموبوءة.

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وإنما العلم بالتعلم، ولو رجع هؤلاء إلى علماء الصحابة ومحدثيها أمثال ابن عمر وغيره لشفوا من هذا الداء العضال. ثم إن هذا الصنف المهياً لانتحال الآراء المبتدعة، يتمسكون بالمتشابه من النصوص ويهملون عمداً المحكم القاضي على المتشابه، كما قال **وَجَلَّ فِي** النصارى ومن سار على نهجهم. **{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ**

أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ } (٤) [آل عمران: ٧].

وما أجمل كلام الشاطبي (٥) في هذا الشأن فإنه قال: (وكثيراً ما تجد أهل البدع

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٩٦) ط دار الكتاب العربي.

(٢) رواه الدارمي (١ / ٦٣) رقم (٢٢٢) المقدمة: باب في كراهية أخذ الرأي.

(٣) المحجة في سير الدلجة ص (١٨) ط الثانية دار البشائر الإسلامية.

(٤) سورة آل عمران آية: ٧.

(٥) الموافقات (٣ / ٧٢) ط الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر.

والضلالة يستدلون بالكتاب والسنة يحملونها مذاهبهم، ويغبرون بمشبهاتها على العامة، ويظنون أنهم على شيء، فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به فهو أخرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل) اهـ. رحمك الله تعالى أيها الشاطبي، فما أشبه الليلة بالبارحة، فما حذرت منه في القديم قد وقع في شبابه لفيف من المتشددين المعاصرين، فأحدثوا فقها أملتة عليهم الزنانات وظلمات السجون، ورجحه عندهم أفكار قاصرة، وأفهام سقيمة، ولم يلقوا لفهم الأولين بالا، ولم يعيروه التفاتة واحدة، فاستقلوا فضلوا ورحم الله صاحب الخلاصة إذ يقول: رحمك الله تعالى أيها الشاطبي، فما أشبه الليلة بالبارحة، فما حذرت منه في القديم قد وقع في شبابه لفيف من المتشددين المعاصرين، فأحدثوا فقها أملتة عليهم الزنانات وظلمات السجون، ورجحه عندهم أفكار قاصرة، وأفهام سقيمة، ولم يلقوا لفهم الأولين بالا، ولم يعيروه التفاتة واحدة، فاستقلوا فضلوا ورحم الله صاحب الخلاصة إذ يقول:

وقد تزداد كان في حشو كما كان أصح علم من تقدا

والحكم في الأمور العظام يتطلب مؤهلات علمية عالية، ولا توجد إلا في أفراد محصورين في كل عصر ومصر، ومن أهم ذلك معرفة المقاصد الشرعية التي لا يحيط بكنهها إلا الراسخون في العلم. يقول الشاطبي^(١) (إذا بلغ الإنسان مبلغاً فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تزييله منزلة الخليفة للنبي ﷺ في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله) اهـ. وهذا باب واسع دقيق لا يخوض غماره إلا أكابر العلماء، وكثير ممن تردى في مهاوي الغلو أتى من جهله بالمقاصد الشرعية، فخطب خطب عشواء وكأنما ركب متن ناقة عمياء، فضل السبيل، ولم يسعد بالدليل، وفتحوا على المسلمين باباً يلج منه أعداء الإسلام للمز الدين الحنيف، ووصفه بالإرهاب تارة، وباستهانته بالأرواح، وانتقاص حقوق الإنسان

(١) الموافقات (٤ / ١٠٦ - ١٠٧) ط دار المعرفة

تارة أخرى، ولذلك نرى في هذه الأيام تكالب قوى الشر على المسلمين، وحقن عقول الشباب الإسلامي بهذه الشبه الباطلة، ويهدف أعداء الإسلام من هذا التشويه المتعمد، وطرح أفكار الشباب في أنياب التحيز والتشكيك إحداث ردة قوية في أمة الإسلام، وطمس محاسن هذا الدين، ومحاربة تعاليمه بواسطة ثلة من أبنائه من أهل العقوق وإنا لله وإنا إليه راجعون.

من مظاهر الغلو في العصر الحاضر

وهناك مظاهر أخرى للغلو في الدين في عصرنا الحاضر، كالقول بتكفير المجتمعات المسلمة المعاصرة، وموقف طائفة من هؤلاء الغلاة في المسلمين أي عدم الحكم بإسلامهم إلا بعد امتحانهم وتبين حالهم، ومن ذلك تشريع الاغتيالات للمسلمين أو معصومي الدماء كالمعاهدين ونحوهم والقيام بأعمال تخريبية، إلى غير ذلك من المبادئ المخافية لما عليه المسلمون من أهل السنة والجماعة^(١).

وأما الغلو في مجتمعنا المعاصر، وما أبرزته آثاره على الساحة فهذا من الظهور بحيث لا يتطلب تبيانا. فقد صاحب هذه الطفرة الحضارية على الكرة الأرضية أحداث دامية مؤلمة في كثير من الأقطار والأمصار معظمها متمخض عن هذه الظاهرة، وكان أهم مظاهر الغلو المعاصر على النحو التالي:

١ - مظهر التكفير: وهي بلية ابتليت بها أمة الإسلام على أيدي أعمار شبان لم يتفأوا بظلال العلم الشرعي، ولم يرتقوا في معارج المعارف، ولم يتأهلوا للحكم بالكفر على هؤلاء، أو بالإيمان لأولئك، فتناولوا حكاما يحكمون الشريعة الإسلامية - في الجملة - بالتكفير وإن كان هناك بعض القصور، لأنهم كما يزعمون حكموا بغير ما أنزل الله سبحانه، هكذا أخذوا الموضوع على إطلاقه عريا عن القيود والضوابط المرعية هنا ثم كفروا أتباعهم المحكومين لكونهم - كما يزعمون - راضين بهذه الأحكام الوضعية ثم امتد التكفير إلى كل من لم يكفر هاتين الطائفتين، ومضت سلسلة التكفير تنتظم المجتمعات الإسلامية على أيدي هؤلاء الأحداث، فلم يبق على وجه الأرض إلا أفراد مسلمون فقط كما يزعمون وأما ما سوى هؤلاء النخبة فهم غير معصومي الدماء، وليسوا من أهل القبلة وإن اتجهوا إليها في صلواتهم وحجهم.

(١) من أراد الاستزادة والبسط في موضوع الغلو، وما يتصل به فعليه بمراجعة الكتب المؤلفة في الموضوع مثل كتاب مشكلة الغلو في الدين للشيخ عبد الرحمن اللويحي، وكتاب السامرائي (التكفير جذوره - أسبابه مبرراته) وكتاب البهنساوي الحكم وقضية تكفير المسلم وغير ذلك.

ولعل من أهم عوامل اختراع هذا الاتجاه امتلاء الساحة في عصرنا الحديث بالفرق والمذاهب والآراء التي تذكي نيران الفرقة، وتوسع مدارك الخلاف، ويستهوِي بعضها هؤلاء المفتونين، فيتمكن من قلبه ويتغلغل حتى يعود عقيدة راسخة، لأنه ليس عنده من الحصانة الثقافية الإسلامية ما تحجزه عن التهافت على الآراء المتبورة الممتزجة ببدع الأهواء، فهو على النحو الذي عناه الشاعر: وتوسع مدارك الخلاف، ويستهوِي بعضها هؤلاء المفتونين، فيتمكن من قلبه ويتغلغل حتى يعود عقيدة راسخة، لأنه ليس عنده من الحصانة الثقافية الإسلامية ما تحجزه عن التهافت على الآراء المتبورة الممتزجة ببدع الأهواء، فهو على النحو الذي عناه الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ذلك لأن الجاهل الذي لم تهذبه التعاليم الإسلامية، ولم ترسخ في ذهنه المقاصد الشرعية، ولم يحط علما بعلم الأحكام، لا يقدر على التمييز بين الآراء الصحيحة والسقيمة، ولا يفرق بين الغث والسمين، فيذهب في متاهة الغلو تارة، وفي مفاوز التفريط تارة أخرى، ويلتقط من الأفكار المجافية للأصول الإسلامية الصحيحة ما انشرح صدر هواه له، فتتلاعب به شياطين الإغواء والأهواء وهذه قاصمة الظهر.

ب - ومن نتائج التكفير الجماعي استحلال القتل الجماعي للمسلمين وغيرهم فإن التكفير وإزهاق الأرواح متلازمان وهما توأم، ولذلك أثبتت حوادث مريعة في بلاد الإسلام أن هذا الصنف من المفتونين يتخذون من وسائل التدمير الجماعية مسلكا لتحقيق أهدافهم، وهم في ذلك لا يفرقون بين الصغير والكبير، ولا الشيخ والرضيع، ولا بين الذكر والأنثى، ولا بين المذنب والبريء، وهذا من الخطورة بمكان، وإذا كان الإسلام هو دين مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال والعادات كما هو معلوم، فإنه ينهى المجاهدين عن قتل صغار الكفار ونسائهم ورهبانهم، فكيف يستحل هؤلاء من المسلمين ما لا يحل فعله مع الكفار المحاربين. ونتيجة لهذه الأفعال المشينة، والأخلاق المهينة التي لا يقرها الإسلام

ولا يدعو إليها أتباعه فإن هؤلاء الذين يقومون بهذه الفظائع، ويرتكبون أفعال الجرائم باسم الإسلام وتوجيهاته صاروا أضرب الخلق على الإسلام وأهله.

لحظة عن علاج ظاهرة الغلو

١- الاعتصام بالكتاب والسنة، فهما المصدران النيران اللذان من اعتصم بهما هدي إلى النهج السوي، والطريق القويم كما قال سبحانه: **{ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }** (١).

ولا يتم الهدى إلا بالعمل بهما معاً، والأخذ بما جاء فيهما، لأن كل واحد منهما ملتحم بالآخر غير مستغن عنه، فالسنة النبوية مفسرة للقرآن، ومفصلة لما أجمله فيه وقد وكل الله تعالى بيان القرآن إلى نبيه محمد ﷺ كما قال تعالى: **{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** (٢) ولذلك لا تحقق النجاة في الدنيا والأخرى إلا لمن تمسك بهما معاً، فقد قال ﷺ **{ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أُرَيْكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ }** (٣) .. الحديث، وزاد الترمذي: **{ وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله }** (٤) (٥) وهو حديث صحيح مشهور أخرجه أصحاب السنن وغيرهم. قال الخطابي (٦) فالرسول ﷺ يحذر بذلك مخالفة السنن التي سننها رسول الله ﷺ مما ليس له في القرآن ذكر علي ما ذهب إليه الخوارج والروافض فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، فتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا اهـ.

(١) سورة آل عمران آية: ١٠١.

(٢) سورة النحل آية: ٤٤.

(٣) الترمذي العلم (٢٦٦٤)، أبو داود السنة (٤٦٠٤)، ابن ماجه المقدمة (١٢).

(٤) الترمذي العلم (٢٦٦٤)، ابن ماجه المقدمة (١٢)، الدارمي المقدمة (٥٨٦).

(٥) رواه أبو داود: رقم (٤٦٠٤) في كتاب السنة: باب في لزوم السنة واللفظ له، والترمذي رقم (٢٦٦٣) كتاب العلم: باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي وابن ماجه رقم (١٢، ١٣) المقدمة، وأحمد (٤ / ١٣١،

١٣٢) والحاكم وصححه (١ / ١٠٨ - ١٠٩) وغيرهم.

(٦) معالم السنن: (٧ / ٨) ط دار المعرفة للطباعة والنشر.

قال أيوب السخيتاني: (إذا حدثت الرجل بالسنة، فقال دعنا من هذا وحدثنا من القرآن، فاعلم أنه ضال مضل) (١). ولا مرأى أن الانحرافات بأشكالها المتعددة إنما نبتت على ساحة الفكر الإسلامي كنتيجة حتمية للإعراض عن الكتاب والسنة، وترك الاستهداء بنورهما الوهاج فيمكن العلاج في الرجوع إليهما والاعتصام بهما، والأخذ بتوجيههما، ففيهما المنجاة من الغرق، والسلامة من مضلات الفرق.

قال شيخ الإسلام (٢) (وكان أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البينات أن الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم) اهـ.

ولذلك كان لحفظ القرآن من أبناء الأمة الإسلامية دور واضح في مقارعة الغلو، والقضاء عليه جملة وتفصيلاً، وذلك من خلال عرض نصوص القرآن الداعية إلى السماحة واليسر، والسهولة والتخفيف، والإعلان برفع الحرج عن هذه الأمة التي خصها الله تعالى بخصائص رفعتها إلى أن تكون من أهل الشهادة على الأمم الأخرى. ويقول شيخ الإسلام - أيضاً - : (جماع الفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو على حق وإن خالفه فهو باطل وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده لكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه فإنه يمسك فلا يتكلم

(١) رواه الخطيب في الكفاية ص (١٦) ط دار الكتب الحديثة: القاهرة.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٨) ط مكتبة المعارف بالرباط المغرب.

إلا بعلم، والعلم ما قام عليه دليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ (١) اهـ، وهذه قاعدة أصلية من طبقها حاز النصيب الأوفى من الفوز بالنجاة من مضلات الفتن، ولذا يقول أيضا في الموضوع نفسه: (وكل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله تعالى إلى صراطه المستقيم فإن الشريعة مثل سفينة نوح عليه السلام، من ركبها نجح، ومن تخلف عنها غرق) (٢) اهـ. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهدي الأمة الإسلامية لأقوم طريق.

٢- والالتزام بمذهب السلف أهل السنة والجماعة، لأن السلف هم الذين يحققون الوسطية، ويطبّقون منهج الشرع، وهم الذين يفهمون المقاصد الشرعية، والنصوص من المصدرين على الوجه الصحيح، وقد شهد لهم المصطفى ﷺ بالخيرية كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانُهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتُهُمْ } (٣) (٤). فالملتزم بمذهب السلف محقق لمعنى الوسطية، معتصم بالهدى، مقيم على أمر الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (٥) (أهل السنة في الإسلام، كأهل الإسلام في الملل - أي من جهة الوسطية - فهم في باب صفات الله سبحانه وتعالى وسط بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجزرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية

(١) المصدر السابق.

(٢) درء التعارض (١ / ٢٣٤) ط الأولى بتحقيق د محمد رشاد سالم ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) البخاري الرقاق (٦٠٦٥)، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣)، الترمذي المناقب (٣٨٥٩)، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢)، أحمد (٤٣٤/١).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٩) كتاب أصحاب النبي باب فضائل أصحاب النبي. وفي كتاب الرقاق (٧ / ١٧٤)

باب ما يجذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ١٤١).

والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج) اهـ.

وقففة قصيرة مع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : كما أن أهل الإسلام وسط بين الملل والديانات فأهل السنة والجماعة هم وسط بين فرق الضلال والزيغ من هذه الأمة، وسط في باب الصفات بين من ينفىها ويعطل الذات العلية عنها ويجرف ما ورد فيها من الآيات والأحاديث الصحيحة عن معانيها الصحيحة إلى معان باطلة من غير دليل، وهم وسط في باب الإيمان والأحكام بين الخوارج والمعتزلة الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة كافر وهو في منزلة بين الإيمان والكفر، فغلوا في ذلك فجعلوا كل الكبائر والمعاصي كالزنى وشرب الخمر والسرقه... إلخ جعلوا فاعل ذلك كله كافرا خارجا عن الملة مثل من عبد غير الله، هذا غلو واضح وإن صحب غلوهم هذا الزهد والعبادة ولكن ليس هذا على هدي الرسول ﷺ. والمرجئة الذين يقولون: إن العبد إذا قال لا إله إلا الله وشهد لله تعالى بالوحدانية وأقر للرسول ﷺ بالرسالة فإنه مؤمن كامل الإيمان وإن عمل ما عمل وأنكروا أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كلا الطرفين - الخوارج والمعتزلة من جانب والمرجئة من جانب خرجوا عن المنهج الصحيح والصراط المستقيم وعمما جاء في الكتاب والسنة. والسلف أهل السنة وسط أيضا في باب القدر، فالقدرية نفوا القدر ولم يثبتوه وغلوا في تحميل العبد المسئولية عن فعل المعصية وقالوا إن الله تعالى لم يقدر عليه المعاصي ولم يخلقها وجعلوا جميع أفعال العبد من غير قدر الله وتقديره ولم يكتبها وإنما العبد من عند نفسه استأنفها وهذا غلو، وبالغوا في إرادة العبد ونفي إرادة الله. قابل القدرية الجبرية، وقالوا: لا حيلة للعبد ولا إرادة ولا اختيار، فغلوا في إثبات القدر وجعلوا الإنسان كالريشة في مهب الريح لا إرادة له ولا اختيار وكلا الطرفين في ضلال مبين وغلوا واضح. وأهل السنة وسط حيث نهجوا منهج الرسول ﷺ والصحابة فيما أثبتته القرآن والسنة فأثبتوا أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد كما هو الخالق لكل شيء:

{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ } ^(١) [الصفات: ٩٦] { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ } ^(٢) [الإنسان: ٣٠] { وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ
 مُبِينٍ ﴿١٢﴾ } ^(٣) [يس: ١٢] { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ } ^(٤) [الزلزلة: ٧ - ٨]. وفي فضائل الصحابة أهل السنة يجلبون
 أصحاب رسول الله ﷺ ويوالونهم ويترضون عنهم ولا يكفرون أحدا منهم، فيثبتون ما
 أثبتته الله من فضلهم في القرآن وأثبتته رسول الله ﷺ بخلاف الذين يلعنون أصحاب النبي
 ﷺ بل يكفرون بعضهم ^(٥). ولا مرأى أن التزام المذهب السلفي هو علاج الانحراف، وفيه
 السلامة والنجاة من الترددي في مهاوي الانحراف والابتداع، وفي هذا الالتزام القضاء على
 التأويلات المذمومة، واتباع المتشابه، والجدل المذموم، فكل خير في اتباع من سلف، وكل
 شر في ابتداع من خلف، ذلك لأن السلف أهل القرون الخيرة ومن سار على نهجهم هم
 أهل السنة والجماعة، سنة الخلفاء الراشدين المهديين.

قال ابن مسعود رضي الله عنه (عليكم بتقوى الله وهذه الجماعة، فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ
 على ضلالة أبدا، وعليكم بالصبر حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر) ^(٦). كما قال -
 أيضا -: (عليكم بالطريق فإن لزمتموه لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن خالفتموه يمينا وشمالا
 لقد ضللتهم ضلالا بعيدا) ^(٧).

وما أنفس قوله وأجمله رضي الله عنه (عليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع وإياكم

(١) سورة الصفات آية: ٩٦.

(٢) سورة الإنسان آية: ٣٠.

(٣) سورة يس آية: ١٢.

(٤) سورة الزلزلة الآيتان: ٧ ، ٨.

(٥) راجع إن شئت العقيدة الواسطية وشروحها.

(٦) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١ / ٣١٣ ، ٣١٤) ط دار البيان.

(٧) المصدر السابق (١ / ٣٣٢).

والتعمق وعليكم بالعتيق^(١).

فقوله العتيق، أي: القديم الذي علم به الصحابة المهتدون ومن تبعهم بإحسان، وقال ﷺ (ومن كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)^(٢) وبعد فإن هذه هي حصون العصمة من الزيغ والضلال، فمن سار على هذا النهج فقد تحصن بحصن منيع من مضلات الفتن، وكان بتوفيق الله تعالى من الفرقة الناجية التي عنها رسول الله ﷺ في حديث الفرقة. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) رواه الدارمي (١ / ٥٠) رقم (١٤٥) المقدمة: باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ، واللالكائي في

شرح السنة (١ / ٨٧) رقم (١٠٨).

(٢) أخرجه ابن عبد البر: في جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٩٧) ط دار الكتب العلمية.

مراجع البحث

- (١) أخلاق أهل القرآن للآجري - المتوفى سنة ٣٦٠ هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
- (٢) آفاق التربية وأفياء التعليم لعبد الله بن حمد الحقييل الطبعة الأولى.
- (٣) أباطيل وأسمار لمحمود شاكر مطبعة المدني بمصر.
- (٤) تفسير الآلوسي: روح المعاني ط دار الفكر.
- (٥) القواعد الكبرى بتحقيق د. نزيه حماد ود. عثمان ضميرية ط دار القلم.
- (٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - شيخ الإسلام ابن تيمية دار الكتاب العربي.
- (٧) الترمذي الجامع دار الكتب العلمية.
- (٨) درء التعارض ط الأولى بتحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (٩) الرد على البكري ط المطبعة السلفية بمصر.
- (١٠) المحجة في سير الدلجة ط الثانية دار البشائر الإسلامية.
- (١١) المجموع للنووي ط مكتبة الرشاد.
- (١٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ط دار الكتب العلمية.
- (١٣) الكفاية للخطيب البغدادي ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة.
- (١٤) الإبانة الكبرى - ابن بطة - ط دار البيان.
- (١٥) التربية والتعليم في المملكة بين السياسة النظرية والتطبيق للدكتور حمد بن إبراهيم السلوم.
- (١٦) سنن أبي داود ط دار الفكر.
- (١٧) سنن ابن ماجه ط مطبعة عيسى الحلبي.
- (١٨) سنن الدارمي ط دار الكتب العلمية.

- (١٩) شرح صحيح مسلم للنووي ط دار إحياء التراث العربي بيروت.
- (٢٠) شرح السنة اللالكائي دار طيبة للنشر.
- (٢١) صحيح الجامع الصغير ط المكتب الإسلامي..
- (٢٢) صحيح البخاري. ط دار الكتب العلمية.
- (٢٣) صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي.
- (٢٤) صحيح ابن خزيمة ط المكتب الإسلامي.
- (٢٥) الكفاية للخطيب البغدادي ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة.
- (٢٦) لسان العرب لابن منظور ط دار الفكر.
- (٢٧) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. عثمان ضميرية.
- (٢٨) موسوعة النحو والصرف والإعراب ط دار العلم للملايين.
- (٢٩) مدارج السالكين ط دار الكتاب العربي بيروت..
- (٣٠) معالم السنن ط دار المعرفة للطباعة والنشر.
- (٣١) فتح الباري ط. دار الفكر.
- (٣٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ط المغرب.
- (٣٣) فن الذكر والدعاء لمحمد الغزالي ط دار الاعتصام.
- (٣٤) ندوة جمعيات تعليم القرآن الكريم ودورها في إكمال مسيرة المؤسسات التعليمية بالمملكة العربية السعودية والتي أقيمت على هامش حفل تكريم الحفاظ بجمعية تحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الطائف ١٤٢٤ هـ د. أحمد بن موسى السهلي.

فهرس الآيات

- أفحكم الجاهلية بيغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ٢٣٧
- أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا ١٨٨
- أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم ٢٤١
- ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ٢٥٢
- إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ٢٠٥
- إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ١٨٩
- ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ١٩٨ ، ٢٦٠
- أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما ٢٣٤
- أم لم ينبأ بما في صحف موسى ٤٥
- أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة ٢٧
- أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله ٢٣٦
- إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من ٤٣ ، ٨٦ ، ٢٣٢
- إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا ٢٤١
- إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك ١٩٥ ، ١٩٠ ، ١٩٤
- إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ٢٣٤ ، ٢٣٥
- إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء ٩٢ ، ٢٤٣
- إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ٢١
- إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا ١٩٣
- إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا ٩١
- إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ٢٣٣
- إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ١٣٦
- إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ٢٣٨
- إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ٢٠١
- إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ١٠٦
- إنا نحن نحبي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في ٢٧٤

- ٨٧ إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون
- ٩٣ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق
- ٢٠٧ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون
- ٢٣٥ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم
- ٢٠٥ ، ٢٠٤ إنما جزاء الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن
- ٢٤٠ إنما ساءت مستقرا ومقاما
- ٢٤٥ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا
- ٢٣٢ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
- ٢٠٣ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن
- ٢٣٧ ، ٢٣٢ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله
- ١٤٦ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما
- ١٠٤ ، ١٠٠ ، ٧٨ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن
- ٢٤٣ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون
- ١٣٩ اذهب إلى فرعون إنه طغى
- ٢٢٥ ، ٧٨ اذهبوا إلى فرعون إنه طغى
- ١٠٦ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
- ٤٥ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسييا
- ٢٣٥ الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في
- ٢٣٤ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب
- ١٠٩ ، ٧٧ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
- ١٨٤ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة
- ١٧ الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون
- ٢٣٧ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم
- ١٥٠ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا
- ١٤ الله الصمد
- ١٠٢ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
- ٢٥٦ ، ١٤٩ ، ١٦ اهدنا الصراط المستقيم
- ٢٧٠ بالبينات والذير وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم

بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ١٩٣
 تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ٤٩
 تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ١٨٩
 ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم ٤٣
 ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ٧١، ١٥١، ١٦٢، ٢٠١
 حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ٨
 حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة ٨٦، ٤٤
 خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ٢٠٨
 سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية ١٧
 سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم ٢٣٥
 شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ٢٠٦
 شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ٢٤، ٦٢، ٩٤،
 ١٠٩، ٢٢٠

فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ٥٣
 فأما من طغى ١٣٩
 فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ٤٨
 فإن مع العسر يسرا ٩٤
 فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن ٢٣٩
 فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ١٤٨، ١٣٩، ١٥٠
 فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ٢٣٩، ٢٤٥
 فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا ١٤
 فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ٢٢٤
 فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن ٢٠٨
 فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم ٩٣
 فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ٩٧، ١١٨
 فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم ٢٣٨
 فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يأبأها الناس إنما ١٠٦
 فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ٢٧٤

- ٢٤٧ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
- ٥٣ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
- ٢٦١ ، ٢٦٠ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فيما يأتيكم مني هدى فمن
- ٧٨ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا
- ٢١٩ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا
- ٢٠٢ قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين
- ٥٥ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
- ٢٠٢ قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا
- ١١٢ ، ٩٣ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير
- ١٧٦ ، ١٧٥ قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم
- ٢٤٨ قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا
- ٢١ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى
- ٢٣٦ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتترع الملك ممن تشاء وتعز
- ٢٤٠ قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
- ١١٢ ، ٢٩ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي
- ٤٤ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله
- ١٤ قل هو الله أحد
- ٩٩ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا
- ٢٢٠ ، ١٥١ ، ١٤٥ ، ٣٧ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم
- ١٧ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم
- ١٨٥ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن
- ١٦ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم
- ٢٣٥ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
- ٢٠٢ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون
- ١٠٦ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن
- ٢٢٠ ، ١٣٩ ، ١٣٣ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل
- ٢٤٠ ، ٤٤ ، ١٨ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
- ١٨٤ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم

- ٧ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان
- ١١٥ ، ٦٣ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
- ٢٠٨ ، ١٠١ ، ٥٢ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
- ٢٣٧ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله
- ٧٢ ، ٦٣ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
- ٢٠٤ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
- ١٤ لم يلد ولم يولد
- ٥٤ ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد
- ١١٥ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا
- ٢٤١ ليوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور
- ١٦٢ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا
- ١٩٢ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله
- ١٩٣ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا
- ٩٠ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو
- ٩٦ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة
- ١١٧ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن
- ٤٣ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
- ١٩١ ، ١٩٠ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات

٢٦٤

- ١١٣ ، ٩٠ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن
- ٥١ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير
- ٤٥ وإبراهيم الذي وفى
- ١٠٤ ، ٩٦ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
- ٢٤٣ ، ٩٧ وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا
- ٢٥١ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها
- ٢٠٠ ، ٩ وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم
- ٤٨ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول
- ٢٣٣ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي

وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ٢٠٦
 وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك ٢٣٧
 وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما ٢٠٧
 وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ٢٠٩
 وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريد ١٩٢
 وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما ١٨٤
 وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ٩٢
 وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ١٧، ٢٦، ٢٧، ١٢٧،

٢٢٠

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا ٨٧
 وإنك لعلى خلق عظيم ٢٣٠، ٢٠٣
 وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن ٢٥٥، ٢٢
 وأتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ٢٢٣
 واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ ٢١٠، ٢٠٦، ١٦٣
 واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن ٦٠
 والأرض وضعها للأنام ١٦٨
 والتين والزيتون ٩٠
 والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ١٩٤
 والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله ٤٣
 والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ٢٣، ٢٢
 والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ٢٤٠
 والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ٢٦٢
 والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ١٢٩
 والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ٢٤٠
 والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ٢٤١
 والله خلقكم وما تعملون ٢٧٤
 وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من ٢٤، ٦٣، ١١٣، ٢٠٦،

٢٢٠

- وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون ٢٤٠
- وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ١٨
- وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو ٢٣٦
- وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يتزغ بينهم إن الشيطان ٢٤٣، ٩٨
- وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف ٢٣٨
- وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ٢٣٣
- وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم ٤، ٥، ٦،
- ٧، ١٨، ١٩، ٧٦، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٤١، ٢٥٣، ٢٥٧
- وكل إنسان أئتمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه ٤٥
- وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم ٢٧٠
- ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ١٠٢
- ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما ٢٥٦، ٢٣، ٢٢
- ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ٤٥
- ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك ٢٤٣، ٢٢٤
- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا ٢٢٦، ٩٢، ٦٣
- ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها ١٧
- ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ٢٠١
- ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ٨٩
- ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ١٠٠
- ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله ٢٣٨
- ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى ٥٢
- ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ١٦٤
- وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله ٢٣٨
- وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا ٤٥
- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن ٤٨
- وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ٨٨، ١٠٧، ٢٠٧
- وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٨٧
- وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ٢٢٣

- وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ٢٣٥ ، ٢٧٤
- وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم ١١٢
- ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ٢٤٨
- ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ٢٦٠
- ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه ٩٢
- ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكركم حرم أم الأنتيين أما ٩٣
- ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .. ٤٣ ، ٨٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧
- ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب ١٧٧ ، ١٨٩
- ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب ٢٥٥
- ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا ٢٣٣
- ونيسرك لليسرى ٦٢ ، ٢٠٦
- وهذا البلد الأمين ٩٠
- وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ٢٣٤ ، ٢٣٦
- ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ٩٣
- ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ٢٩
- ويوم يعرض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ٢٠٢
- يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من ٢٠٩ ، ٢١٦
- يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما ٨ ، ١٦ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
- ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ٢٠١ ، ٢٢٠

- يأيتها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ٢٤ ، ٦٣ ، ١١٠
- يأيتها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ٢١٠
- يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ١١
- يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ١١
- يأيتها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ٢٠٩
- يأيتها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ٩٢ ، ٢٢٦
- يأيتها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم ٢١ ، ٥١ ، ٩٢ ، ٢٢٧
- يأيتها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ١٦٧ ، ١٦٨
- يأيتها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ٥١

- يأيتها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ٩٦
- يأيتها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ٩١
- يأيتها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ٩٠ ، ١١
- يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ٩٠
- يأيتها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ٢٠٠
- يأيتها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ٢٣٢
- يأيتها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ١١٢
- يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح ٩١
- يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه ٢٤ ، ٢٣
- يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ٩١
- يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يترع عنهما ٩١
- يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ٢٢٤ ، ١٠٠
- يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ١٦٨
- يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ٢٤ ، ٦٢ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ٢٢٠
- يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ١٨٩ ، ١١

فهرس الأحاديث

- أتيت النبي وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه، فقال ما من عبد..... ١٧٨
- أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، ٢١٩
- أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة..... ١١٠
- إذا رأيتم الذين يتبعون المشابه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم ١٩١
- أراد أناس من أصحاب النبي أن يرفضوا الدنيا، ويتركوا النساء ويترهبوا ١٦٧
- ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكنه يقول ٢٧٠
- ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو ٤٦
- ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت بلى يا رسول الله، قال ٦٩
- إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ٣٨، ٥٩، ٢٥٨
- إن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول ٦٦
- إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا وأبشروا، ٣١، ٤١، ٦٤
- إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه..... ٧٩
- إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شاناه..... ٢٢٥
- إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم ٨٩
- إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا ٦٥
- إن الله يحب الرفق في الأمر كله ٢٢٥
- إن الله يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ٩٨
- أن النبي كان يحتجر حصيرا بالليل فيصلي ويسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل ٦٨
- أن جبريل قال للنبي بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ١٧٩
- إن دين الله الحنيفية السمحة..... ٦٧
- إن دين الله يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا ١١٠
- إن دينكم دين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع ١٥٦
- إن رجلا أتى النبي فقال يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء، ١٦٧
- أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك ١٧٠
- إن رسول الله خرج ذات ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، ٧٣
- أن سلمان زار أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها ما شأنك ٦٩
- إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه وكان رداء ١٦١

- ٢٦٣ إن من ضئضى هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام،
- ٣٩ إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغضن إلى نفسك عبادة الله
- ١٥٦ ، ١٤٦ ، ٧٠ إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق
- ١٥٦ ، ١٥٥ إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن
- ١٥٧ إن هذا الدين يسر ولا يشاد يشاد الدين أي يقاويه ويقاومه، ويكلف نفسه
- ١٦٩ ، ١٥٦ إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه
- ١٥٣ إن هذا الدين يسر، ولن يشاد أي يغالب الدين أحد إلا غلبه، فسدوا وقاربوا
- ٩٨ أنا ضمير بيت في رضى الجنة لمن ترك المراء وهو محق، وبيت في وسط الجنة
- ٦٥ إنكم أمة أريد بكم اليسر
- ١١١ إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منكم
- ٢٠٣ ، ٢٧ إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق
- ٢٥٧ ، ٢٤٩ ، ٢٣٠ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
- ٢٤٩ إنما بعثتم ميسرين
- ١١١ إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين
- ٨ أنه خط خطأ مربعا، وخطا وسط الخط المربع، وخطوطا إلى جانب الخط الذي
- ١٠١ إني لأرجو أن يخرج الله من أصلاهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا
- ٨٨ إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة
- ٧ أوسط الجنة وأعلى الجنة
- ١٤٦ ، ١٣٦ ، ٤١ ، ٩ إياكم والغلو في الدين
- ٢١٨ اتخذ النبي خاتما من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب ، فقال النبي
- ٩٨ اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن
- ١١٢ ادعوا الناس وبشرا ولا تنفروا ويسرا ولا تعسرا
- ١٤٧ افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار،
- ١٤٠ اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به
- ١٨٢ الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة
- ٢١ الدعاء هو العبادة
- ٤٩ الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم
- ١١٩ السلام عليه عند لقياه، وتشميته عند العطاس وحمد الله، وإجابة دعوته،

- القط لي حصي، فلقطت له سبع حصيات هن حصي الخذف، فجعل يفضهن في كفه ويقول
 ١٤٠
 الكلمة الطيبة صدقة ٢٤٤
 اللهم من ولي من أمر أمي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر ٥٠، ٧٨
 المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ولا يسلمه ٢٤٤
 المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا ١٠٠
 بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا ٦٨، ١١١، ٢٤٩
 بعثت بالحنيفية السمحة ٦٧
 بينا النبي يقسم يعني الغنائم جاء رجل فقال اعدل يا رسول الله فقال ١٧٥
 تسمع لصوتهم دويا كدوي النحل ٤٧
 ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ٣٦
 جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا ٧٠
 خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا ٧٩
 خط لنا رسول الله خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن ٢٦
 خطبنا رسول الله فقال يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، ٧٣
 خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء من بعدهم قوم ٢٧٢
 خير دينكم أيسره ٦٥، ١١٠
 خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨
 ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي ١٨٠
 ذهب المفطرون بالأجر ١١٦
 رأى رسول الله رجلا يصلي في المسجد، ويسجد ويركع، ويسجد ويركع، وجاء ٦٥
 رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى ٦٦
 سئل رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال أدمها وإن قل وقال ١٦٩
 سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ١٨٤
 عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، ١٧٩
 عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا ٣٩
 فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى ١٥٦
 فإنما بعثتم ميسرين ٩٥

- فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا ١٥٦
- فضلت على الأنبياء بست وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون ٨٧
- فقال له سلمان إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا، فأعط ٦٩
- فمن رغب عن سنتي فليس مني ٢٢٨، ٢٨
- فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل ٢٤٨
- قال أحدهم أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر أنا ١٤٦ أقوم ولا أرقد، وقال ١١٥
- قال رسول الله غداة جمع هلم القط لي، فلقطت له حصيات، هن حصى الخذف، ١٦١
- قال لي رسول الله غداة جمع هلم القط لي الحصى فلقطت له حصيات من حصى ١٥٢
- قيل لرسول الله أي الأديان أحب إلى الله؟ قال الحنيفية السمحة ٦٧
- كان الرجل يقوت أهله قوتا دوننا، وبعضهم قوتا فيه سعة، فقال الله من أوسط ٧
- كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل علي رسول الله فقال من هذه؟ قلت فلانة، ٦٨
- كنا ننتظر النبي فخرج يقطر رأسه من وضوء أو غسل فلما قضى الصلاة جعل ٦٦
- لا تزال طائفة من أممي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ٨٧
- لا تزال طائفة من أممي على الحق ظاهرين ٤
- لا تزال طائفة من أممي منصورين لا يضرهم من حذرهم حتى تقوم الساعة ١٤٤
- لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد ١٥٧، ١٥٣
- لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد ١٤٩
- لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله ٧١
- لا ضرر ولا ضرار ١١٣
- لا ما أقاموا فيكم الصلاة ١٢٣
- لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة ٦٧
- لعن الله من جلس وسط الحلقة ٨
- للساعة أشراط، قيل وما أشراطها؟ قال غلو أهل الفسق في المساجد، وظهور ١٥٦
- لن ينجي أحدا عمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن ١٤٠
- لولا أن أشق على أممي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ٧٤
- ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة ١٨٢
- ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد ٣٨
- ما أمر الله عباده بما أمر إلا وللشيطان فيه نزعتان فيما إلى غلو وإما ١٥٦

- ١٤٧ ما أنا عليه وأصحابي
- ٢٢٢ ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه؛ فوالله لأننا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية
- ٢٢١ ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أما إني أتقاكم الله وأحشاكم له، لكني
- ٢٢٢ ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي أما والله لو تماد لي الشهر لواصلته
- ٧٤ ما خير رسول الله بين أمرين إلا أخذ وفي رواية اختار أيسرهما ما لم
- ٩٥ ما خير رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً
- ٥٠ ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم
- ٥١ مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة،
- ٤٦ من قال هلك المسلمون فهو أهلكتهم
- ٢٢٥ من يجرم الرفق يجرم الخير
- ٢٥٨ نعم، بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين
- ٧٠ نهي رسول الله عن الوصال، فقال له رجال من المسلمين فإنك يا رسول الله
- ٣٤ هات القط لي، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال بأمثال
- ٢٥٨، ٢٥٦، ١٥٣، ١٥٢ هلك المنتطعون
- ١٦٢، ٧٢، ٣٨ هلك المنتطعون قالها ثلاثاً
- ١٤٩، ١٤٨، ٣٠ هلك المنتطعون هلك المنتطعون
- ٢٥٨ وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة
- ٢٧٠ وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله
- ٩٤ واتفق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب
- ١٥٧، ١٥٣ والقصد القصد تبلغوا
- ٧٢ والله الذي لا إله غيره ما رأيت أحداً كان أشد على المنتطعين من رسول
- ٧١ والله يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة من أجل فلان، مما يطيل بنا
- ٨ وسطوا الإمام وسدوا الخلل
- ٩٤ وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين
- ٩ ولا تجفوا عنه
- ٧٣ ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية
- ٢٣٩ وما نهيتم عنه فاتتهوا
- ٩١ يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد

- يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا..... ١٧٨
- يا بني إسرائيل لا تقولوا لم أمر ربنا؟ ولكن قولوا بم أمر ربنا؟..... ٤٠
- يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا..... ٩٤
- يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له هل بلغت؟ فيقول نعم يا رب فتسأل أمته..... ٢٥٣، ١٨
- يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا..... ١١٨، ٩٥
- يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا..... ٦٨
- يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا معسرين..... ٣٣
- يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا..... ٦٨
- يطيع المؤمن على الخلال كلها خلا الكذب..... ١٠٦
- يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم..... ١٧٦
- يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية..... ٣١

الفهرس

٤ المحور الأول الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة
٤ مفهوم الوسطية والاعتدال
١١ أدلة الوسطية في القرآن والسنة
١١ مقدمة
١٣ مدخل الإسلام وسط بين الأديان
١٦ أدلة الوسطية من القرآن العظيم والسنة النبوية
٤١ الخاتمة
٤٣ مظاهر الوسطية في الإسلام
٤٥ مظاهر الوسطية في الجانب الفردي
٤٩ مظاهر الوسطية في الجانب الاجتماعي والإنساني
٥٣ تفاوت الشرائع
٥٧ المحور الثاني دلالة القرآن على سماحة الإسلام ويسره
٥٧ مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها
٥٧ مقدمة
٥٩ المبحث الأول معنى اليسر والسماحة
٦٠ المبحث الثاني مفهوم اليسر والسماحة في الإسلام
٦٢ المبحث الثالث أدلة اليسر والسماحة في الكتاب والسنة
٧٦ المبحث الرابع دلالات النصوص المذكورة وما شابهها
٨٢ فهرس المصادر والمراجع
٨٧ سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف
٩٠ من مظاهر سماحة الإسلام تكريم بني آدم
٩١ من مظاهر سماحة الإسلام محبة الخير للناس
٩٢ من مظاهر سماحة الإسلام العدل والإنصاف
٩٤ من مظاهر سماحة الإسلام تحريم الظلم
٩٥ من مظاهر سماحة الإسلام الرحمة والتيسير
٩٧ من مظاهر سماحة الإسلام التوضيح والتبيين
٩٨ من مظاهر سماحة الإسلام الالتزام بالخلق الحسن في معاملة المخالفين

١٠٠	من مظاهر سماحة الإسلام فتح باب الحوار لبيان الحق وتثبيته
١٠١	من مظاهر سماحة الإسلام الصبر
١٠٢	من مظاهر سماحة الإسلام علاقة المسلمين مع غير المسلمين
١٠٥	خاتمة
١٠٧	سماحة الشريعة في التعامل مع الواقع للدول والأفراد
١٠٧	تقديم
١١٠	اليسر ورفع الحرج منطق الإسلام في التعامل مع الواقع
١١٦	التعامل مع واقع الأفراد في إطار سماحة الإسلام
١٢٣	التعامل مع واقع الدولة في إطار سماحة الإسلام
١٢٨	المحور الثالث الغلو مظاهره وأسبابه
١٢٨	مفهوم الغلو في الكتاب والسنة
١٢٨	مقدمة البحث
١٣٢	معنى الغلو في اللغة والشرع
١٣٩	حقيقة الغلو
١٤٣	الفرق بين التمسك بالنصوص الشرعية والالتزام بها والغلو
١٤٥	الغلو في الدين بدعة حرمها الإسلام
١٤٩	النصوص الشرعية المخذرة من الغلو في الدين
١٦١	مظاهر الغلو في الاعتقاد والعمل والحكم على الناس
١٦١	الغلو من الاعتقاد
١٦٨	فصل في الغلو في العمل
١٧١	فصل في الغلو في الحكم على الناس
١٧٤	أسباب الغلو العلمية والمنهجية وعلاجها
١٧٤	مقدمة
١٧٧	أسباب غلو الخوارج العلمية
١٨٩	أسباب غلو الخوارج المنهجية
١٩٧	المحور الرابع استثمار تعليم القرآن في ترسيخ الوسطية ومعالجة الغلو
١٩٧	لمحات عن منهج القرآن الكريم في البناء التربوي ومعالجته
١٩٧	المقدمة
١٩٩	نبذة موجزة عن منهج التربية في القرآن الكريم

٢٠٠	الجانب التربوي الأخلاقي
٢٠٧	الجانب التربوي الاجتماعي
٢١٢	الخاتمة
٢١٤	مراجع البحث
٢١٧	أثر معلم القرآن في تربية طلابه على الاعتدال
٢١٧	مقدمة
٢١٨	أولاً: المعلم القدوة
٢٢٠	ثانياً: التوجيه المباشر وغير مباشر
٢٢٣	ثالثاً: اليقظة والمتابعة
٢٢٤	رابعاً: صفات ينبغي للمعلم أن يتصف بها
٢٢٩	خامساً: أمور أخرى تعين المعلم في تربية طلابه على الاعتدال
٢٣١	مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية
٢٣١	مقدمة
٢٣٣	بين يدي البحث التعريف بالقرآن
٢٣٥	الحياة مع القرآن
٢٣٨	مقاصد القرآن
٢٤٠	أهمية البحث
٢٤١	أهل القرآن صفاتهم وأخلاقهم
٢٤٦	أهداف البحث
٢٤٧	وقفة مع عنوان البحث
٢٤٨	مؤسسات تعليم القرآن
٢٤٩	الواقع يتحدث
٢٥٢	الغرض من مؤسسات تعليم القرآن الكريم
٢٥٤	المدلول اللغوي والشرعي للوسطية
٢٦١	مؤسسات تعليم القرآن الكريم وأثرها في نشر الوسطية
٢٦٤	تفاقم ظاهرة الغلو في الدين في عصرنا الحاضر
٢٦٨	من مظاهر الغلو في العصر الحاضر
٢٧١	لمحة عن علاج ظاهرة الغلو
٢٧٧	مراجع البحث

٢٧٩.....	فهرس الآيات
٢٨٨.....	فهرس الأحاديث
٢٩٤.....	الفهرس